جامعة أم القرى
كلية التربية بمكة المكرمة
قسم التربية الإسلامية والمقارنة



التعليم في الشام في العصر الأموي

إعداد الطالبة

سمية بنت محمد فرج الوافي

إشراف

الدكتور/ صالح بن سليمان العمرو

بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة

الفصل الدراسي الأول . ١٤٢٨هـ

الإهداء

إلى شاطئ الأمان .. إلى ينبوع الحب والحنان .. إلى من في حضـنها تتبـدد كـل الآلام والأحزان..

إلى ملاك الرحمة على وجه الأرض ... ((أمي))

إلى الوطن الدافئ .. والعطف اللامحدود.. إلى سندي .. وعوني ..

إلى الإنسان العظيم بحق ... ((أبي))

إلى رفيق دربي .. وشريك حياتي .. إلى زوجي الغالي .. ((أبو معن))

إلى ر الحب والعطاء .. والبذل والسخاء.. ((والدي زوجي))

إلى فرح الحياة .. و بجتها .. وزينتها .. ورونقها ..

أبنائي .. ((معن ومحمد))

إلى القلوب الدافئة المعطاءة .. ((أخوتي)) ..

إلى كل من أمسك بيدي وساعدني .. إليكم جميعا .. أهدي هذا العمل ......

شكر وتقدير

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله نبينا محمد ابن عبد الله، وعلى آل بيته وصحابته ومن والاه ..... وبعد.

أشكر الله عز وجل أولا وآخرا، على ما أنعم به علّى من إتمام هذا البحث، والذي أرجو أن يكون خالصا لوجهه الكريم.

وأود أن أتقدم بخالص الشكر وعظم التقدير، إلى كل من ساعدني بتوجيه أو تشجيع، أو دعاء، وأخص بالذكر والدي العزيزين، وزوجي الغالي، وأخوتي، على ما بذلوه من جهد وتضحية لتذليل كل العقبات التي واجهتني.

كما أتقدم بالشكر إلى عمي الشيخ (محمد ابن حطيحط)، على ما قدمه لي من دعم وتشجيع، فجزاه الله عني خير الجزاء، فقد كانت كلماته دافعا لي على مواصلة المسير.

كما لا يفوتني أن أشكر جامعة أم القرى التي من خلالها استطعت إكمال دراستي لمرحلة الماجستير، وعلى رأسها معالي مدير الجامعة الدكتور: عدنان وزان، وعميد الكلية الدكتور:زهير كاظمي، ورئيس قسم التربية الإسلامية الدكتور:نجم الدين الإنديجاني.

كما يطيب لي أن أتقدم بوافر الشكر وعاطر الثناء لسعادة الدكتور:صالح بن سليمان العمرو، الذي أشرف على هذه الرسالة والذي كان برعايته الدائمة وتوجيهاته المستمرة، أكبر الأثر في إنجازها، فجزاه الله خير الجزاء على ما قدم من نصح وتوجيه.

كذلك أتقدم بالشكر إلى كل من سعادة الدكتور: نايف الشريف ، وسعادة الدكتور: خليل الحدري اللذين قاما بتحكيم خطة الدراسة.

وكما أشكر سعادة الأستاذة الدكتورة: آمال حمزة أبوحسين، وسعادة الدكتور: عبد الناصر سعيد عطايا، لتكرمهم بمناقشة رسالتي هذه.

كما أتقدم بالشكر إلى كل من ساعدني في إعداد وإخراج هذا البحث وأخص بالذكر أخي الحبيب (أنس) والذي ساعدني في طباعة وإخراج هذا البحث مضحيا بوقته وجهده، فجزاه الله خير الجزاء.

كما أشكر كل من أعانني في الحصول على مراجع هذا البحث واخص بالذكر المسؤولين على مكتبة جامعة أم القرى والمسؤولين في مكتبة الحرم المكي الشريف.

ملخص الدراسة

اسم الباحثة: سمية محمد الوافي

عنوان الدراسة: التعليم في الشام في العصر الأموي.

وتهدف هذه الدراسة إلى التعرف على أبرز ملامح النظام التعليمي في الشام في العصر الأموي، من خلال التعرف على أبرز العوامل التي أثرت على الحركة العلمية بها، ثم معرفة المؤسسات التعليمية في ذلك العصر، وأبرز العلوم التي كانت تدرس في تلك المؤسسات، ومعرفة طرق وأساليب التعليم فيها ثم معرفة الكيفية التي تم من خلالها تمويل العملية التعليمية في الشام في العصر الأموي.

والدراسة عبارة عن فصل تمهيدي وخمس فصول رئيسة، وهي كما يلي:

الفصل الأول: خطة الدراسة ويشتمل على مقدمة الدراسة، وأهميتها، وأهدافها، وتساؤلاتها، والمنهج المستخدم، وحدود الدراسة، والدراسات السابقة.

الفصل الثاني: الأوضاع العامة في الشام في العصر الأموي وتأثيرها على الحركة العلمية، ويشتمل على الناحية السياسية، و الاقتصادية والاجتماعية، والتعليمية.

الفصل الثالث: المؤسسات التعليمية في الشام في العصر الأموي، ويشتمل على الكتاتيب، والمساجد، وقصور الخلفاء والأمراء، ومنازل العلماء.

الفصل الرابع: طرق التدريس في الشام في العصر الأموي، ويشتمل على طرق التلقين ، الإملاء، القراءة والعرض، القصة، طريقة الترغيب والترهيب، وطريقة السؤال والجواب.

الفصل الخامس: العلوم التي تدرس في الشام في العصر الأموي، وتشتمل على المواد الدينية، العلوم التاريخية، العلوم اللغوية، العلوم العقلية.

الفصل السادس: تمويل التعليم في الشام في العصر الأموي، ويشتمل على أهم مصادر الإنفاق على التعليم والممثلة في الإنفاق الحكومي، إنفاق العلماء، إنفاق الطلاب، الإنفاق من الهبات والإعانات، الإنفاق من الوقف.

الخاتمة: وتشتمل على نتائج الدراسة، وأهم توصياتها ومن أبرز **النتائج** مايلي:

1. أن الطابع الديني هو الطابع الذي امتاز به التعليم في الشام في العصر الأموي، وأن القرآن الكريم كان هو المحور الذي نشأت حوله أكثر العلوم.
2. أن المنجزات التي تمت في عهد الأمويين وضعت أساسًا متينًا لازدهار التعليم وتطوره ظهر وبرز في العصور التي تلته.
3. يعتبر الأمويون وخصوصًا في الشام من الرواد الأوائل في أخذهم العلوم من الثقافات الأخرى، والاستفادة منها وترجمتها.
4. تعددت مؤسسات التعليم في الشام في العصر الأموي، ولكن كان المسجد هو أهم تلك المؤسسات وأقواها على الإطلاق.
5. أن الشام في ذلك العصر زخر بثلة من العلماء والأدباء والمؤرخين الذين نهضوا بالحركة العلمية وأثروا بجهودهم وعطائهم ونتائجهم العلوم، وكان لهم دور بارز ومتميز في خدمة هذه العلوم.
6. أن أمة الإسلام في ذلك العصر كانت هي القائدة بركب البشرية، لأنها كانت مؤهلة لهذه المسؤولية فكريًا وتربويًا وعسكريًا وسياسيًا، فسادت أفكارها وعقيدتها وثقافتها ونظمها التربوية كثيرًا من أرجاء المعمورة.
7. يتضح من هذه الدراسة أن الحياة العلمية في الدولة الأموية في الشام قد نمت على أيدي رجالها وعلى أيدي رجالها مدفوعة بحث الإسلام عليها وعكوف المسلمين على النهل من معينها وبما توفر من أسباب التطور والنماء.

The research summary

The researcher: Sumia Al-wafi

The research title: The education in Al-sham in the Amawian age. This research aims to recognize the most common feature of the education system in Al-sham in the Amawian age. The research defines the most common element which influences the scientific movement at that time. It helps to define the education institution and the most common sciences that were though .It also defines the education system in these institutions , and the ways of financing the educational system at that time, The research consists if an introductory chapter and five main chapters , as following :-

- The first chapter: the entrance to the research, it includes; introduction, the importance of the research, its aim, queries, the used method, borders and the previous research.
- The second chapter: the general situation at that time and its influence on the scientific movement, it includes; the political, economical, social and education situation.
- The third chapter: The educational institutions in Al-sham at that time. It includes; school, mosques, Caliphs' and princes' palaces and scientists house.
- The fourth chapter: the methodological used in Al-sham at that time, it includes sermon, reading, dictation, similarities, story, displaying and debating.
- The fifth chapter: The subjects who were taught, it includes; religion subjects, historical, linguistics and intellectual subjects.
- The sixth chapter: - financing education at that time, it includes; the most important expenditure sources represented in; government's, scientist's and student's expenditure, and other fields of spending.
- Conclusion : it includes the research result and the most important recommendation as following :
    ١. The education at that time characteristics by the religions stamp and most of the science had established around Quran
    ٢. The accomplishers which had established at that time had a strong foundation in order to flourish and develop the education.
    ٣. The Amawian – especially in Al-sham – regards as the first leaders who get benefit from other cultures and translate it.
    ٤. There are many educational institutions at that time; but the mosque was the strongest and the most important at all.
    ٥. A numbers at scientists, authors and historians had appeared at that time, they developed the scientific movement and they influenced the subjects by their great efforts. Also, they had uncommon and distinguished role in serving these subjects.
    ٦. The Islamic nation at that time was the leader of humanity, because they have the intellectual, educational, militarily and political qualifications for this responsibility.
    ٧. It appears clearly that scientific life in Amawian age in Al-sham had grew by itself and by the efforts of its men; encouraged by Islam and development reason.

الفصــل الأول

خطــة الدراسـة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل العلم نبراسا يضيء الطريق ،ووسيلة للتربية و التهذيب ،وهدفًا لبلوغ الحياة الفاضلة والأخلاق العالية، وصلى الله وسلم على خير الورى وأكرم من مشى على الثرى، نبينا محمد الذي أرسله ربه رحمة للعالمين، ورضي الله عن آله وصحبه الأبرار الذين نشروا العلم والفضيلة في جميع الأمصار، وعلى الذين اتبعوهم وساروا على نهجهم إلى يوم القرار.................................. وبعد،،،

من فضل الله علينا أننا من أمة لها ماضٍ مشرف تبني عليه حاضرها بكل فخر واعتزاز فالأمة لا تستطيع أن تنهض وتتقدم إذا فصلت حاضرها عن ماضيها خاصة وأن هذا الماضي يفتخر به كل مسلم على وجه البسيطة، هذا الماضي الذي أعطى البشرية كل القيم العالية والأهداف النبيلة للسير في مسالك الحياة بخطى مبنية على العقيدة الصحيحة و المعاملات الحسنة والأخلاق العالية، وكونت أجيالاً برعت في كل مجالات الحياة، فيكفي المسلم فخرا أن أول ما نزل على رسوله صلى الله عليه وسلم، الحث على القراءة والكتابة على منهج الله فقال عز من قائل: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥ ﴾(سورة العلق، آية ١-٥)، ولقد حث ديننا على العلم وطلبه فقال صلى الله عليه وسلم "من سلك طريقًا يطلب به علما سهل الله له طريقًا إلى الجنة"[١]، والصحابة نهلوا من تلك الينابيع العذبة الرقراقة ثم حملوا هذا المعين إلى كل بقاع الأرض التي استطاعوا الوصول إليها، فكانوا أعلام خير ومنارات هدى تعلم البشرية الخير كل الخير، ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ

[١] البخاري، أبو عبد الله محمد إسماعيل: صحيح البخاري،ط٥، كتاب العلم- باب العلم قبل العقل، عالم الكتب،بيروت، ١٤٠٦هـ ، ٤٥/١.

خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ (ســورة آل عمــران، آية١١٠).

امتازت حضارتنا الإسلامية بانفتاحها على كل الحضارات والثقافات وأخذت كلَ صـالح منها، وشعارها: الحكمة ضالة المؤمن أخذها أنى وجدها.

وخير مثال على ذلك الحضارة الإسلامية في الشام في العصر الأموي.

فلقد احتلت الشام مكانه عظيمة على مر العصور، حيـث أدى موقعهـا المتوسـط بـين حضارات عديدة إلى أهمية بالغة وتنوعت ثقافا ا وازدهرت بمعالمها التي يعود فيها الفضـل الكبير بعد الله إلى جهود المسلمين وفتوحا م التي كان الغرض منها نشر الإسلام وتعليمـه "وكانت دمشق قبل الفتح العربي مقر حكام الروم وأصبحت حاضرة الدولة الإسلامية منذ خلافة معاوية بن أبي سفيان وغدت أكبر المدن الإسلامية في ذلك العصر وأفخمها في الأ ة والعمارة كما امتازت على غيرها من المدن بكثرة الأ ار والينابيع، وقيل إن دمشق سميـت بذلك الاسم من الدمقس، وهو ضرب من الحرير الذي اشتهرت به قبل الإسـلام بـزمن طويل"[1].

وبلغت الشام أوج عظمتها وازدهارها ونموها العلمي في العصور الإسلامية وساهمت الدولة الأموية إسهاماً كبيراً في دفع عجلة العلمِ والتعلمِ ، فقامت بوضع كثيرٍ من أسس التعليم التي تعتبر في عصرنا الحاضر دعائم نرتكز عليها في نظامنا العلمي والتربوي، كيف لا وكانـت الشام هي عاصمة الدولة العظمى في ذلك العصر -دولة بني أمية- وأصبحت منارةً عاليـةً، ورمزاً من رموز التقدم وخاصة في مجالِ التربية والتعليمِ.

"فقد نزل في الشام عدد كبير من الصحابة منذ الفتح الإسلامي وكان لبعضهم تأثير كـبير على الناحية العلمية في الشام من حيث الرواية والتفسير والقراءات والقصص وغير ذلك من العلوم"[2]، فمنهم معاذ بن جبل[3] وأبو الدرداء[1] وأبو عبيدة بن الجراح[2] وغيرهم كُثُر، فتجمع

---

[1] حسن، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ط٧،مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٤م،ص:٥٢٠.

[2] الزرو، خليل داوود: الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني للهجرة ، دار الآفاق الجديدة، لبنان،ص:١١.

[3] معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن سعد بن الأخرج، خرج معاذ إلى الشام مجاهدا في سبيل الله، تـوفي في طاعون عمواس في الشام ناحية الأردن (ابن سعد، محمد :الطبقات الكبرى ،ط١، إحياء التراث الإسلامي، المدينة، ١٤٠٣هـ،٣٨٩/١٠).

في الشام علم كبير خلال القرن الأول، "وكان لتباين الأجناس و الأديان في الشام قبل الفتح الإسلامي أثر في نشوءِ ثقافات عدة"[٣].

وظهرت كثير من المؤسسات التعليمية في الشام في ذلك العصر فقد عنِي بنو أمية بـ التعليم عنايةً فائقةً وعملوا على نشر مؤسسات للتعليم وتمويلها وأُشتهرت الشام بوجود كثير مـ ن تلك المؤسسات.

فتعد المساجد أبرز مؤسسات التعليم في ذلك العصر، فبالإضافة إلى دورها الديني التعبـ دي فقد لعبت دوراً عظيماً في ا ال العلمي منذ بداية ظهور الإسلام، فهي تعد من أكبر معاهد الثقافة لدراسة القرآن والحديث والفقه، وأصبح كثير منها مراكز هامة للحركـ ة العلميـ ة، "ولقد كثرت المساجد في العصر الأموي فكان العلماء والفقهاء والأدباء يجلسون في المساجد وحولهم طلا م وسامعوهم يحدثون ويلقون محاضرات علمية فكانت حلقا م أشبه بالمدارس أو بالمحاضرات في الجامعات والكليات"[٤]، وخير مثال على ذلك الجامع الأمـ وي بدمشـ ق والذي كان منارةً يقصده العلماء من خارج وداخل دمشق للاستفادة والإفادة ودفع بنو أمية على إنشائه الشيء الكثير حتى عد مفخرةَ ذلك الزمان ومازال حتى الآن.

فقد قال عنه الوليد بن عبد الملك[5] مخاطبا أهل دمشق بعد أن بناه "إنكم تفخرون على الناس بأربعٍ، وائكم ومائكم وفاكهتكم وحماماتكم، فأحببت أن أزيـ د خامسـ ة وهـ ي هـ ذا الجامع"[٦].

---

[١] عويمر بن زيد بن قيس بن عائشة بن أمية بن مالك بن عامر بن كعب بن الخزرج، خرج أبو الدرداء إلى الشام ف ل ا إلى أن مـ ات، وكانت وفاته في دمشق عام ٣٢هـ (ابن سعد، محمد :الطبقات الكبرى ، المرجع السابق، ٣٩٢/٧).

[٢] عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن الحارث بن فهر، لما ولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولى أبا عبيدة الشام وشهد اليرموك وهو أمير الناس، مات في طاعون عمواس (المرجع السابق،٣٨٥/٧).

[٣] الزرو، خليل داوود: الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني للهجرة ، مرجع سابق، ص:٢.

[٤] الرفاعي، أنور: الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والأدبية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والفنية ،ط٣، دار الفكـ ر، دمشق ، ١٩٩٧م،ص:٥٣٩.

[5] الوليد بن عبد الملك بن مروان أبو العباس من ملوك الدولة الأموية في الشام، ولي بعد وفاة أبيه سنة٨٦هجرية، فوجه القواد لفتح البلاد، امتدت في زمنه حدود الدولة الإسلامية إلى بلادهم بلاد الهند فتركستان فأطراف الصين شرقًا، توفي سنة٩٦هجرية(الزركلي، خير الدين: الأعلام ،ط١٢،دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م،١٢١/٨).

[٦] ابن كثير، أبي الفداء: البداية والنهاية ،دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ ، ص:١٢٨.

ونشئت دور لتعليم الصبيان في العصر الأموي سميت بالكتاتيب ،فكان الصبيان يتعلمـون الكتابة والقرآن ومبادئ النحو وكانوا أحياناً يسمعون الشعر والحديث وانتشـرت هـذه الكتاتيب وعمت الشام.

"وظهر في العصر الأموي (المؤدب) الخاص في البيوت فكانت الأسر الغنيةُ تكلـف أحـد الأساتذة بتأديب أولادها في غرفة البيت لقاءَ أجرٍ، وكان على الأستاذ أن يعلـم الأطفـالَ القراءةَ والكتابةَ والقرآنَ والشعر والأدب"[١].

ومن المؤسسات التعليمية التي كانت في العصر الأموي منازلُ العلماء فقد كـان العلمـاء يفتحون منازلهم لطالبي العلم من جميع أقطار البلاد فيأخذون عنهم علمهم.

وكان لمس الخليفة دور بارز في التربية والتعليم ، فكان الخلفاء يقيمون مجالس السـمر في قصورهم ويدعون إليها العلماء والأدبـاء والشـعراء، يسـتمعون إلـيهم، ويناقشـو م ويشاورو م.

وبرز في عصر بني أمية كثير من العلماء الذين يعود الفضل إليهم -بعد الله- في بقاء كثيرٍ من العلومِ وظهورِ كثيرٍ من الفنون أمثال الخليفة العالم العابد عمر بن عبد العزيـز[٢]، والمحـدث المعروف أبو شهاب الزهري[٣]، والذي يعد فقيهاً أيضاً كيف لا وهو تلميـذُ سـعيد بـن المسيب[٤] ، والأمام الأوزاعي[٥] ،"ولا ننس تلك العالمةُ الجليلةُ أم الدرداء[٦] التي كانت تستقبلُ

---

[١] الرفاعي، أنور: الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والأدبية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والفنية ، مرجـع سـابق، ص:٥٣٩.

[٢] عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو حفص الخليفة الصالح والملك العادل، خامس الخلفاء الراشدين، ولد ونشأ بالمدينة وولي إمار ا للوليد ثم استوزره سليمان بن عبد الملك بالشام وولي الخلافة بعهد من سليمان سنة٩٩للهجرة، ومدة خلافته سـنتان ونصف توفي سنة١٠١هجرية (الزركلي، خير الدين: الأعلام ،مرجع سابق، ٥٠/٥).

[٣] محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري ، قدم الشام في عهد عبد الملك بن مروان ، كان كـثير الحـديث والعلـم والرواية ، فقهيا جامعا ، توفي سنة ١٢٤هـ (ابن عساكر ، علي ابن الحسن :تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق، ٣١٥/٥٥).

[٤] سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي، أبو محمد، سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة جمع بـين الحـديث والفقه والزهد والورع توفي بالمدينة (الزركلي، خير الدين: الأعلام ط١٢، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م،١٠٢/٣).

[٥] عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد شيخ الإسلام ، وعالم أهل الشام ، أبو عمرو الأوزاعي ، كان مولده في حاة الصحابة ، ولد سـنة٨٨، أريد على القضاء في أيام يزيد الناقص فامتنع ، قال عنه الوليد بن مسلم : ما رأيت أكثر اجتهادا في العبادة من الأوزاعي (الذهبي، شمـس الدين محمد: سير أعلام النبلاء ط٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ،١٠٢/٣).

[٦] هجيمة ويقال: جهينة بنت حيي الأوصابية من أوصاب من حمير دمشق أم الدرداء زوج أبي الدرداء صاحب رسول الله صلى الله عليـه وسلم، في الطبقة الثانية من تابعي أهل الشام، كانت زاهدة فقيه، سمعت أبا الدرداء، وأبا هريرة، وعائشة، كانت من أهل دمشق، خطبها

تستقبلُ في بيتها الطلاب والعلماءُ فتعلم الطلاب القراءةَ والكتابةَ والقرآنَ والحديثَ وتتذاكر الحديث مع العلماء"[١] ،واشتهر أيضاً خالدا بن يزيد[٢] حتى قيل إنّ خالدا علم علـم العـرب والعجم[٣].

فقد كان أول تدوين للحديث بدأ في عصر بني أمية "فأول من أمر بتدوين الحديث وجمعـه بالكتابة عمر بن عبد العزيز على رأس مئة"[٤]، وكان ذلك خشيةً من دروس العلم وذهـاب العلماء، ومن هذا العلم ظهرت العلوم الأخرى المتعلقة به، مثل علم الجرح والتعديل فقد عني علماء الجرح والتعديل بالبحث عن حال الرواة من التابعين فمن بعدهم وذلك لكثرة الوضع والافتراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد تطورت العلوم في عصر بني أمية تطوراً ملحوظاً، بل وتعددت فروعها، وظهر التدوين، وعربت الدواوين وترجِمت كثير من الكتب اليونانية والرومانية إلي العربية، وظهرت علوم أخرى لم تكن معروفةً لدى العرب.

ولقد تطورت الحياة العلمية والحركة التعليمية في الشام في العصر الأموي ، وأدى إلى ذلـك التطور عدة عوامل من أبرزها توافد زيارة علماء الإسلام إليها من شتى أنحاء العـالم لنشـر علمهم فيها ، فمركز الخلافة وعاصمتها فيها، فقد استقدم الوليد بن يزيد[5] عبـد الله بـن ذكوان[٦] يستفتيه في مسألة فقهية[٧].

معاوية بن أبي سفيان، فقالت: لا والله لا أتزوج زوجا في الدنيا حتى أتزوج أبا الدرداء إن شاء الله في الجنة، قال ميمون: ما دخلت عليها في ساعة صلاة إلا وجد ا مصلية (ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق،١٠٩/٣٧-١٢٣).

[١] الذهبي، شمس الدين محمد: سير أعلام النبلاء ،مرجع سابق، ٢٧٩/٤.

[٢] أبو هاشم خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي، كان من أعلم قريش بفنون العلم، توفي سنة٨٥هجرية(خلكان، أبي العبـاس شمي الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر:وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبـة النهضـة المصـرية، القاهرة، ٤/٢).

[٣] خلكان، أبي العباس شمي الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر:وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مرجع سابق،٤/٢.

[٤] شلبي، أبوزيد: تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي ،ط٨، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٧هـ، ص:١٩٧.

[5] الوليد بن يزيد بن عبد الملك أبو العباس، من ملوك الدولة المروانية بالشام كان من فتيان بني أمية وشجعا م وأجـوادهم، ولي الخلافـة سنة١٢٥هجرية بعد وفاة عمه هشام بن عبد الملك، قتل سنة١٢٦هجرية (الزركلي، خير الدين: الأعلام ،مرجع سابق، ١٢٣/٨).

[٦] عبد الله بن ذكوان، أبو عبد الرحمن المعروف بأبي الزناد، من كبار فقهاء المدينة ومحدثيها، استخدمه الوليد بن يزيد، يستفتيه في نكـاح زوجته أم سلمة مع جماعة من فقهاء المدينة، توفي بالمدينة في شهر رمضان سنة١٣٠هـ، تابعي ثقة سمع من أنس وكان صاحب كتـاب وحساب (ابن عساكر ، علي ابن الحسن :تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق، ٩٠/٧٠).

[٧] ابن عساكر ، علي ابن الحسن :تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق، ٩١/٧٠.

وكان كثير من علماء الشام يرحلون في أقطار العالم الإسلامي للتحديث ، فمثلاً كان خلفاء بني أمية عندما يذهبون للحج يصطحبون معهم أكابر علماء الشام إلى مكة ، فمنهم على سبيل المثال محمد بن سلم بن شهاب الزهري ، وقد حدث في مكة وسمع منه من حضر الموسم .

بالإضافة إلى وفرة علماء الشام ، فكان كثير من طلاب العلم يستزيدون برحلاتهم العلمية من علماء آخرين برزوا وتفننوا في علوم أخرى في غير الشام ، فكانت هناك بعثات علمية كثيرة تخرج في طلب العلم وتعود لتنشر علمها في بلادها "فقد كانت الجزيرة العربية تتميز في ذلك العصر بعدد كبيرٍ من الصحابة والتابعين ، بالإضافة إلى احتوائها على الأماكن المقدسة وهكذا ارتبط طلب العلم أيضاً بأداء فريضة الحج وزاد من عدد الرحلات الدراسية إلى هذه البقاع"[١]، فعن الزهري قال:"مكثت خمسا وثلاثين سنة أنقل أحاديث أهل الشام إلى أهل الحجاز، وأحاديث أهل الحجاز إلى الشام"[٢].

ومن العوامل التي ساعدت على تطور الحياة العلمية في الشام دعم وتشجيع الخلفاء للعلماء ، فقد أنفق الخلفاءُ على العلماء ومن حبسوا أنفسهم للعلم "فقد أُثر عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى والي حمص: انظر إلى القوم الذين نصبوا أنفسهم للفقه وحبسوها في المسجد عن طلب الدنيا فاعط كل رجل منهم دينارا يستعينون به على ما هم عليه من بيت المال حين يأتيك كتابي هذا فإن الخير أعجله والسلام"[٣].

لقد احتل العلماء مكانةً عاليةً لدى الخلفاء فقد كان عبد الملك بن مروان[٤] يستضيف عالمة الشام أم الدرداء في قصره ويذهب إلى مؤخرة المسجد لتحيتها والحديث معها، وكان يجلس معها في صخرة بيت المقدس، حتى إذا نودي للصلاة قامت تتوكأ عليه حتى يدخل المسجد[٥].

[١] أبيض ، ملكة : التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة ط١، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٠م،ص:١٤٤.

[٢] ابن عساكر ، علي ابن الحسن :تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق، ٣٤١/٥٥.

[٣] الجوزي، جمال الدين أبي الفرج: سيرة عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد ط١،دار الفجر للتراث ، القاهرة، ١٤٢٠هـ ، ص:٨٦.

[٤] عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو الوليد من أعظم الخلفاء ودهاتهم نشأ في المدينة فقيه واسع العلم متعبدا ناسكًا انتقلت إليه الخلافة في موت سنة٦٥هجرية، وتوفي في دمشق سنة٨٦هجرية (الزركلي، خير الدين: الأعلام ،مرجع سابق، ١٦٥/٤).

[٥] الذهبي، شمس الدين محمد: سير أعلام النبلاء ، مرجع سابق، ٢٧٩/٤.

ولقد تطورت الشام في ذلك العصر تطورا عظيما واحتلت مكانة عالية ليس فقط في المجال العلمي، بل في المجال الاجتماعي الحياتي ، فقد ظهر الترف بسبب الفتوحات الإسلامية العديدة ، ودخل إلى بيت المال الكثير من المال والغنائم بالإضافة إلى الخراج ، وبما أن الشام هي العاصمة، فقد عنى بها الخلفاء عناية تامة، وقدم إليها الناس من كل مكان، فهي واجهة الحضارة في ذلك العصر .

وهناك عامل مهم لعب دوراً بارزاً في ثقافة أهل الشام، وهو ظهور كثير من الفرق التي كانت تروج لأفكارها ومعتقداتها، واتخذت التربية والتعليم منبراً تعرض فيه أفكارها ومعتقداتها ، ومن هذه الفرق، الخوارج والشيعة والمرجئة "وظهرت بدمشق حاضرة الأمويين بتأثير بعض العوامل المسيحية خلال النصف الثاني من القرن الأول الهجري"[1] ،كل هذه العوامل أدت إلى تطور التعليم في الشام في العصر الأموي وازدهاره.

وجاءت هذه الدراسة لإلقاء الضوء على التعليم وتطوره في الشام في العصر الأموي، فقد تعددت المؤسسات التربوية في الشام في العصر الأموي.

وكان التعليم في تلك المؤسسات يصاغ لطلبة العلم بعدة طرق ووسائل منها التلقين، وطريقة الموعظة، والإملاء، وطريقة القراءة والعرض، والتعليم بالقصة، وطريقة القدوة، وطريقة الترغيب والترهيب، والسؤال والجواب.

أما العلوم التي كانت تدرس في الشام في ذلك العصر فقد انقسمت إلى أربعة أقسام أهمها: المواد الدينية والتي كانت محور الدراسة ومن ثم العلوم اللغوية والمواد التاريخية وأخيرا المواد العقلية.

أما تمويل التعليم في الشام فقد اعتمد على عدة مصادر، منها ما كان من الدولة بالإضافة إلى إنفاق المعلمين والطلاب وكذلك الوقف، وما كان من هبات وإعانات، ساهمت في شكل فعال في انتشار التعليم.

---

[1] حسن، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، مرجع سابق، ص:٤١٦-٤١٧.

موضوع الدراسة:

لقد تخرج على يد رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم أجيال كثيرة من الصحابة رضوان الله عليهم الذين حملوا راية الإسلام وعلموها لمن جاء بعدهم من التابعيين الذين قاموا بـدورهم في حمل هذه الرسالة، ومازال تتابع أجيال هذه الأمة في حمل رسالة التربية والتعليم لمـن خلفهم سائراً في حياة هذه الأمة المباركة. إلا أن دور الأمة في حمل هذه الرسالة بدأ يضعف في الأزمان المتأخرة فكان لابد من الرجوع إلا تلك الأزمنة الوضيئة من حياة الأمة والعيش فيها والإطلاع عن كتب على سير أولئك العظماء الذين أثروا الحيـاة العلميـة والتربويـة والإفادة ممن استخدموه من مناهج وطرق وأساليب تربوية وتعليمية كان لها الأثر العظـيم على حياة الأمة في تلك العصور.

ومن هذه العصور الزاهرة بعد عصر الخلفاء الراشدين العصر الأموي الذي يمثل فتـرة مـن الفترات الذهبية في حياة الأمة الإسلامية ولقد اختارت الباحثة الشام بالذات لأ ا حظيـت بالنصيب الأوفر من عناية الخلفاء في ذلك العصر لكو ا عاصمة الخلافة ومقر الرئاسة هـذا بالإضافة إلى كو ا أول مركز استقبل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم خارج الجزيرة العربية، هذا بالإضافة إلى موقعها الجغرافي المتوسط بين جميع أقطار العالم الإسلامي وتعـدد ثقافات أبنائها من أصحاب الديانات الأخرى والتي ساهموا بدورها في النشاط العلمي.

تساؤلات الدراسة:

التساؤل الرئيس :

- ما أبرز ملامح النظام التعليمي في الشام في العصر الأموي؟

ويتفرع من هذا التساؤل التساؤلات الآتية:

- ما أبرز العوامل التي أثرت على الحركة التعليمية في الشام في العصر الأموي؟
- ما المؤسسات التعليمية التي كانت منتشرة في بلاد الشام في العصر الأموي؟
- ما أهداف التعليم في الشام في العصر الأموي وأبرز طرقه وأساليبه ؟
- ما العلوم التي كانت تدرس في المؤسسات التعليمية في الشام في العصر الأموي؟
- ما مصادر تمويل التعليم في الشام في العصر الأموي؟

أهداف الدراسة:

يتمثل الهدف الرئيسي لهذه الدراسة في **:**

- التعرف على أبرز ملامح النظام التعليمي في الشام في العصر الأموي.

أما الأهداف الفرعية فهي :

- التعرف على أبرز العوامل التي أثرت على الحركة التعليمية في الشام في العصر الأموي.
- التعرف على المؤسسات التعليمية في الشام في العصر الأموي.
- التعرف على أهداف وطرق وأساليب التعليم في الشام في العصر الأموي.
- التعرف على العلوم التي كانت تدرس في المؤسسات التعليمة في الشام في العصر الأموي.
- التعرف على مصادر تمويل التعليم في الشام في العصر الأموي.

أهمية الدراسة:

وتتمثل فيما يلي :

- الحاجة الماسة لدراسة التعليم ومناهجه وأساليبه وطرق التدريس في العصور الإسلامية الأولى وخصوصا في العصر الأموي في الشام بالتحديد، فعلى الرغم من اهتمام الباحثين بدراسة تاريخ التربية والتعليم في الإسلام، إلا أنه لم توجد دراسة تتناول هذا الموضوع مستقلاً – بحسب اطلاع الباحثة- إلا ما ورد عرضا في بعض الدراسات والكتب.
- الثراء الفكري والتربوي الذي تتميز به الحضارة الإسلامية في العصر الأموي عما سواها، إذ أننا بعد كل تجاربنا في حقل التربية والتعليم وتطلعنا المستمر إلى الشرق والغرب وفشل الكثير من هذه التجارب حين نقلت لنا ثبت أن تربيتنا لا تستطيع أن تغض الطرف عن تراثنا الإسلامي بما يحمله من قيم مادية وروحية باقية على الدهر[١].
- تميز هذه الدراسة عن الدراسات التي تناولت النظام التعليمي الإسلامي في العصور الإسلامية الأولى بشموليتها وتركيزها على التعليم في العصر الأموي وفي الشام بالتحديد.

---

[١] عبد العال ، حسن :التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، الشركة المتحدة ، القاهرة ، ١٩٧٨م ،ص:٣١.

- أن هذه الفترة من تاريخ الشام غير واضحة المعالم في أذهان الكثيرين ذلك أن الكتب التي أُلفت خلالها ضاع معظمها. ومعظم ما وصل عنها يشوبه التحيز للخلفاء العباسـيين أو يتسم بـ عات مذهبية[١].
- نظرا لأهمية الحضارة في القرون الثلاثة الأولى فقد نال اهتمام الباحثين في شتى مجـالات العلوم والمعرفة إلا أن هذه الفترة الزاهرة من تاريخ الأمة الإسلامية تحتاج إلى مزيد مـن البحث والدراسة في مجال التربية والتعليم وربط الماضي بالحاضر ولنستفيد من إيجابيـات التربية الإسلامية في تربيتنا المعاصرة وأن تعمل الدولة على نشر هذا التـراث العلمـي العظيم محققًا وملخصا حتى يعلم الشباب من أمة الإسلام مكانـة أمتـهم في التـاريخ ويستفيدوا من تجار ا في ا ال العلمي.
- تكمن أهمية هذا الموضوع أيضا في أن ذلك العصر كان شبيها بعصرنا الحاضر من حيث أنه كان عبارة عن مفترق طرق، فالعصر الأموي كان عصر فتوحات اخـتلط العـرب المسلمون بغيرهم من الشعوب الأخرى من فرس وروم فكيف تعامل المسلمون مع هذه الحضارات وتلك العلوم والفنون مع الحفاظ على الهوية الإسلامية، وكيف كان ذلـك القرن قرن حضارة وتقدم من الناحية العلمية حتى استطاع المسلمون أن يصبحوا بحـق قواد لعجلة التربية والتعليم لقرون عدة، فعصرنا الحاضر عصر انفتاح على الغرب، عصر عولمة، فكيف نستطيع التفاعل والاستفادة من الغرب مع الحفاظ على هويتنا الإسلامية.

◄ منهج الدراسة :

استخدمت الباحثة المنهج التاريخي لكي تستطيع تتبع عملية التعلـيم في الشـام في العصـر الأموي، والمنهج التاريخي "هو المنهج الذي يهتم بجمع الحقائق والمعلومات من خلال دراسة الوثائق والسجلات والآثار "[٢]

ويعرفه صالح العساف "بأنه المنهج الذي يمكن به إجابة سؤال عن الماضي بواسطة مجهود علمي كبير يبذله الباحث متمثلاً في محاولة لاستنتاج العلاقة بين الأحداث والرابط بينها مستنداً في ذلك إلى ما يستقيه من أدلة علمية صحيحة تبرهن استنتاجه"[١].

---

[١] أبيض ، ملكة : التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة ، مرجع سابق، ص:٥٦.

[٢] عبيدات، ذوقان وأخرون: البحث العلمي مفهومة وأدواته وأساليبه، ص:١٧٩.

وقد قامت الباحثة بتتبع النصوص التاريخية التي تناولت التعليم في الشام خلال الحكـم الأموي من مصادره الأصلية وعرضها ومن ثم تحليلها والتعليق عليها مستشهدة بـبعض المواقف التربوية والتعليمية لروادها من العلماء والخلفاء وجهودهم في ا ال العلمي.

حدود الدراسة :

تقتصر هذه الدراسة:

موضوعيا :النظام التعليمي في الشام في العصر الأموي.

مكانيا: إقليم الشام الذي يمتد جغرافيا من "الفرات إلى العريش المتاخم للديار المصرية وأمـا عرضها فمن جبل طيء بنحو القبلة إلى بحر الروم"[٢].

زمانيا: العصر الأموي الفترة الممتدة من سنة ٤١ هـ - ١٣٢ هـ .

تحديد المصطلحات :

يقصد بالتعليم في الشام في هذه الدراسة، كل أشكال الاتصال التي كانـت تحـدث بـين المعلمين والمتعلمين في الشام في زمن دولة بني أمية سواء أكان المقصود منها التعليم المباشـر، أو تلك التي تمت بغير قصد التعليم لذاته بل كان الهدف منها الوعظ أو التذكير وكان ذلك من خلال المؤسسات التعليمية المنتشرة في الشام في ذلك العصـر والمتمثلـة في الكتاتيـب والمساجد وقصور الخلفاء والأمراء ومنازل العلماء.

الدراسات السابقة:

بعد الإطلاع على قائمة الدراسات السابقة، والتي حصلت عليها الباحثة من مركز الملـك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، وبعد الإطلاع على ما توفر لديها خـلال فترة كتابة الخطة من كتب وبحوث علمية لم تعثر الباحثة إلا على دراستين تناولت بعـض جوانب هذا الموضوع والتي تمثلت في:

---

[١] العساف، صالح:المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية ، ص:٢٨١.

[٢] الحموي، ياقوت : معجم البلدان ، دار الفكر، بيروت، ت:د،٢١٩/٥.

١. دراسة قام ا خليل داوود الزرو ، بعنوان: (الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني للهجرة)[١].

وقد هدفت الدراسة إلى التعرف على أشهر العلوم المنتشرة في الشام في القرنين الأول والثاني للهجرة، ومراحل تطورها وأشهر رجالها، وقد كان منهج الباحث هو المنهج التاريخي، ومن أهم النتائج التي توصل إليها هو أن الحياة العلمية في الشام خلال القرنين الأوليين للـهجرة سار في ثلاثة اتجاهات أولها الاتجاه الديني حيث حض الإسلام على العلم وحث على طلبـه ورفع من شأن المتعلمين وأخذ يبحثون في كافة النواحي الدينية من تفسير وقراءات وحديث وفقه و مغازي وسير ولم تقتصر العلوم الشامية على الناحية الدينية بـل تعـدد ذلـك إلى النواحي العلمية الطبيعية كالكيمياء والطب والهندسة المعمارية، مما يؤكد حـرص العـرب المسلمين على عدم التفريق بين علم ديني أو دنيوي، مع أن العلوم الدينية كانت تحوز قـدرا أكبر من العناية إلا أن ذلك لا يمنع من أن المسلمين قد حرصوا أيضا على الناحية العلميـة الدنيوية كما كان له ثمرته بعد ذلك في العصر العباسي في العراق حيث بلغت هذه العلـوم ذرو ا.

وتتشابه هذه الدراسة مع الدراسة الحالية في تناولها لبعض العلوم المنتشرة في الشـام خـلال العصر الأموي.

أما أوجه الاختلاف فتكمن في أن هذه الدراسة تقتصر على العلوم السائدة في الشام خلال القرنين الأول والثاني الهجري، أما الدراسة الحالية فهدفها دراسة التعليم في الشـام بجميـع نواحيه في عصر الدولة الأموي (٤٠-١٣٢هـ).

٢. دراسة قامت ا ملكة أبيض بعنوان (التربية والثقافة الإسلامية في الشام والجزيـرة خلال القرون الثلاثة الأخيرة بالاستناد إلى مخطوط تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر)[٢].

وقد هدفت الدراسة إلى التعرف على الوضع الثقافي والتربوي في بلاد الشـام والجزيـرة في ثلاثة القرون الأولى للهجرة منذ الفتح العربي الإسلامي لبلاد الشام وحتى بداية القرن الرابع.

---

[١] وهي دراسة مطبوعة ، دار الآفاق الجديدة، لبنان، ت:د.

[٢] وهي دراسة مطبوعة، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٠م.

واستخدمت الباحثة المنهج التاريخي، واعتمدت مرجعا رئيسا وهو (تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر).

ومن النتائج التي توصلت إليها الباحثة فيما يخص الشام في العصر الأموي، بأنه حصلت عدة منجزات في مجال العلوم الدينية وفي مجال اللغة والأدب وكذلك في مجال العلوم القديمة الـتي كانت عند غير العرب، وأن جميع هذه المنجزات التي تمت في عهد الأمويين وضعت أساسا متينا لازدهار الثقافة العربية الإسلامية الذي تجلى في الفترة العباسية الأولى.

وتتشابه هذه الدراسة مع الدارسة الحالية في تناولها للحركة التعليمية في الشـام في العصـر الأموي.

أما أوجه الاختلاف فتكمن في أن هذه الدراسة شملت التربية والثقافة العربيـة الإسـلامية خلال القرون الأولى للهجرة وارتكزت في مرجعها الأساس على كتاب تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر.

بينما الدراسة الحالية هدفها دراسة التعليم في الشام في العصر الأموي فقط من عـام (٤٠-١٣٢هـ).

الفصــل الثاني

الأوضاع العامة في الشام في العصر الأموي وتأثيرها على الحركة العلمية

الأوضاع العامة في الشام في العصر الأموي وتأثيرها على الحركة العلمية

تمهيد

لقد شهدت البلاد الكثير من الفتن والنزاعات منذ بداية حكم بني أمية وانقسم المسلمون فيها إلى عدة فرق ومذاهب وكان السبب الرئيس فيها هو تغير نظام الخلافة من الشورى إلى الوراثة، " فلقد ابتدع معاوية نظاماً جديداً في الخلافة فأخرجها من دائرة الشورى والانتخاب إلى التعيين والوراثة، ومن نظام الحكم الجمهوري إلى الحكم الملكي، وذلك بإعلام البيعة ليزيد ابنه خليفة من بعده وحمله الناس على ذلك"[١]، فقد أصبح الحكم ميراثًا ينقل من الأب إلى الابن أو من الأخ إلى أخيه، ولقد بين لنا ابن خلدون[٢] سبب تغير الخلافة إلى ذلك الحال، حيث قال:

"فعهد معاوية إلى يزيد[٣] خوفاً من افتراق الكلمة بما كانت بنو أمية لم يرضوا تسليم الأمر إلي من سواهم فلو عهد إلى غيره اختلفوا عليه مع أن ظنهم كان به صالحاً ولا يرتاب أحد في ذلك ولا يظن بمعاوية غيره فلم يكن ليعهد إليه وهو يعتقد ما كان عليه من الفسق حاشا الله لمعاوية من ذلك، وكذلك كان مروان بن الحكم[٤] وابنه، وإن كانوا ملوكاً لم يكن مذهبهم في الملك مذهب أهل البطالة والبغي، إنما كانوا متحرين لمقاصد الحق جهدهم إلا في ضرورة تحملهم على بعضها مثل خشية افتراق الكلمة الذي هو أهم لديهم من كل مقصد يشهد لذلك ما كانوا عليه من الاتباع والاقتداء وما علم

---

[١] النجار،محمد الطيب:تاريخ العالم الإسلامي الدولة الإسلامية في الشرق ، مكتبة المعارف، الرياض،١٤٠٦هـ، ص:٦٨

[٢] عبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي أصله من اشبيلية. ومولده ونشأته بتونس ولد عام٧٣٢هـ، رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس وتولى أعمالاً ثم توجه إلى مصر فأكرمه سلطانها الظاهر برقوق وولي فيها قضاء المالكية توفي بالقاهرة سنة٨٠٨هـ كان فصيحا، عاقلا، عالمًا، وباحثًا ومؤرخا، وله من الكتب (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر) وقد ترجمت أجزاء منه إلى الفرنسية وغيرها. وكتاب (شرح البردة) وكتاب في(الحساب) ورسالة في (المنطق) و(شفاء السائل لتهذيب المسائل) وله شعر. (الزركلي، خير الدين: الأعلام ،مرجع سابق، ٣٣٠/٣).

[٣] يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي، ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام، ولد بالماطرون ونشأ بدمشق ولي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٦٠هجرية، ومدته في الخلافة ٣سنين و٩أشهر (الزركلي، خير الدين: الأعلام ،مرجع سابق، ١٨٩/٨).

[٤] مروان بن الحكم بن أبي العاص ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو عبد الملك، خليفة أموي، وهو أول من ملك من بني الحكم بن أبي العاص، توفي سنة٦٥هجرية (الزركلي، خير الدين: الأعلام ،مرجع سابق، ٢٠٧/٧).

السلف من أحوالهم ومقاصدهم فقد احتج مالك في (الموطأ) بعمل عبد الملك وأما مروان فكان من الطبقة الأولى من التابعين وعدالتهم معروفه ثم تدرج الأمر في ولد عبدالملك وكانوا من الدين بالمكان الذي كانوا عليه وتوسطهم عمر بن عبدالعزيز فنزع إلى طريقة الخلفاء الأربعة والصحابة جهده ولم يهمل، ثم جاء خلفهم واستعملوا طبيعة الملك في أغراضهم الدنيوية ومقاصدهم ونسوا ما كان عليه سلفهم من تحرى القصد فيها واعتماد الحق في مذاهبها فكان ذلك مما الناس إلى أن نعوا عليهم أفعالهم وأدالوا بالدعوة العباسية "[١].

فلقد كانت دولة بني أمية دولة إسلامية تحكم بشرع الله وسنه نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وتعمل على رفع راية الإسلام ونشره في جميع بقاع الأرض ما استطاعت لذلك سبيلاً " فلقد أخذ بنو أمية على عاتقهم عندما أصبحوا حكام العالم الإسلامي أن يتابعوا سياسة الفتح التي بدأها من سبقهم وعهدوا إلى جنودهم وولاتهم العرب في المناطق المفتوحة لتثبيت سلطانهم ونشر الإسلام والعربية أينما حلّوا "[٢]، فقد كان عصر بني أمية عصر فتوحات "فقد اتسعت المملكة الإسلامية من الجهة الشرقية في السند والصغد وبلاد الترك. ومن الجهة الشمالية في أذربيجان وأرمينيا وبلاد الروم في الجهة الغربية في أفريقيا والأندلس"[٣]، هذا على الصعيد الخارجي أما على الصعيد الداخلي فقد شهدت الدولة الأموية منذ نشأتها مجموعة من الحركات الفكرية والثورية التي بدورها أدت إلى ظهور كثير من الفتن

"فقد تولى معاوية أمر الأمة وهي أقسام ثلاثة : القسم الأول: شيعة بني أمية من أهل الشام ومن غيرهم في سائر الأمصار الإسلامية. القسم الثاني: شيعة علي بن أبي طالب وهم الذين كانوا يحبونه ويرون أنه أحق بالأمر من معاوية وغيره وأن أعقابه أحق بولاية المسلمين من غيرهم ومعظم هؤلاء كان ببلاد العراق وقليل منهم بمصر . القسم الثالث : الخوراج وهم أعداء الفريقين يستحلون دماء مخالفيهم ويرونهم مارقين من الدين وهم أشداء

---

[١] ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد : تاريخ ابن خلدون (العبر وديوان المبتدأ والخبر) ، تحقيق أبو صهيب الكرمي ،بيت الأفكار، الأردن، ت:د،ص:١٠٦.

[٢] أبيض ، ملكة : التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة ط١، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٠م، ص:٥٠١.

[٣] الخضري، محمد بك : الدولة الأموية ، المكتبة العصرية، صيدا، ١٤٢٥هـ، ص:٣٩٤.

الشكيمة متفانون فيما يعتقدون ، و يرون أن أول واجب عليهم قتال معاوية ومن تبعه وقتال شيعة علي لأن كلا قد ألحد على زعمهم في الدين"[١]

فقاموا بإخماد هذه الفتن والقضاء عليها وتعيين الولاة الأشداء على مواطن وجودها حتى يستطيعوا أن يحكموا قبضتهم عليها.

وقبل الحديث عن الحالة السياسية في الشام في العصر الأموي لابد وأن نلقي الضوء على مؤسس الدولة الأموية:

الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه:

هو معاوية بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي،ولد بمكة، وأسلن يوم فتحها، سنة٨هـ ، صحابي جليل، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة أحاديث، من كتاب الوحي، شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا، قال عنه محمد بن سيرين: "كان معاوية رضي الله عنه لا يتهم في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم"[٢].

توليه الخلافة:

ولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام بعد وفاة أخيه يزيد بن أبي سفيان، فلم يزل عليها مدة خلافة عمر رضي الله عنه وأقره عثمان بن عفان رضي الله عنه، ولما قُتل علي بن أبي طالب سار معاوية من الشام إلى العراق فـ ل بمسكن ناحية حربى إلى أن وجه إليه الحسن بن علي فصالحه، وقدم معاوية الكوفة فبايع له الحسن بالخلافة، وسمي عام الجماعة.

أهم أعماله الداخلية:

١. نظّم الدواوين، فقد أصبح لها أصحاب، وأصبح لها أختام وهي مرتبة على الطريقة الرومية.
٢. نظّم البريد بأن جعله يسير بقوافل مرتبة، تصل به القافلة إلى مركز فتجد الأخرى بانتظارها لتسير به وهكذا.

---

[١] الخضري، محمد بك : الدولة الأموية ، مرجع سابق، ص:٢٩٧.
[٢] ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ،مرجع سابق، ١٦٧/٥٩.

٣. أنشأ المصانع على الطرقات، وهي آبار المياه فربط بين أجزاء الدولة ربطًا محكما.
٤. وضع نظام جديد وهو نظام ولاية العهد وذلك بتولية ابنه يزيد خليفة للمسلمين من بعده[١].

الفتوح في عهده:

لقد وجه معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه جيوش المسلمين نحو الشمال والغرب حيـث مملكة الروم، فرتب الغزو إليها برا وبحرا، فكانت الأساطير في زمنه كثيرة لاهتمامه بأمرهـا وافتتح ا عدة جهات، منها جزيرة قبرص وبعض جزائر اليونان وجزيرة رودس وأما في البر فقد رتب الصوافي والشواتي، وجهز عام٤٨ جيشا عظيما لفتح القسطنطينية ولكنه لم يتمكن من فتحها.

ومن الفتوح العظيمة ماكان في أفريقيا سنة ٥٠ فقد فتح القيروان على يد عقبة بن نـافع، وهذا ولم يهمل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه المشرق فقد قام بإرسال الجيوش لفـتح إقليم فرسان وسجستان وماوراء النهر[٢].

وفاته:

توفي رضي الله عنه في رجب سنة ٦٠هـ بدمشق وكانت خلافته ١٩سنة و٣أشهر[٣].

[١] العش، يوسف: الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداء من فتنة عثمان ،مرجع سابق، ص:١٥٨.
[٢] الخضري، محمد بك : الدولة الأموية ، مرجع سابق، ص:٣٠٩.
[٣] ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ،مرجع سابق، ٥٥/٥٩.

أولاً :الحالة السياسية في الشام:

انتقلت عاصمة الخلافة في العصر الأموي إلى الشام فقد جعل معاوية بن أبي سفيان عاصمة خلافته دمشق "ولعل من ضمن الأسباب التي حدت بمعاوية لأن يتخذ من دمشق عاصـمة للدولة الأموية هو معرفته الجيدة بأهل الشام وثقته التامة فيهم وفي ولائهم له فقـد أمضـى معاوية رضي الله عنه هناك قرابة عشرين عاماً أميراً على بلاد الشام ، كان خلالهـا يتمتـع بشعبية كبيرة بينهم . ولعل معاوية رضي الله عنه كذلك كان يشـعر أن اسـتمرار دولـة الأمويين يعتمد في درجة كبيرة على مدى المساعدة التي يقدمها إليه أهل الشام خاصة "[1]
إذ كانت الشام من الناحية السياسية آمنة فقد كانت بعيدة عن الفتن والصراعات نوعاً مـا ولكن حدثت بعض الفتن التي أدت إلى زعزعة أمنها واختلالها عدة مرات ولكن ما تلبث أن تعود بعد أن يمسك بزمامها خليفة من بني أمية عظيم يعيد لها استقرارها وأمنها ويلم شتات خلافها فتتعاون معه وتعمل بجد في طاعته ونصرته.
"الواقع أن معاوية منذ أيام ولايته أدرك طباع أهل الشام وأخلاقهم فماشـاهم وساسـهم أحسن سياسة فأخلصوا له أشد الإخلاص وحفظوا له أطيب الذكرى والتفوا حول بيته حتى أصبح آل أميه وجه دمشق المشرق "[2]، ومن هذه الأحداث التي زعزعت أمن الشام:

١. وفاة معاوية بن يزيد[3]

فعندما توفي معاوية بن يزيد كان أخوه خالد بن يزيد صغيرا وكان ابن الزبير يدعو بالبيعـة إلى نفسه وقد بايع له الناس من أنحاء الدولة.

"فرأى فريق من جند الشام – على رأسهم الضحاك[4] بن قيس أمير دمشق –
أن يبايعوا لابن الزبير وحتى مروان بن الحكم كبير بني أمية فكر في الذهاب إلى ابن

---

[1] العقيلي،عمر سليمان: خلافة معاوية بن أبي سفيان ، ط١، جامعة الملك سعود، الرياض، ص:٧٠.
[2] الصلابي، علي محمد: الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الإ يار ، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ ، ٦٢٣/٢.
[3] معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، من خلفاء بني أمية في الشام، بويع بدمشق بعد وفاة أبيه سنة٦٤هجرية، فمكث أربعين يوما أو ثلاثة أشهر توفي سنة٦٤هجرية وعمره ٢٣سنة (الزركلي، خير الدين: الأعلام ،مرجع سابق، ٢٦٣/٧).
[4] الضحاك بن قيس بن خالد الأكبر ابن وهب بن ثعلبة بن واثلة بن عمر بن شيبان بن محارب بن فهر،زعيم القيسيين في الشـام، وكـان أميرا من أمراء معاوية ويزيد، قُتل بمرج راهط سنة٦٤هجرية (ابن سعد، محمد :الطبقات الكبرى ، مرجع سابق، ٣٨٨/٧).

الزبير، ليبايعه ويأخذ منه الأمان ولكن سائر الجند والقادة بزعامة حسان بن مالك[١] زعيم القبائل اليمينة -الذين كانوا أقوى المؤيدين لبني أمية وهم أخـوال يزيـد- رفضوا أن يخرج الأمر عن بني أمية وأن يبايعوا لابن الزبير فحدث خلاف شـديد ولبثت الشام ستة أشهر بدون إمام "[٢].

فانقسمت الشام إلى قسمين ونشب الصراع بين القيسيين واليمانيين،"ولقد توجه الضـحاك بأنصاره إضافة إلى إمدادات أهل حمص وقنسرين وفلسطين نحو مرج راهط بدمشق واجتمع بنو أمية تحت قيادة حسان بن مالك بن بجدل بالجابية وبايعوا مروان بـن الحكـم خليفـة للمسلمين وعلى أن تكون الخلافة من بعده لخالد بن يزيد ثم لعمرو ابن سعيد بن العاص "[٣]، ثم قصد مروان بعد أن بايعه الناس بمرج راهط لمقاتلة الضحاك بن قيس وجنده، "وتحـارب مروان والضحاك في مرج راهط عشرين ليلة، واقتتلوا قتالاً شديدا وقُتلَ الضحاك، وقُتلَ معه ثمانون رجلا من أشراف أهل الشام، وقُتل أهلُ الشامِ مقتلةً عظيمة، وقتلت قيس مقتلـة لم تقتل مثلها في موطنٍ قط"[٤]، وبعد هذا الانتصار استقر الشام لمروان وخضعت لـه جميـع مناطقها ولكن هذه الموقعة كانت عبارة عن بداية لثورات ونزاعات أخرى أدت إلى تصدع خلافة بني أمية وسقوطها "فقد أذكت هذه الموقعة نار العصبية من جديد، ليس في الشـام وحدها، بل في سائر الولايات الإسلامية، وخاصة في خراسان، وظهر العداء بـين اليمنيـة والمضرية في سورة نزاع متصل بين عرب الشمال وعرب الجنوب"[٥].

وقد لعب عبد الملك "دور الوسيط في الحروب بين قيس وأعدائها ولم يمل إلى طائفـة دون أخرى بل سعى إلى درء الفتنة متخذاً موقف السيد الذي يعاقب الطرفين ويصلح بينهما، وما كاد ينتهي من حروبه مع ابن الزبير حتى أسرع في توجيه العرب إلى حرب الروم وبـذلك

---

[١] حسان بن مالك بن بحدل بن أنيف أبو سليمان الكلبي أمير بادية الشام، كان من القادة في جيش معاوية يوم صـفين ثم آزر مـروان في حربه مع الضحاك توفي سنة٦٥هجرية(الزركلي، خير الدين: الأعلام ،مرجع سابق، ١٧٦/٢).

[٢] الصلابي، علي محمد: الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الإ يار ، مرجع سابق، ٥٨٥/١.

[٣] طهبوب، صلاح :العصر الأموي ، ط٤،دار أسامة، عمان، الأردن ، ص:٤١.

[٤] ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي:الكامل في التاريخ ،تحقيق:علي شيري ،ط١،دار إحياء التراث العربي،بيروت،١٤٢٥هـ ، ٣٦٠/٣.

[٥] حسن، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ط٧، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، ١٩٦٤م، ٢٩٠/١.

أوقف خصامهم وقضى على فتنهم واستمر الأمويون يوجهون أعراب الشام إلى حرب الروم فيقطعون دابر الفتن بينهم "[١].

٢. وفاة هشام بن عبد الملك[٢]

ولكن ما لبثت أن ظهرت الفتنة مرة أخرى في الشام وكان ذلك بعد وفاة هشام بن عبد الملك، فقد تولى الوليد بن يزيد بن عبد الملك الحكم، وقد كان يكن الكره والبغض لعمه هشام بن عبد الملك لأنه أراد أن يـ ع ولاية العهد منه، "حجز أموال هشام بالرصافة وقبض على أولاده وجلد بعضهم وأخذ سليمان بن هشام[٣] الذي اشتهر في حرب الثغور فضربه بالسوط وسجنه كذلك وأساء معاملة خالد بن عبد الله القسري[٤] عامل الأمويين السابق على العراق إرضاء ليوسف بن عمر الثقفي من أقرباء الحجاج الذي كان يعاند خالداً وولى بعد بالعراق "[٥]، وكان خالد زعيم اليمنية وقد كان الوليد بن يزيد مواليا للمضريين "لأن أمه أمه كانت منهم وقد أقصى العنصر اليمني، فأثار هذا عوامل السخط والغضب في نفوس اليمنية عليه بعد أن قتل زعيمهم وأقصاهم من مناصب الدولة"[٦] فأوغر بذلك صدورهم وكانوا يشكلون قوة كبيرة في الشام وخرسان فانضموا إلى يزيد بن الوليد الأول ووقفوا خلفه يحرضونه على الثورة ضد الوليد.

---

[١] العش، يوسف: الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداء من فتنة عثمان ،ط٥ ، دار الفكر، دمشق سوريا ،١٤١٩هـ ـ ص:٢٤٠.

[٢] هو هشام بن عبد الملك بن مروان، من ملوك الدولة الأموية في الشام، ولد في دمشق وبويع فيها بعد وفاة أخيه يزيد سنة١٠٥هجرية توفي بالرقة سنة١٢٥ (الزركلي، خير الدين: الأعلام ،مرجع سابق، ٨٦/٨).

[٣] سليمان بن هشام بن عبد الملك بن مروان من بني أمية أمير نشأ في دمشق وغزا في زمن أبيه أرض الروم وفتح إحدى مد ا، طمح في الخلافة أيام مروان بن محمد فهزمه مروان وقُتل على يد السفاح (المرجع السابق، ١٣٧/٣).

[٤] أبو يزيد وأبو الهيثم خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كُرس البجلى ثم القَسري، كان أمير العراقيين من قبل هشام بن عبد الملك الأموي، أمه كانت نصرانية ولجده يزيد صحبة مع الرسول صلى الله عليه وسلم، كان فصيحا كريما، قُتل زمن الوليد بن يزيد سنة١٢٦هجرية(خلكان، أبي العباس شمي الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر:وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،مرجع سابق، ٦/٢).

[٥] طهبوب، صلاح :العصر الأموي ، مرجع سابق، ص:٢٤٧.

[٦] حسن، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، مرجع سابق، ٣٣٩/١.

فأقبل يزيد إلى دمشق واستولى عليها وقد بايع أكثر أهلها له بالخلافة "وجهز جيشاً لمقاتلـة الوليد عليه عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك فذهب إليه وهو بالأغدف من أرض عمان فقاتله فقتل "[١].

والواقع أن هذه الأحداث شكلت النهاية للحكم الأموي وذلك بانقسام البيت الأموي على نفسه ونشوب الـ اع بين القيسيين واليمانيين[٢] الذين كان لهم دور كبير في تأسيس الخلافـة الأموية في الشام فلما قتل الوليد أساء اليمنيين للقيسيين "فثار أهل حمـص ووثـب أهـل فلسطين على عاملهم سعيد بن عبد الملك فطردوه وكان قد استعمله عليهم الوليد وأحضروا يزيد بن سليمان بن عبد الملك فجعلوه عليهم وقالوا له : إن أمير المؤمنين قد قتل فتول أمرنا فوليهم ودعا الناس إلى قتال يزيد فأجابوه وكان ولد سليمان يـ لون فلسطين وبلـغ أهـل الأردن أمر أهل فلسطين فولوا عليهم محمد بن عبدالملك، واجتمعوا معهم على قتال يزيد بن الوليد[٣] "[٤].

ولما بلغ خبرهم يزيد بن الوليد أرسل إليهم من يقاتلهم ويردهم، فاستتب له الوضع " علـى أن خلافة يزيد لم تطل إلا نحواً من ستة أشهر فقد مات في العام نفسه الذي ولي فيه وذلك بعد أن استخلف إبراهيم بن الوليد "[٥].

" غير أنه لم يتم له الأمر فكان يسلم عليه تارة بالخلافة، و تارة بالإمارة، وتارة لا يسلم عليه بواحدة منهما، فمكث أربعة أشهر وقيل سبعين يوماً ثم سار إليه مروان بن محمد[١] فخلعه"[٢].

فخلعه"[٢].

---

[١] الخضري، محمد بك : الدولة الأموية ، مرجع سابق، ص:٣٨٥.

[٢] القيسيين هم قبائل من العرب وردوا الشام مع الفتوح، وتقدموا في بلاد الشام فاستقروا في جهات الشمال بالجزيرة، وقد كانوا عونـا لمعاوية بن أبي سفيان عند توليه الخلافة، أما اليمانيين فهم قبائل يمنية نزحت من اليمن إلى الشام منذ القدم، أي قبل دخول الإسلام إليهـا واستقروا فيها حتى عدوا من أصحاب البلاد الأصليين وأكثرهم كان من بني كلب والذين ناصروا معاوية عندما كان واليا عليهم فقـر م إليه وشكلوا مركز دعم له. (العش، يوسف: الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداء من فتنة عثمـان ،مرجـع سـابق، ص:١٨٦).

[٣] هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان أبو خالد، من ملوك الدولة الأموية في الشام، مولده ووفاته في دمشق، وسمي بالناقص لأنـه أنقص في أعطيات الجند (الزركلي، خير الدين: الأعلام ،مرجع سابق، ١٩١/٨).

[٤] طقوش، محمد سهيل: تاريخ الدولة الأموية ، ط٢، دار النفائس ، بيروت ، لبنان، ١٤١٨هـ ، ص:١٦٦.

[٥] ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي:الكامل في التاريخ ،مرجع سابق، ٣٨١/٤.

إلا أن الأمر لم يدم طويلاً لمروان بن محمد :

" فرغم ما كان يتمتع به مروان بن محمد من صفات مثل الشـجاعة والإقـدام وسداد الرأي وغيرها من الصفات التي تؤهله لمنصب الخلافة إلا أن الأقدار شـاءت أن تكتب على يديه ـاية الدولة الأموية وأن يكون هو الفصل الأخير في تاريخها وقـد لا يكون هو المسؤول الأول عن ذلك فإن العوامل التي أدت إلى زوال الدولة كانت تتفاعل منذ زمن بعيد، وقدر له وحده أن يصارع أحداثاً كانت كلها تعمل ضده وأول خطـر واجهه مروان هو انقسام الأمويين على أنفسهم والذي كان من أسوأ نتائجه انقسـام كتلتي العرب الرئيستين في الشام وهما اليمنيون والقيسيون فقد انقلب اليمنيـون ضـد مروان وانحاز القيسيون إليه وتظهر خطورة هذا الانقسام في أنه حدث في مقر الخلافـة الأموية وبين أكثر أنصار الأمويين قوة ولهذا كان اضطراب الأمـر في الشـام إيـذاناً باضطراب أمر الدولة كلها "[٣].

ومن الأمور التي أدت أيضا إلى ظهور الفتنة واتساعها وتمهيدها لنهاية الدولة الأموية هو تغير عاصمة الخلافة من دمشق إلى حران " فقد أساء نقل العاصمة من دمشق إلى حران إلى أهل الشام عامة، إذ شعروا بأ ـم خسروا المركز الممتاز لدمشق وما كان يجبره ذلك من خـيرات تتدفق عليهم لذا عمت النقمة بلاد الشام "[٤]، فثارت عليه جميع مناطقها، "فانتفض عليه أهل حمص وكان له معهم واقعة هائلة انتصر فيها عليهم وقتل منهم مقتلة عظيمة ثم خالف عليه أهل الغوطة فحار ـم وانتصر عليهم "[٥].

وبينما انشغل مروان بإخماد هذه الثورات وغيرها من خارج الشام قامت الدولة العباسـية بنشر دعو ـا "خاصة في خرسان التي كانت مركزاً للدعوة العباسية وقد انتشرت في المنطقة

---

[١] مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الأموي، أبو عبد الملك ويعرف بالجعدي نسبة إلى مؤدبه الجعد بن درهم، وهو من آخر ملوك بني أمية في الشام، قُتل سنة١٣٢هجرية(الزركلي، خير الدين: الأعلام ،مرجع سابق، ٢٠٩/٧).

[٢] ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي:الكامل في التاريخ ،مرجع سابق، ٣٩٢/٤.

[٣] عبد اللطيف، عبد الشافي محمد: العالم الإسلامي في العصر الأموي دراسة سياسية ، ط٣، دار الإتحاد التعاوني، القاهرة، ١٤١٧هـ ـ، ص:٢٠٩.

[٤] طقوش، محمد سهيل: تاريخ الدولة الأموية ، مرجع سابق ، ص:١٦٧.

[٥] ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي:الكامل في التاريخ ،مرجع سابق، ٤٠٤/٤.

انتشاراً واسعاً واستقامت الأمور فيها لبني العباس مما أدى إلى اقتناع الدعاة العباسيين بـأن الوقت قد حان للجهر ا "[1].

" وقد درات بين الجيش الأموي والعباسي رحى معركة عنيفة في شهر جمادى الآخرة عـام ١٣٢هـ استمرت أحد عشر يوماً انتهت زيمة مروان الذي انسحب بعد المعركة باتجـاه الموصل، لكن المدينة أغلقت أبوا ا في وجهه مما دفعه إلى الانسحاب نحو حران مقره إلا أن الجيش العباسي ظل يطارده فانسحب إلى حمص فالأردن ثم فلسطين وكانت تلك المدن فتح أبوا ا للجيش العباسي باستثناء مدينة دمشق التي دخلها العباسيون عنـوةً "[2]، وبسـقوطها سقطت الدولةُ الأمويةُ سنة ١٣٢هـ.

---

[1] طقوش، محمد سهيل: تاريخ الدولة الأموية ، مرجع سابق ، ص:١٨٠.

[2] طقوش، محمد سهيل: تاريخ الدولة الأموية ، مرجع سابق ، ص:١٨١.

ثانياً : الحالة الدينية :

لقد شهد العصر الأموي الكثير من الحركات المناوئة للحكم الأموي والخارجة على سلطان المسلمين، والتي ساعدت بدورها على ظهور وتطور بعض الفرق والمذاهب الدينية.

"وتعتبر القضية الأولي التي تشبعت حولها آراء الفرق، ونبت حولها الخلاف قضية الإمامة أو الخلافة عن رسول الله صلي الله عليه و سلم في تدبير شؤون المسلمين "[١]، وكانت بداية ظهور الخلاف عليها في ايـة خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

فقد سكنت جميع الخلافات أثناء حكم أبي بكر و عمر و أكثر خلافة عثمان رضي الله عنهم والسبب يعود في ذلك إلى أمرين: "١. لأن السياسة التي اتبعها أولئك الخلفاء الراشدون لم تدع فرصة لظهور الخلافات والفتن ، ٢.كما أن المسلمين كانوا مشغولين في تلك الفترة بالجهاد في سبيل الله و فتح الممالك تمهيداً لحمل دعوة الله إلى مختلف أصقاع المعمورة . لذا لم ترد خلال هذه الفترة إشارة إلى أي جدال حول الخلافة أو إمارة المسلمين "[٢].

وبعد أن قُتِلَ الخليفة عثمان بن عفان وبويع لعلي بالخلافة ظهرت الفتنة "فمعاوية بن أبي سفيان الذي كان واليا للشام على عهد عثمان لم يذعن لبيعة علي ولم يدخل فيها واعتل معاوية رضي الله عنه لموقفه هذا بأن عثمان قُتِلَ مظلوما وأنه تجب المبادرة إلى القصاص من قتلته وأنه أقوى الناس على الطلب بذلك"[٣].

وبعد أن حكمت الدولة الأموية أمر الأمة ونصبت نفسها للخلافة على الرغم من معارضة البعض أدى ذلك إلى ظهور الفرق، كالخوارج والشيعة والمرجئة، ولم يكن أمر الاختلاف على الخلافة هو السبب الوحيد، بل كانت هناك عوامل عديدة ساعدت على ظهور هذه الفرق، "من بينها ترجمة التراث اليوناني إلى اللغة العربية و افتتان البعض به و الخوض في

---

[١] جلي،أحمد محمد أحمد: دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (الخوارج والشيعة) ،ط٢، مركز الملـك فيصـل للبحـوث والدراسـات الإسلامية، الرياض، ١٤٠٨هـ، ص:٢٥.

[٢] المرجع السابق، ص:٢٩.

[٣] المرجع السابق، ص:٤٥.

المشكلات العقائدية بغير المنهج الذي وضعه الشرع هذا إضافة إلى أن الجدال مع أصحاب الديانات و المذاهب الغير إسلامية أثار كثيراً من المشكلات العقائدية لدي بعض المسلمين"[١].
من الفرق التي ظهرت في العصر الأموي بصفة عامة :

- الخوارج
- الشيعة
- المعتزلة
- القدرية
- المرجئة
- الجهمية

١. الخوارج :

"يقول بعض مؤرخي الفرق : أن كل من خرج عن الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة (خارجيا) سواء كان الخروج أيام الخلفاء الراشدين، أو على الأئمة في كل زمان، ولكن الخوارج الذين ندرس عقائدهم هم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه"[٢].

أ. نشأتا:

ظهرت هذه الفرقة في خلافة على بن أبي طالب رضي الله عنه "فقد عرف الخوارج ـذا الاسم بعد التحكيم في معركة صفين، و كانوا قبلها من أشد أنصار علي بن أبي طالب، وحضروا معه موقعة الجمل و صفين و لكنهم انشقوا عليه بعدها ورفضوا التحكيم، وحاول إقناعهم وردهم إلى الجماعة ، ولكنهم تشبثوا بموقفهم وبالغوا في شقاقهم، و تطرفوا حتى عاثوا في الأرض فسادا، مما جعل عليا يقاتلهم و يقضي على معظمهم في معركة النهروان"[٣]، رغم أ ـم هم الذين أشاروا عليه بالتحكيم.

ولقد اعترف الخوارج بخلافة أبي بكرٍ وعمر وجزء من خلافة عثمان حيث يرون أنه في آخر خلافته "حابى وغير وبدل فكفروه و نقضوا بيعته ثم اعترفوا بخلافة علي حتى حكم الرجال

---

[١] جلي،أحمد محمد أحمد: دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (الخوارج والشيعة) ، مرجع سابق، ص:٥٠.

[٢] الشهرستاني، أبي الفتح محمد عبد الكريم بن أبي بكر أحمد: الملل والنحل، دار الإتحاد العربي، ١٣٨٧هـ، ١٤٤/١.

[٣] عبد اللطيف، عبد الشافي محمد: العالم الإسلامي في العصر الأموي دراسة سياسية ، مرجع سابق، ص:٤٥٤.

فكفروه، و كفروا الحكمين، و كفروا أصحاب الجمل، وانتقلوا من هذا إلى القول بأن الولاة الظلمة من معاوية و قومه كفار و يجب أن يقابل كفرهم و ظلمهم بالخروج عليهم جهاراً"[١].

ب. ألقا م:

وهؤلاء الخوارج لهم ألقاب عدة عرفوا ا :

أ. (الحورية) لأ م انحازوا إلى حروراء .

ب. (بالشراة) لأ م قالوا : شرينا أنفسنا في طاعة الله .

ج. (بالمارقة) بمعني أ م مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية و هذا اللقب أبغض الألقاب إليهم .

د. (المحكمة) لأن شعارهم الأساسي لا حكم إلا لله .

ه. (الخوراج) وهو أجمع لقب لهم لأن هذه الكلمة تصح أن تكون وصفا لجميع فرقهم[٢].

ج. مكان ظهورهم:

"كان أكثر من اعتنق مذهب الخوارج أول الأمر عربا سكنوا الكوفة والبصرة بعد الفتح وكان كثير منهم من تميم وقد انضم إليهم بعض الموالي لاشتراكهم في بغض الأمويين و اعتقادهم في وجوب الخروج عليهم حتى تزول دولتهم غير أن المنضمين من الموالي كانوا قليلي العدد لتعصب الخوارج وبعضهم من البدو لجنسيتهم فكانوا لهذا يحتقرون الموالي والخوارج مطبوعون إلى درجة كبيرة بالصبغة البدوية في محاسنها ومساوئها، فهم كثيرو الخلاف على الأمراء محدودو النظر ضيقو الفكر وهم مع ذلك شجعان إلى أقصى حدود الشجاعة صرحاء في أقوالهم وأفعالهم أسهل شئ عليهم أن يبيعوا أنفسهم لعقيد م"[٣].

ولقد أرهق الخوارج الأمويين في جميع فترات حكمهم بل كان ذلك سببا من أسباب ا يار دولتهم و سقوطها في يد العباسيين بانشغال الأمويين في التصدي لهم.

---

[١] حمزة، محمد: التآلف بين الفرق الإسلامية، دار قتيبة،دمشق ، ١٤٠٥هـ ، ص:٤٣.

[٢] المرجع السابق، ص:٤٠.

[٣] المرجع السابق، ص:٤٠.

"لأ م قوم قلما ينفع معهم حسن السياسة ولأ م غلوا في الدين غلوا عظيما وفهموا كثيرا منه على غير وجه ففرقوا كلمة الأمة واستعرضوا الأنفس والأموال "[١].

ولهذا الأمر عمد خلفاء بني أمية إلى استخدام القسوة معهم وذلك لتعيين ولاة على أماكن وجودهم يتميزون بالشدة والقسوة أمثال: زياد بن سمية والمغيرة بن شعبة وعبد الله بن زياد[٢].

٢. الشيعة:

أ. تعريف الشيعة:

الشيعة لغة : القوم الذين يجتمعون على أمر فهم شيعة، وكل قومٍ أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شيع[٣].

الشيعة في **عرف الفقهاء والمتكلمين**: هم أنصار علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبنيه من بعده المتحمسين للدفاع عنهم ، والعمل على إسناد الخلافة إليهم[٤].

ب. نشأتنا:

"ويرى البعض أن بداية التشيع بفاجعة كربلاء والتي انتهت بمقتل الحسين بن علي"[٥]، لأنه بعد هذه الحادثة أصبح التشيع ليس أمرا سياسيا بل أصبح "فَقد علم الشيعة بعد هزيمة كربلاء وما تلاها من حركات يائسة أنه لا قبل لهم بمقاومة سلطان بني أمية بالسيف والقوة ، فاستعانوا على ستر أمرهم وحولوا الحرب بينهم وبين الأمويين من حرب سياسية إلى حرب فكرية تتخذ من الستر والتقية أسلوبا"[٦].

ج. موطن الشيعة:

كان مهد الشيعة وموطنهم العراق ويعود السبب إلى ذلك في عدة أمور:

---

[١] حمزة، محمد: التآلف بين الفرق الإسلامية ، مرجع سابق، ص:٣٥.

[٢] المرجع السابق، ص:٣٧.

[٣] ابن منظور، محمد بن مكرم : لسان العرب ،، مادة: شيع، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ ،٢٣٧٧/٤.

[٤] حمزة، محمد: التآلف بين الفرق الإسلامية ، مرجع سابق، ص:٦١.

[٥] جلي،أحمد محمد أحمد: دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (الخوارج والشيعة) ، مرجع سابق، ص:١٥٩.

[٦] المرجع السابق، ص:١٥٩.

١. أن علي بن أبي طالب أقام في العراق مدة خلافته "فتشيع كثيرون إيمانا بحق علي وولده في الإمامة"[١].
٢. كما تشيع الموالي من الفرس والذين كانوا يسكنون العراق "لتبرمهم من تمركز النفوذ والسلطان في أيدي العرب الذين حرموهم أيام بني أمية من تقلد الوظائف العامة في الدولة، يضاف إلى هذا أن قلوب الفرس قد أُشربت تعظيم البيت المالك ، واعتقدوا أن أفراد هذا البيت أحق الناس بخلافة الرسول صلى الله عليه وسلم فمالوا إلى الشيعة ألد أعداء بني أمية"[٢].

واندس أيضا في صفوف الشيعة بعض الحاقدين على الإسلام، "ممن كان يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية و نصرانية وزرادشتية وهندية، واتخذ هؤلاء وأولئك من حب آل البيت ستاراً ينفثون من ورائه في صدور العامة من المسلمين سمومهم فتردد بسبب ذلك صدى هذه الديانات القديمة في مبادئ بعض الفرق الشيعية، فزلت بكثير منها القدم وحادت عن تعاليم الحنيفية السمحاء "[٣].

٣. المعتزلة:

أ. تعريف المعتزلة:

المعتزلة لغة : "من الاعتزال واعتزلت القوم أي فارقتهم وتنحيت عنهم"[٤].

أما المعتزلة اصطلاحا : "يطلق على أول مدرسة كلامية واسعة ظهرت في الإسلام ونشأت في البصرة في أواخر القرن الأول الهجري ، ونشطت في القرنين الثاني والثالـث الهجـريين وشكل رجالها فرقة دينية لها أفكارها ومبادئها "[٥].

ب. نشأتا:

اختلف المؤرخون في أصل تسمية معتزلة:

"فبعضهم نسبها إلى واصل بن عطاء[٦] عندما اعتزل حلقة الحسن البصري[١] في مسجد مسجد البصرة وكون لنفسه حلقة خاصة على إثر السؤال الذي عرض على الحسـن

---

[١] حمزة، محمد: التآلف بين الفرق الإسلامية ، مرجع سابق، ص:٦٢.
[٢] المرجع السابق، ص:٦٢.
[٣] المرجع السابق، ص:٦٢.
[٤] ابن منظور، محمد بن مكرم : لسان العرب ،مرجع سابق، مادة: عزل،٢٩٣٠/٤.
[٥] محاسنة، محمد حسين: أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين ط١، دار الكتاب الجامعي، العين ، ٢٠٠١م،ص:١٠١.
[٦] واصل بن عطاء أبو حذيفة المخزومي، مولاهم البصري، مولده سنة ٨٠ بالمدينة، له مؤلف في التوحيد وكتاب (المـ لة بـين المـ ا ـتين) جالس أبو هاشم عبد الله بن محمد الحنفية ثم لازم الحسن توفي سنة١٣١ (الذهبي :سير أعلام النبلاء ، مرجع سابق ،٤٦٤/٥).

وكان يشغل عقول كثير من أتباع المذاهب، وهو هل مرتكب الكبيرة كافر أم مؤمن؟ فأفتى واصل بأنه لا كافر ولا مؤمن بل هو في منزلة بين المنزلتين ، وبعضهم نسبها إلى اعتزال واصل وأشباهه الأقوال الشائعة عندهم في الحكم على مرتكب الكبيرة وأفتوا بشيء جديد لها أو نسبها إلى قولهم بأن صاحب الكبيرة اعتزل عن الكافرين والمؤمنين معاً"[2].

ولقد تشعبت وتفرقت المعتزلة إلى عدة فرق وذلك لأن القاعدة الرئيسة التي اعتمد عليها المعتزلة هي العقل به يثبتون وبه ينفون وبسبب انغماس المعتزلة في الفلسفة اليونانية القائمة على الجدل والخصومة دب الخلاف بين رجال هذه الفرقة وتشعبت آراؤهم وتفرقوا إلى اثنتين وعشرين فرقة منها : الواصلية والعمورية والهذلية والنظامية ... الخ ولكل فرقة من هذه الفرق بدع خاصة بها[3].

ج. مبادئ المعتزلة :

فقد أخذ المعتزلة ببعض مبادئ الجبرية وبعض مبادئ القدرية وبنوا لأنفسهم تعاليم كثيرة خلاصتها :

١. القول بأن مرتكب الكبيرة ليس بكافر ولا مؤمن أي القول بالمنزلة بين المنزلتين[4].
٢. القول بالقدر أي أن الله لا يخلق أفعال الناس وإنما هم الذين يخلقون أفعالهم، والله تعالى عادل فيثيب الإنسان ويعاقبه حسب أفعاله، "فقد أجمع المعتزلة على أن العباد خالقون أفعالهم مخترعون لها، وأن الله تعالى ليس له في أفعال العباد المكتسبة صنع ولا تقدير، لا بإيجاد ولا بنفي"[5].

---

[1] الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت الأنصاري، كان سيد أهل زمانه علما وعملاً، شيخ أهل البصرة، قرأ القرآن على حطان الرقاشي، وروى عن خلق من التابعين، كان مفتي البصرة في زمانه توفي سنة١٠٨للهجرة (الذهبي :سير أعلام النبلاء ، مرجع سابق ،٣٥٦/٤).

[2] الهمذاني، أبو الحسن عبد الجبار:فرق وطبقات المعتزلة، تحقيق: علي سامي النشار وعصام الدين محمد علي ، دار المطبوعات الجامعية ، ١٩٧٢م، ص:٤-٥.

[3] جار الله، زهدي حسن: المعتزلة ، مطبعة مصر ، القاهرة،١٣٦٦هـ ، ص:١١٣.

[4] المرجع السابق، ص:٥٤.

[5] جار الله، زهدي حسن: المعتزلة ، مرجع سابق، ص:٩٢.

٣. القول بالتوحيد فليس لله صفات أزلية من علم وقدرة وحياة زائدة على ذاته بل الله عالم وقادر بذاته[١].

٤. القول بسلطة العقل وقدرته على معرفة الحسن والقبيح ولو لم يرد ـا شـرع وأن الشرع إذا ورد ا كان مخبرا عنها لا مثبتا لها[٢].

٥. القول بخلق القرآن أي أن القرآن مخلوق[٣].

د. وقت ظهورها:

بدأت ظهور المعتزلة في خلافة هشام بن عبد الملك (١٠٥ – ١٢٥ هـ / ٧٢٣ – ٧٤٣م) حيث توقفت حركة الفتح الإسلامي وأخذ المسلمون بالاستقرار في الأمصار والانصراف إلى قراءة علوم الدين ودراسته ولما دخلت في الإسلام عناصر كثيرة جداً من غير العرب خـلال حركات الفتح وكانت رواسب مبادئها وأفكارها القديمة لا تزال عالقة ا، فقد أسهمت في ظهور الانقسامات السياسية والاضطرابات وبالتالي فتح الباب لنشاط الفرق الإسلامية.

٤. القدرية:

أ. تعريف القدرية:

"القدرية الأولى هم الذين أنكروا علم الله السابق، وزعموا أنه تعالى لم يقدر أفعال العباد سلفًا، ولم يعلمها ولم يكتبها في اللوح المحفوظ وأن الأمر أنـف (أي مستأنف) ليس بتقدير سابق من الله تعالى مما استقل العباد بفعلها وهذه مقولة غالية في القدر حيث تنكر العلم والكتابة وتقدير عموم أفعال المكلفين خيرها وشرها فيما يظهر هذا أول أمرهم فلما أنكر الأئمة هذا القول صـار جمهور القدرية يقرون بالعلم المتقدم والكتاب السابق لكن ينكرون عمـوم مشيئة الله وقدرته وخلقة لأفعال العباد فأنكروا أن يكون الله خالقًا لأفعـال العباد أو بعضها وقالوا: إن الله لا يخلق الشر"[٤]، فقد جعلوا إرادة الإنسان مستقلة عن إرادة الله سبحانه وتعالى.

---

[١] المرجع السابق، ص:٦١.

[٢] المرجع السابق، ص:١٠٨.

[٣] المرجع السابق، ص:٧٥.

[٤] الصلابي، علي محمد: الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الإ يار ، مرجع سابق، ٢١٤/٢.

ب. نشأتا:

"أول من تكلم في القدر والاعتزال، أبو يونس الأسواري[١]، رجل من الأساورة يعـرف بسنسويه، وتابعه معبد الجهني[٢]"[٣] وغيلان الدمشقي[٤].

وقد تولى معبد الجهني نشر مذهبه في العراق "حتى كانت فتنة عبد الرحمن بن الأشـعث فانضم إليها، ولما هزم ابن الأشعث كان هو ممن قتلهم الحجاج باعتباره من دعاة هـذه الفتنة وأنصارها"[٥].

وأما غيلان الدمشقي فقد تولى نشر دعوته في عهد عمر بن عبد العزيز "فقد أخذ الدعوة عن معبد الجهني و أخذ يدافع عنها وينشرها بين أهل الشام فقال بالاختيار وأن الإنسان هو الذي يأتي الخير بإرادته وقدرته فاستدعاه عمر بن عبد العزيز وناقشه فقطع حجتـه لذلك أعلن تركها وفارقها في خلافة عمر ثم عاد إليها بعد وفاته ... ويقال أن هشام بن عبد الملك صلبه على باب كيسان بدمشق وضعف أصحاب دعوته بعد موته"[٦].

٥.الجبرية:

أ. تعريف الجبرية:

"الجبر هو نفي الفعل حقيقة على العبد وإضافته إلى الرب تعالى"[٧].

ب. أنواعها:

١. الجبرية الخالصة : هي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً.

---

[١] رجل من الأساورة ويعرف بسنسويه، اتبعه معبد الجهني (ابن النديم، أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحق: الفهرست، تحقيق: رضـا-تجدد، حقوق الطبع للمحقق، ص:١٠١).

[٢] معبد بن عبد الله بن عليم الجهني البصري، أول من قال بالقدر في البصرة، سمع الحديث عن ابن عباس وعمران بن الحصين، خرج مـع ابن الأشعث على الحجاج بن يوسف توفي سنة٨٠هجرية (الزركلي، خير الدين: الأعلام ،مرجع سابق، ٢٦٤/٧).

[٣] ابن النديم، أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحق: الفهرست، مرجع سابق،ص:١٠١.

[٤] غيلان بن يونس ويقال ابن مسلم أبو مروان القدري، مولى عثمان بن عفان روى عنه يعقوب بن عتبه كانت داره بدمشق مات مصلوبا في خلافة هشام بن عبد الملك (ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ،مرجع سابق، ١٢٩/٥١).

[٥] أبو زهرة، محمد :تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، ص:١١٣.

[٦] محاسنة، محمد حسين: أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين ، مرجع سابق ، ص:١١٣.

[٧] الشهرستاني، أبي الفتح محمد عبد الكريم بن أبي بكر أحمد: الملل والنحل، مرجع سابق، ٨٥/١.

٢. الجبرية المتوسطة : هي التي تثبت قدرة غير مؤثرة أصلاً فأما من أثبت للقدرة الحادثة أثراً ما في الفعل وسمي ذلك كسباً فليس بجبري[١].

ج. نشأتا:

ظهر مذهب الجبر في عهد بني أمية وبدأ مذهبا سياسيا ليبرر القائلون به أعمال الناس خلال الفتنة ويسند هذا المذهب إلى رجلين هما :

١. الجعد بن درهم[٢] و ٢. الجهم بن صفوان[٣].[٤]

- الجعد بن درهم وهو من "الموالي مبتدع له أخبار في الزندقة سكن الجزيرة الفراتية وأخذ عنه مروان بن محمد لما ولي الجزيرة في أيام هشام بن عبد الملك فنسب إليه ويقال كـان الجعد مؤدبه في صغره قال عنه الذهبي من التابعين، مبتدع ضال، زعم أن الله لم يتخـذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر، وكان مروان يلقب بالجعدي لأنه تعلم من الجعد بن درهم مذهبه بالقول بخلق القرآن والقدر"[٥].
- الجهمية : أصحاب جهم بن صفوان وهو من الجبرية الخالصة ظهرت بدعته بترمذ وقتله مسلم بن أحوز المازني بمرو في آخر ملك بني أمية ، وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية وزاد عليهم[٦].

٦.المرجئة :

أ. تعريف المرجئة:

[١] الشهرستاني، أبي الفتح محمد عبد الكريم بن أبي بكر أحمد: الملل والنحل، المرجع السابق، ٨٥/١.

[٢] الجعد بن درهم من الموالي مبتدع له أخبار في الزندقه سكن الجزيرة الفراتية، أخذ عنه مروان بـن محمـد لمـا ولي الجزيـرة، تـوفي سنة١١٨هجرية (الزركلي، خير الدين: الأعلام ،مرجع سابق، ١٢٠/٢).

[٣] جهم بن صفوان السمرقندي، أبو محرز، من موالي بني راسب رأس الجهمية، هلك في زمان صغار التابعيين وقد زرع شرا عظيما تـوفي سنة١٠٢هجرية (الزركلي، خير الدين: الأعلام ،مرجع سابق، ١٤١/٢).

[٤] حموده، محمود محمد: التبيان في الفرق والأديان ط١، مؤسسة الوراق، عمان، الأردن ، ٢٠٠١م، ص:١٦٥.

[٥] الزركلي، خير الدين: الأعلام ،مرجع سابق، ١٢٠/٢.

[٦] الشهرستاني، أبي الفتح محمد عبد الكريم بن أبي بكر أحمد: الملل والنحل، مرجع سابق، ٨٦/١.

"الإرجاء على معنيين : أحدهما : بمعنى التأخير كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ ﴾سورة الأعراف آية ١١١، أي أمهله وأخره ، والثاني : إعطاء الرجاء.

أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول فصحيح لأ م كانوا يـؤخرون العمل عن النية والعقد.

وأما المعنى الثاني فظاهر، فإ م كانوا يقولون : لا تضر مع الإيمان معصية كمـا لا تنفع مع الكفر طاعة . وقيل الإرجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة فلا يقضي عليه بحكم ما في الدنيا من كونه من أهل الجنة أو من أهل النار"[١].

ب. نشأتا:

نشأت هذه الفرقة بعد مقتل عثمان بن عفان ونشوب الحروب والفتن بين المسلمين

"فانحاز فريق : إلى علي بن أبي طالب وانحاز فريق آخر إلى معاويـة بـن أبي سفيان بينما وقف بعض الصحابة على الحياد وابتعدوا عن هذا الـ اع ...... فكـان هذا الفريق هو الذي امتنع عن دخول زوبعة المشاكل والفتن، ولم يقبل الحكم علـى المشتركين فيها فتركوا أمرهم إلى الله تعالى . وفي وسط هذا الاضـطراب الفكـري ظهرت فرقة المرجئة التي كانت لها آراؤها وأفكارها فكان ظهورها أثرا عكسيا لآراء كل من الخوارج والشيعة "[٢].

وكان هذا في بداية الأمر، ثم بعد ذلك أتى من غالى واعتنق آراء مخالفة لما عليه أهل السـنة والجماعة ومنها:"أنه لا يضر مع الإيمان ذنب، وقالوا إنّ الإيمان إقرار وتصـديق واعتقـاد ومعرفة، ولا يضر مع هذه الحقائق معصية فالإيمان منفصل عن العمل وزعمـوا أن الإيمـان اعتقاد بالقلب"[٣].

إذًا نستخلص من ذلك أن المرجئة كانت على نوعين :

---

[١] الشهرستاني، أبي الفتح محمد عبد الكريم بن أبي بكر أحمد: الملل والنحل، مرجع سابق، ١٣٩/١.

[٢] محاسنة، محمد حسين: أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين ، مرجع سابق ، ص:١١٤-١١٥.

[٣] أبو زهرة، محمد :تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، مرجع سابق، ص:١٢١.

أ. طائفة "موقفة في الحكم على الخلاف الذي وقع بين الصحابة، والخلاف الذي وقـع بعده في العصر الأموي"[١].

ب. طائفة "تحكم بأن الله يعفو عن كل الذنوب ماعدا الكفر، فلا يضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة"[٢].

الناحية الدينية في الشام:

كان في الشام العديد من الديانات كاليهودية والنصرانية والصـابئة بالإضـافة إلى الـدين الإسلامي وكان أغلبهم من أهل السنة وأما ما كان من قدرية وجبرية فلم يكن لها تأثير كبير على الشاميين، وذلك لعدة أسباب:

١. أن أهل الشام كان أكثرهم عربا.
٢. أن عددا كبيرا من الصحابة قد نزلوا بينهم وأثروا فيهم، بعكس العراق الذي كـان يحوي كثيرا من الموالي والعناصر الأجنبية[٣].
٣. أن الشام كانت مقرا للخلافة فكان يصعب على أي شخص أن ينشر مذهبه فيهـا لأنه سوف يكون تحت يد السلطان قريبا منه.

---

[١] أبو زهرة، محمد :تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، مرجع سابق، ص:١٢٣.
[٢] المرجع السابق، ص:١٢٣.
[٣] الزرو، خليل داوود: الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني للهجرة ، دار الآفاق الجديدة، لبنان، ص:١٥٢.

ثالثًا : الحالة الاقتصادية والاجتماعية :

لقد ازدهرت الشام اقتصاديا واجتماعيا في عهد بني أميه فلقد قام الأمويون بفتح كثير مـن البلدان واتسعت رقعة الأراضي الإسلامية وظفر المسلمون الكثير من الغنائم ووصل إلى بيت مال المسلمين أموال الخراج والجزية، وامتلأت خزائن الدولة بالخيرات "فقد بلغ بنو أميـة في عهد الوليد أقصى درجات عزهم واعتز بحكمه الإسلام والمسلمين، وفُتحت البلاد وتغلغلت جيوشه بلاد الترك والروم والهند، وفتحت الأندلس وجاء فاتحها موسى بن نصير إلى دمشق يضع بين يدي الخليفة الأموال والجواهر"[١]، فقام الخلفاء بتحسين أوضاع البلاد الاقتصادية وكان للشام الحظ الأوفر منها.

"حاول الأمويون توجيه سياسة البلاد الاجتماعية والاقتصادية بما يتناسب ومصلحتهم كمـا حاولوا تطبيق سياسة الاكتفاء الذاتي في الاقتصاد لكي تنعم كل طبقـات الشـعب بحيـاة اجتماعية أفضل"[٢].

وكان أعظم تطور اقتصادي حصل في زمن عبد الملك بن مروان حيث ضرب عمله مستقلة بعد أن كانوا يتعاملون بالعملة الأجنبية[٣]، "إن هذه الخطوة التي اتخذها عبد الملك بن مروان أكدت استقلال الدولة الإسلامية اقتصاديا فأصبح لها نقدها بعد أن كانت تعتمد على نقـد أجنبي محدد الكمية ورديء القيمة أو مغشوش"[٤].

ولقد اهتم بنو أمية بالزراعة فقد كانت الشام تعد من مراكز الإنتاج الزراعي الرئيسة، "فطوروا مشاريع الري التي وضعت أسسها خلال العصر الراشدي، فقد شهد العصر الأموي نشاطًا واسعا في هذا ا ال تجلى في حفر الأ ار، وشق القنوات، والجداول، وإقامة السدود وأحواض المياه، وإنشاء الجسور، والقناطر، ونصب آلات مقاييس الماء"[٥].

---

[١] علي، محمد كرد: خطط الشام، المطبعة الحديثة، دمشق، ١٣٤٣هـ، ١٥٤/١.

[٢] علي، أحمد اسماعيل: تاريخ بلاد الشام منذ ما قبل الميلاد حتى اية العصر الأموي دارسة سياسية. اجتماعية. اقتصادية. فكرية. عسكرية. ، مرجع سابق، ص:٣٢٤.

[٣] البلاذري، أبي العباس أحمد بن يحي بن جابر: فتوح البلدان ، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطبـاع، المعـارف، بـيروت، ١٤٠٧هـ، ص:٦٥٣.

[٤] النبراوي، فتحية: تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، ط٧، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٤هـ، ص:١٧٥.

[٥] طهبوب، صلاح :العصر الأموي ، مرجع سابق، ص:١٥٥-١٥٦.

هذا بالإضافة إلى اهتمامهم بالتجارة والتي انتعشت وازدهرت "فلقد كانت التجارة عملاً تخصصت به بلاد الشام وكادت أن تحتكره في عهد الأمويين فأحمالهم ونواقلهم وسفنهم كانت تجتاز الصحراء والجبال والبحار حتى أصبحوا حلقة الاتصال التجاري في العالم الإسلامي ويعينهم على النجاح مهار م وقدر م على استيعا ا في التعامل مع أمثالهم"[١]، ولعل السبب يعود في كون عاصمة الخلافة دمشق "مركز التقاء القوافل بين آسيا الصغرى وما بين النهرين ومصر وبلاد العرب، وكانت سوقًا تجاريةً هامة وخاصة زمن الأمويين تتجمع فيها مختلف أنواع السلع والبضائع وتوزع على مدن الساحل لتصدر عبر البحار أو تنقل إلى سائر البلاد العربية "[٢].

•مجتمع الدولة الأموية في الشام

كان مجتمع الشام يتكون من ثلاث طبقات :

أ. الأسرة الحاكمة :

كانت الحكومة عربية خالصة من بدء الإسلام إلى ماية عهد الأمويين.

" إن الدولة الأموية بعد الفتوحات خشيت على العرب مـن الضـياع والاندماج في العناصر الأخرى التي دخلت الإسلام ولذلك اهـتم الأمويـون بصورة خاصة م، ولم يحبذوا التزوج بأمهات الأولاد ولم يفضل الأمويون ابن الأمه وحرم أولاد الإماء من الخلافة. مثلا كما هو الحال في عدم عهـد عبـد الملك إلى ابنه مسلمة على الرغم من شجاعة وإخلاص الأخير لـه في معظـم الميادين وكذلك لإخوته الذين جاءوا للحكم من بعد أبيه"[٣].

---

[١] علي، أحمد اساعيل: تاريخ بلاد الشام منذ ما قبل الميلاد حتى اية العصر الأموي دارسة سياسية. اجتماعية. اقتصادية. فكرية. عسكرية. ،مرجع سابق.

[٢] الرفاعي، أنور: الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والأدبية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والفنية ، ط٣، دار الفكـر، دمشق، ١٩٩٧م، ص:٣١٤.

[٣] طهبوب، صلاح :العصر الأموي ، مرجع سابق، ص:١٤٦.

ب. **طبقة الموالي:** وهم غير العرب من المسلمين "وجلهم من الفرس والروم وقد نبغ منهم العديد من علماء الدين وأسندت إليهم مناصب القضاء وغيرها، بينما انصرف الكثير منهم إلى الأعمال الحرة كالزراعة والصناعة"[١].

"وقد دخل الموالي في الإدارة منذ العصر الأموي وخاصة الإدارة المالية وكذلك جندوا في الجيش في الأقسام الشرقية من الدولة الإسلامية ، ثم برز منهم العديد في العلوم النقلية والعقلية ، وسكنوا في الكوفة والبصرة والفسطاط ودمشق والمدينة والقيروان"[٢].

ج. **طبقة العبيد :**

"التي كثرت نتيجة الفتوحات ولكنهم غير مسلمين في الأصل ومن كان منهم مسلما فإسلامه كان يعد الرق"[٣].

د. **أهل الذمة:**

" يطلق هذا الاصطلاح تاريخيا على أهل الديانات الأخرى من اليهود والمسيحيين الذين سموا كذلك (المعاهدون) أو أهل الكتاب وكان أهل الذمة في داخل المجتمع العربي الإسلامي يتمتعون بقسط وافرٍ من الحرية الدينية والشخصية ما رسوا طقوسهم الدينية وخضعوا في الأحوال الشخصية إلى رؤسائهم الروحانيين وقد أعفى الإسلام أهل الذمة من الخدمة العسكرية حيث أصبحوا في ذمة الحاكم المسلم الذي كان يدافع عنهم مقابل دفع ضريبةً محدودةً من الجزية"[٤].

هذا ولقد تعصب الأمويون لعرب الشام خصوصا القبائل اليمنية "ودافعهم لذلك استمرار سلطتهم لا لشيء سوى ذلك"[٥].

---

[١] الرفاعي، أنور: الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والأدبية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والفنية. ، مرجع سابق، ص:٢٤٨.

[٢] طهبوب، صلاح :العصر الأموي ، مرجع سابق، ص:١٤٧.

[٣] الرفاعي، أنور: الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والأدبية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والفنية. ، مرجع سابق، ص:٢٤٧.

[٤] طهبوب، صلاح :العصر الأموي ، مرجع سابق، ص:١٤٨.

[٥] علي، أحمد اسماعيل: تاريخ بلاد الشام منذ ما قبل الميلاد حتى نهاية العصر الأموي دارسة سياسية. اجتماعية. اقتصادية. فكرية. عسكرية. ، مرجع سابق، ص:٣٢٢.

• النظام المتبع في تخطيط المدن

" لقد اتبع العرب في تخطيط المدن ما يناسب حالتهم وميولهم الاجتماعية فكان لكل قبيلـة حي خاص ا في المدينة، و به مسجدها الخاص وسوقها ومقابرها وهذا التقسيم يتفق بـلا شك مع طبقة القبيلة"[١]، فلقد سكن الشام الكثير من القبائل القيسية واليمنية ومن المعروف عن هذه القبائل أ ا كانت تتكتل مع بعضها البعض فلكل قبيلة حي خاص ا.

"هذا ولقد كان سكان بلاد الشام ينعمون بالوحدة والاستقلال المرتبط بالسلطة المركزيـة مباشرة والتي يمثلها الخليفة الأموي الذي كان يعتبر بطلاً قوميا نظراً لحاجة الشعب لـه في البلاد لأن مثل ذلك يعتبر من المتطلبات التي يقتضيها صراع الأمم"[٢]، خصوصا وأن العـرب في الشام قد تأثروا بالبيئة التي كانوا يعيشون فيها وهو النظام الملكي القيصري فاعتادوا هذا الأمر ولم يجدوا فيه بأسا.

ويعد عهد الوليد بن عبد الملك من أزهى عصور بني أمية وأبركها،

> "فقد عمر الجوامع العظام، وكتب إلى جميع البلاد دم المساجد والزيادة فيها، وتسـهيل الطرق، وبث في الأمة روح العمران، فكان الناس إذا التقوا في زمانه يسأل بعضهم بعضا عـن الأبنية والعمارات في كل مكان. فقد أجرى الوليد على زمنى[٣] أهل الشام كا ذومين والعميان وكساهم وأمر لكل إنسان منهم بخادم، وأخرج لعيالات الناس الطيب والكسوة، وزاد النـاس جميعا في العطاء عشرة عشرة، ثم زاد أهل الشام بعد زيادة العشرات عشرة عشرة لأهل الشـام خاصة"[٤].

لقد امتاز هذا الخليفة بكرمه وعبقريته فقد ركّز جل اهتمامه على الإصـلاحات الداخليـة والنظر في أحوال الرعية فتعهد برعاية الأيتام وكفلهم ورتب لهم المؤدبين والأرزاق ووضـع ا ذوبين في بيت يرعاهم طبيب وخص أهل الشام بالعطايا والأرزاق وذلك لكو ا عاصمة

---

[١] النجار، محمد الطيب: تاريخ العالم الإسلامي الدولة الأموية في الشام، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٦هـ، ص:٢٣٩.

[٢] علي، أحمد اسماعيل: تاريخ بلاد الشام منذ ما قبل الميلاد حتى اية العصر الأموي دارسة سياسية. اجتماعية. اقتصادية. فكرية. عسكرية. ، مرجع سابق، ص:٣١٨.

[٣] يقال رجل زمن أي مبتلى والزمانة العاهة، زمن يزمن زمنا وزمنه وزمانه، فهو زمن والجمع زمنونَ و زمين والجمع زمنى لأنـه جـنس للبلايا التي يصابون ا ويدخلون فيها وهم لها كارهون (ابن منظور: لسان العرب ، مرجع سابق،مادة:زمن ، ٢٠٢/٣).

[٤] علي، محمد كرد: خطط الشام، مرجع سابق، ١٥٣/١.

الخلافة الأموية في ذلك العصر ومقر الرئاسة فأولها الخلفاء اهتماما بالغا عن بقيـة المنـاطق الأخرى

فلقد شهدت الشام في ذلك العصر نوعا من الترف في حيا ا فقد ذَكَر المسعودي "أن سليمان بن عبد الملك كان يلبس الثياب الرقاق وثياب الوشى، وفي أيامه عمل الوشي الجيد بـاليمن والكوفـه والإسكندرية، ولبس الناس جميعهم الوشي جِبابا وأردية وسراويل وعمائم وقلانس، وكان لا يـدخل عليه رجل من أهل بيته إلا في الوشي، وكذلك عماله وأصحابه ومن في داره وكان لا يدخل عليه أحد من خدامه إلا في الوشي[1]"[2].

---

[1] الوشي : نقش الثوب ويكون من كل لون (الفيروزابادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب : القاموس المحيط ،مرجع سابق، ٤/٤٠٠).

[2] المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر ،ط٢،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، ١٣٦٧هـ ، ١٨٥/٣.

رابعًا : الحالة التعليمية

لقد احتلت الشام في عصر بني أمية مكانةً علميةً هامة فلقد شهدت نشاطًا واسعا في جميـع أنواع الفنون والعلوم وخاصة الدينية وكان عصر بني أمية بداية لعصر التـدوين والترجمـة وعمرت مساجد الشام، بالحلقات العلمية والدروس الفقهية وبرز علماء وفقهاء كان لهـم الفضل في وصول هذا العلم إلينا.

ولقد أدى إلى ازدهار التعليم في الشام عوامل عديدة منها :

١. **التوجه الديني :**

فلقد حث الإسلام على طلب العلم ورفع من م لة العلماء قال تعـالى ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ (سورة ا ادلة،آية١١) ، ولقـد حـرص المسلمون على طلب العلم ابتغاء مرضاة الله وحرصا منهم على فهم الدين فهما صـحيحا وتطبيق أحكامه كما يحب الله ورسوله فالعلم مطلب ديني قال تعالى مخاطبا نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في أول آية نزلت ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ ﴾ (سـورة العلـق ،آية١)، ولقد بين الله سبحانه وتعالى فضل العلم في معرفة العلماء للخالق وخشيتهم له، قال تعالى ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ (سورة فاطر، آية٢٨)، فتسابق الناس في طلب العلم وتعليمه كلٌ بقدر جهده "فمن كان عنده شيء من العلم كان يعرف تمامـا أن واجبه يقتضيه تعليمه إلى سائر المؤمنين"[١]، وأنّ من كتمه فقد عرض نفسه للوعيد الشديد من الله سبحانه وتعالى.

فعن ابن شهاب الزهري قال: "إن هذا العلم أدب الله الذي أدب به نبيه عليه السلام، وأدب النبي به أمته أمانة الله إلى رسوله ليؤديه على ما أدى إليه، فمن سمع علما فليجعلـه أمامـه

---

[١] أبيض، ملكة: التربية العربية الإسلامية (المؤسسات والممارسات)، مؤسسات التربية العربية في بلاد الشام حتى أواسـط القـرن الرابـع الهجري، مؤسسة آل البيت، عمان، ١٩٨٩م، ١١٥/١.

حجته في ما بينه وبين الله"[١]، فالعلم أمانة يجب على المسلم أن يؤدي الأمانة على أكمل وجه ولا يخو ا بكتمها أو تحريفها.

٢. وجود كثير من الصحابة في الشام :

فلقد نزل الشام الكثير من الصحابة سواء من شارك منهم في الفتح لغرض الجهاد أو قصدها دف تفقيه أهلها بأمور الدين الإسلامي واستقر بعضهم فيها، فعن الوليد بن مسلم[٢] قـال: "دخلت الشام عشرة آلاف عين رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم"[٣].

ولقد أسهم هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم في تعليم الناس العلم وتفقيههم فيه، فأقـاموا العديد من الحلقات، وا الس العلمية، في أنحاء بلاد الشام مما أدى إلى وجود حركة علميـة نشطة ظهرت نتائجها في جيل كبار التابعين فعن أبي مسلم الخولاني[٤] قال: "دخلت مسجد حمص فإذا فيه نحو ثلاثين كهلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وإذا فيهم شـاب أكحلُ العينينِ براق الثنايا ساكت لا يتكلم فإذا امترى في شيء أقبلوا عليه فسألوه، فقلـت لجليس لي: من هذا؟ قال: معاذُ بن جبل"[٥].

فلقد كان معاذُ بن جبلٍ من الصحابة الذين نزلوا الشام وقاموا بتفقيه أهلها وتعليمهم فقـد قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذُ بن جبلٍ"[٦]، ومن الصحابة أيضا أبو الدرداء الذي كان له تأثير كبير على أهل الشام في القراءة والتفسير، فقد

---

[١] ابن عساكر، أبو القاسم علي ابن الحسن بن هبه الله الشافعي: ذيب تاريخ مدينة دمشق، هذبه: عبد القادر بـدران، ، دار المسـيرة، بيروت، ١٣٩٩هـ، ٣٥٩/٥٥.

[٢] الوليد بن مسلم بن العباس القرشي الفقيه، مولى بني أمية، قرأ القرآن على يحي بن الحارث الذماري وسعيد بن عبد العزيز، كان من ثقات الناس وأفاضلهم، دمشقي من الطبقة السادسة من أهل الشام، توفي سنة١٩٤هجرية (ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ، مرجـع سـابق ، ٢٧٥/٦٣-٢٨١).

[٣] ابن عساكر، أبو القاسم علي ابن الحسن بن هبه الله الشافعي: ذيب تاريخ مدينة دمشق، مرجع سابق، ٧٠/١.

[٤] أبو مسلم الخولاني الداراني، سيد التابعين وزاهد العصر، قدم من اليمن، وقد أسلم في أيام النبي صلى الله عليه وسلم، ويروى عن مالك بن دينار أن كعبا رآه فقال من هذا؟ قالوا: أبو مسلم، فقال: هذا حكيم هذه الأمة، كان وفاته بأرض الروم سنة٦٢هجرية (الذهبي :سير أعلام النبلاء ، مرجع سابق ،٧/٤).

[٥] ابن سعد، محمد :الطبقات الكبرى ط١، إحياء التراث الإسلامي، المدينة ، ١٤٠٣هـ، ٣٨٨/٧.

[٦] المرجع السابق، ٣٨٨/٧.

قال أحدهم: " رأيت أبا الدرداءِ دخلَ المسجد ومعه من الأتباع مثل ما يكون مع السلطان، وهم يسألونه عن العلم"[١].

فقد كان عالم أهل الشام ومقرئ أهل دمشق وفقيههم وقاضيهم ولقد كانت له حلقة كبيرة لإقراء القرآن فعن مسلم قال: "قال لي أبو الدرداء اعدد من يقرئ عندنا –يعني في مجلسـنا هذا- فأعددت ألفًا وستمائة ونيفًا فكانوا يقرأون ويتسابقون عشرة عشرة، لكل عشرة منهم مقرئ وكان أبو الدرداء قائما يستفتونه في حروف القرآن –يعني المقرئين- فـإذا أحكـم الرجل من العشرة القراءة تحول إلى أبي الدرداء"[٢].

ومنهم أيضا عمرو البكالي الذي شارك في معركة اليرموك ثم استقر في الشام يعلـم النـاس ويفقههم فقد قال أحدهم عنه: "قدمت الشام فإذا أنا برجل مجتمع عليه يحـدث، مجـذوذ الأصابع، فقلت: من هذا؟ قالوا: إن هذا أفقه من بقي على وجه الأرض من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذا عمرو البكالي. فقلت: ما شأن أصابعه؟ قالوا: أُصيبت يـوم اليرموك"[٣].

ولقد تتلمذ على هؤلاء الصحابة الكثير من التابعين الذين علا صيتهم في الشامِ وأصبحوا من فقهاءِ العالمِ الإسلامي .

٣. تشجيع خلفاء بني أمية للعلم والعلماء:

لقد كان لخلفاء بني أمية دور بارز في تطور الحركة العلمية وازدهارها خصوصا وقد كـان أكثرهم ذا علم وفقه فقد كانت مجالسهم تضم الكثير من العلماء والشعراء الذين يفـدون إليهم بناءً على طلب منهم وكانوا يستمعون إليهم ويناقشو م ويجزلون لهم العطايا والهدايا[٤].
والهدايا[٤].

[١] الذهبي، محمد بن أحمد: تذكرة الحفاظ ،ط٢، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، ١٣٣٣هـ، ٥٥/٣٥٩
[٢] ابن عساكر، أبو القاسم علي ابن الحسن بن هبه الله الشافعي: ـذيب تاريخ مدينة دمشق، هذبه: عبد القادر بدران، مرجـع سـابق، ٧٠/١.
[٣] ابن سعد، محمد :الطبقات الكبرى ، مرجع سابق، ٤٢١/٧.
[٤] سيتم الحديث عن دورهم في الفصل الرابع: المؤسسات التعليمية (قصور الخلفاء).

وكانوا يحرصون على نشر العلم بين الناس فقد روي عن عمر بن عبد العزيز قوله: "مروا أهل العلم أن ينشروا العلم في مساجدهم ومجالسهم"[١].

وكانوا ينفقون على طلاب العلم حتى يتفرغوا لطلب العلم ولا يشغلهم شيء عنه فقد روي عن الوليد بن عبد الملك أن كان "يقسم قصاع الفضة على قراء بيت المقدس"[٢] حتى لايشغله طلب الرزق عن طلب العلم[٣].

وقد كان للخليفة عمر بن عبد العزيز دورا عظيما تجلى في أمره بتدوين الحديث الشريف، فقد كتب رضي الله عنه إلى جميع الآفاق "انظروا حديثَ رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم فاجمعوه"[٤].

ولقد ساهم بنو أمية أيضا في ترجمة الكثير من العلوم الأخرى إلى العربية فقد كان عصر بني أمية بداية لحركة الترجمة والتي بدأها خالد بن يزيد عندما ترجم كتب الطبِ والكيمياءِ إلى العربية"[٥].

٤. تعدد الثقافات في الشام

كانت الشام في أثناء الفتح الإسلامي تجمع أصنافًا متعددةً من السكان: عرب وروم وفرس ويهود[٦].

"فلم يكن العرب في الأمصار في عزلة، إذ اختلطوا بأهل المدن القديمة، كما أن أعدادا كبيرة من الموالي وأهل الذمة جاءت إلى المراكز العربية بحثًا عن العمل أو عن مجالات جديدة. فكانت هذه المدن والمراكز ميادين تبادل ثقافي"[٧]، وخصوصا الشام وذلك لأن دمشق كانت كانت عاصمة الخلافة فقد حظيت بعناية فائقة من خلفاء بني أمية فلقد استعان معاوية بن

[١] السمعاني، أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي: أدب الإملاء والإستملاءط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ١٤٠١هـ، ص:٤٤.

[٢] الذهبي، شمس الدين محمد: سير أعلام النبلاء ، ط٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ،٣٤٨/٤.

[٣] لمزيد من التفصيل ، انظر الفصل السادس، ص:١٦٦.

[٤] السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف،مرجع سابق، ص:٤٠.

[٥] الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر :البيان والتبين ، شرحه: على بو ملحم، دار الهلال، بيروت، ٢٠٠٢م، ٢٦٧/١.

[٦] الزرو، خليل داوود: الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني للهجرة ، مرجع سابق، ص:٨.

[٧] الدوري، عبد العزيز : التربية العربية الإسلامية (المؤسسات والممارسات)، مدخل تاريخي ، مؤسسة آل البيت، عمان، ١٩٨٩م، ١٦/١. ١٦/١.

أبي سفيان "بسرجون بن منصور المسيحي فقد كان وزير ماليته، فقد ظلت دواوين الخراج في الشام تكتب بالرومية وعليها سرجون ثم ابنه منصور إلى أن نقلت إلى العربية"[١].

فالإسلام لم يمنع من أخذ العلم النافع الذي فيه صلاح للأمة تحت ضوابطَ شرعية مـن أي جهة كانت فالحكمة ضالة المؤمن "فلقد أخذ خالد بن يزيد الكيمياء عن مريانس الرومـي، وأمر جماعة من الفلاسفة اليونانيين بنقل كتبِ الصنعة إلى العربية"[٢].

[١] علي، محمد كرد: خطط الشام، مرجع سابق، ٢٠/٤.

[٢] علي، محمد كرد: خطط الشام ، المرجع السابق، ٢١/٤.

ملخص الفصل الثاني :

يتضح لنا مما سبق أن الشام كانت من الناحية السياسية بمعزل عن الفتن والثورات، إلا ما كان في بعض فتراتها والتي كان سببها الرئيسي العصبية القبلية "فقلد ظهرت العصبية واضحة في معركة مرج راهط، والتي كانت صراعا بين القيسية واليمانية، انتهت بهزيمة قيس، وانتصار مروان بن الحكم واليمانيين معه، إلا أنها سرعان ما خبا أثرها نظرا لقوة الخلفاء"[١]، ثم ظهرت من جديد في الفترة الأخيرة من الحكم الأموي، والتي أدت بدورها إلى انقسام الدولة وانهيار حكمها على يد العباسيين.

أما من الناحية الدينية فلقد أدى احتكاك المسلمين في الشام بغيرهم من أبناء الديانات الأخرى وموقفهم من الخلافة إلى ظهور بعض الفرق مثل القدرية والجهمية.

ولقد شهدت الناحية الاقتصادية والاجتماعية تطورا ملحوظًا في جميع جوانبها وأصبحت الشام في خلافة بني أمية من أزهى العصور، أما الحركة العلمية في الشام فقد شهدت نشاطًا واسعا في جميع مجالاتها وكان ذلك نتيجة لعدة عوامل منها وجود الكثيرين من الصحابة الذين كانوا هم قادة للعلم ورجاله، والذين تتلمذ على أيديهم الكثير من العلماء والفقهاء، هذا بالإضافة إلى تعدد ثقافات أبنائها من أصحاب الديانات الأخرى الذين أثْروا الحركة العلمية وساعدوا على تطورها بما كان عندهم من علم سبقوا به غيرهم من العرب، بالإضافة إلى دور الخلفاء في تشجيعهم للعلم والعلماء وتقديم المساعدات اللازمة لإنجاح العملية التعليمية.

---

[١] أبوحبيب، سعدي: مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموي، دار لسان العرب، لبنان، ١٣٩٢هـ، ص:٣٦.

الفصـــل الثالث

المؤسسات التعليمية في الشام في العصر الأموي

المؤسسات التعليمية في الشام في العصر الأموي

تمهيد

تعددت مؤسسات التعليم وتنوعت في ذلك العصر منها ما كان امتدادا لما كان موجودا في عصر صدر الإسلام من مؤسسات مثل: الكتاتيب والتي استمرت في أداء دورها في تعلـيم الصبيان القراءة والكتابة هذا بالإضافة إلى ظهور كتاتيب أخرى لتعليم القرآن الكريم، وظل المسجد في مقدمة المؤسسات التعليمية، فضمت أروقته العديد من حلقات العلـم في شـتى العلوم والفنون وكان المسجد يؤدي دوره الرائد في خدمة الحركة العلمية في ذلك العصر.
كما كان لبعض العلماء مجالس علم في منازلهم إلى جانب حلقا م العلمية في المساجد هـذا وقد ظهر نوع جديد من المؤسسات التعليمية في الشام في العصر الأموي متمثلاً في قصـور الخلفاء والأمراء، وأقام الخلفاء والأمراء مجالس للعلم والوعظ واستدعوا إليها العلماء والأدباء "فلقد كانوا كغيرهم من الناس حيث كان كثيرا منهم تتوق نفسه إلى حضور مجالس العلـم وسماع المواعظ، غير أن هناك بعض الموانع تمنعهم من تحقيق هذه الرغبة"[١].
ولقد ظهر نوع آخر من التعليم في القصور يختص بتعليم أبناء الخلفاء والأمراء وأُطلق علـى معلمي هذه الفئة بالمؤدبين وكان المؤدبون يحتلون مكانة عظيمة عند الخلفاء وكانت تفرض لهم رواتب عالية من قبل الدولة.
وسوف تتناول الباحثة في هذا الفصل إن شاء الله أبرز هذه المؤسسات التعليمية في الشام في العصر الأموي وهي :

- الكتاب.
- المسجد.
- قصور الخلفاء والأمراء.
- منازل العلماء.

[١] أبو لاوي ، أمين :أصول التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص:١٣٠.

أولاً: الكتاتيب

تعد الكتاتيب أسبق أنواع المعاهد التعليمية وجودا في العالم الإسلامي.

١. تعريف الكتاتيب:

الكتاتيب هي: موضع الكُتابِ. والمَكتب و الكُتاب: موضع تعليم الكُتابِ والجمع الكتاتيب والمَكاتب[١].

٢.أنواع الكتاتيب:

أ. كتاتيب تعلم القراءة والكتابة فقط:

"وكان يقوم بالتعليم بعض الذميين أحيانا كثيرةً ، فلم يكن يجلس لتعليم القراءة والكتابة من المُسلمين في صدرِ الإسلامِ إلا عدد قليلٌ جدا".[٢]

خصوصا وقد كانت الشام تجمع كثيرا من أصحابِ الديانات الأُخرى الـذين كـانوا أعلم من المسلمين في هذه الأمورِ ، فلم يقابل المسلمون هذه الثقافات بالإعراضِ عنها أو إغلاقها بل أبقوا عليها والدراسة فيها ، فلقد قَاَم معاويةُ بن أَبي سفيان بنشرِ العلمِ ودعمه في الشام ومن ذلك،"الاعتماد على الكتاتيبِ العربية المحلية لتعليم الكتابة لأبناءِ المسلمين إلى جانب أقرا ـم من أبناءِ الديانات الأخرى ولا سيما النصرانية".[٣]

ومما يشير إلى ذلك ما ذكره إياس بن معاوية[٤] حيث قال: "كُنت في مكتب في الشـام وكنت صبيا فاجتمع النصارى يضحكون من المسلمين وقالوا إ ـم يزعمون أنه لا يكون تفل الطعام في الجنة قال: قلت: يا معلم أليس يزعم أن أكثر الطعام يذهب من البـدن؟ فقال: بلى ، فَقَالَ: فقلت: فيما تنكر أن يكون الباقي يذهبه الله في البدن كله؟ فقـال: أنت شيطان".[٥]

---

[١] ابن منظور: لسان العرب ، دار المعارف، القاهرة ، مادة: كتب، ٣٨١٧/٥.

[٢] أحمد ، سعد مرسي: تطور الفكر التربوي ،ط١٢، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٤٢٥،ص:٢١٥، .

[٣] أبيض ، ملكة : التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة ، مرجع سابق، ص:٩٢.

[٤] إياس بن معاوية بن قرة بن إياس بن هلال المزني، يكنى أبا وائلة أمه امرأة من خرسان قدم الشام في أيام عبد الملك، ثم قدم على عمر بن عبد العزيز في خلافته، كان قاضيا وله أحاديث، وكان عاقلاً من الرجال فطنا، أبوه تابعي وجده غرة من أصحاب النبي صلى الله عليـه وسلم، مات عام ١٢٢هـ. (ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ،مرجع سابق، ٥/١٠-٣٦)

[٥] المرجع السابق،١٥/١٠.

ولكن ذلك لم يمنع المسلمين من إنشاء كتاتيب خاصة م لتعليم القراءة والكتابة ، فهذه أم الدرداء كانت تعلم أبناءَ المسلمين القراءةَ والكتابةَ ، فعن عبد ربـه بـن سـليمان قال:"كتبت لي أُم الدرداء في لوحي فيما تعلمني: تعلموا الحكمة صغارا تعملوا ا كبارا. وأن لكلٍ حاصد ما زرع من خيرٍ أو شرٍ"[١].

وكان يسمى معلم هذا النوع (بالمكتب) وكانت هذه الكتاتيب تعقد في خارج المساجد بعكس الكتاتيب القرآنية.

ب. **الكتاتيب القرآنية:**

وهي الكتاتيب التي تختص بتعليم القرآن الكريم وهذا النوع كان يلحق غالبا في المساجد "وكان يعلم اللغةَ والنحو إلى جانب القرآن ، كمواد مساعدة على حفظ القرآن".[٢]

ومن أمثلة هذه الكتاتيب لتعليم القرآن كتاب عطاف[٣] فقد روي عن هذا المعلـم "أنـه كان يعلم صبيا فيقول له:والعاديات ضبحا ، فيقول الصبي: والعاديات دبحا. حـتى إذا أعيا المعلم الأمر ضرب بأسفل اللوح نحو الصبي، فقال: يا معلم ضبحتني. فقال المعلـم: فأين هذا الكلام من تلك الساعة؟!"[٤].

فتشير هذه الحادثة إلى عدة أمور منها أن الغلمان كانوا يتعلمون القـرآن في الكتـاب وبطريقة التلقين، وكان بعض معلمي الكتاتيب يستخدم الضرب كوسيلة للعقاب.

"وكان يسمى معلم هذا النوع من الكتاب (بالمعلم) أو (المقرئ) لتمييزه عن معلم الكتابة (المكتب)".[٥]

وقد ظهر اسم آخر لهذا النوع في القرن الثاني وهو (المؤدب)، رغم أن هذا الاسم كـان يطلق على معلم أبناء الخاصة، وقد أوضحت ملكة أبيض سبب شيوع هذا الاسم علـى المعلم في الكتاب القرآني بقولها: "إن المعلم في الكتاب القرآني كان يعلم اللغة والنحو إلى

---

[١] ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق تراجم النساء، تحقيق: سكينة الشهبالي،١٤٠٣، ص:٤٢٨.

[٢] أبيض ، ملكة : التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة ، مرجع سابق، ص:٢٦٢.

[٣] هو عطاف المعلم الذي ينسب إليه الزقاق والمعروف بزقاق عطاف، روى عن الأوزاعي ومالك بن أنس (ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ٣٦٥/٤٠)

[٤] المرجع السابق ٣٦٥/٤٠ .

[٥] أبيض ، ملكة : التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة ، مرجع سابق، ص:٢٦٢.

جانب القرآن، كمواد مساعدة على حفظ القرآن. وهذه المواد تعد جزءًا مما كان يسمى آنذاك (الأدب). أو بأن تدريس القرآن على مستويين: مستوى أولي للصبيان ، ومستوى عالٍ للكبار ، جعل من الضروري التمييز بينهما بإطلاق اسم التأديب علـى المسـتوى الأولي ، والإقراء على المستوى العالي".[١]

وكانت هذه الكتاتيب عادة ما تلحق بالمساجد، وذلك لارتباطها بتعليم القرآن وحفظه وقد أشار ابن جبير إلى ذلك في وصفه لجامع دمشق بقوله: "إن دهليز الباب الشمالي فيه زوايا، على مصاطب محدقة بالأعواد المشرجبة، وهي محاضر لمعلمي الصبيان"[٢].

رغم أن بعض العلماء كان يفضل أن تكون خارج المساجد وهذا ما أشارت إليه ملكة بقولها: "أما ما يتعلق بمكان وجود هذه الكتاتيب القرآنية فقد كان يفضـل أن تكـون خارج المساجد، لأن دخول الصبيان للمساجد يمكن أن يسيء إلى نظافة المساجد ويخل بالهدوء الضروري لإقامة الشعائر الدينية"[٣].

٣.طرق أساليب التعليم في الكتاتيب:

لقد أوجز لنا ابن جبر في رحلته طريق التعليم في الكتاتيب في الشام بقوله: "وتعليم الصبيان للقرآن بهذه البلدان الشرقية كلها ، إنما هو تلقين ويعلمون الخط في الأشعار وغيرها ، تنزيها لكتاب الله عز وجل عن ابتذال الصبيان له بالإثبات والمحو. وقد يكون في أكثر البلاد الملقن على حدة والمكتب على حدة ، فيفصل من التلقين إلى التكتيب ، لهم في ذلك سيرة حسـنة ولذلك ما يتأتي لهم من حسن الخط ، لأن المعلم له لا يشتغل بغيره ، فهو يستفرغ جهده في التعليم ، والصبي في التعلم كذلك ، ويسهل عليه لأنه بتصوير يحذو حذوه"[٤].

فمن ذلك يتبين لنا أن التعليم في الكتاتيب كان عن طريق التلقين فهو الأسـلوب السـائد آنذاك، وكانوا يستخدمون الأشعار والحكم في الكتابة وذلك حفظًا لكلام الله مـن المحـو

---

[١] أبيض ، ملكة : التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة ، مرجع سابق، ص:٢٦٢.

[٢] ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد:رحلة ابن جبير، ط١، ملتزم بالطبع عبد الحميد أحمد حنفي، مصر ،ص:٢٠٨.

[٣] أبيض ، ملكة : التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة ، مرجع سابق، ص:٢٦٤.

[٤] ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد:رحلة ابن جبير، مرجع سابق، ص:٢٠٩.

وتـ يها له عن ذلك ، وقد أشرنا سابقًا إلى ذلك في تعليم أم الدرداء لأبناء المسلمين الكتابة عن طريق الحكم.[١]

وكان منهج التعليم في الكتاب يتركز على "القرآن ومطالعته وتختار بعض آياتـه الكريمـة لتكون مادة للتعليم ، كما كان التلاميذ يتعلمون قواعد اللغة العربية وقصـص الأنبيـاء ، وبخاصة أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام وبعض الأحكام الدينية والشـعر ومبـادئ الحساب".[٢]

٤.اليوم الدراسي أو الأسبوع الدراسي

لقد كان يتم التدريس في الكتاب على النحو الآتي:

أ. يدرس الصبيان القرآن الكريم من أول النهار في وقت مبكر حتى الضحى.

ب. يتعلمون الكتابة من الضحى إلى الظهر.

ج. ينصرف الصبيان إلى بيو ـم لتناول الغداء ويعودون بعد صلاة الظهر.

د. تدرس بقية العلوم كالنحو والعربية والشعر وأيام العرب والحساب ، من بعد الظهر إلى آخر النهار.[٣]

وكان يوم الجمعة يوم راحة "فيوم الجمعة معظّم عند المسلمين كما جرت به العادة"[٤] وكذلك الحال بالنسبة للأعياد كعيد الفطر والأضحى، ويكون تقدير أيام الراحة فيها يختلف من مكان لآخر ومن زمن لآخر حسب العرف.

٥. سن التعليم

الواقع أنه لم يكن هناك سن معينة لبدء التعليم "وإنما كان الأمر متروكًا لتقدير آباء الصبيان، فإن وجدوا أن الطفل بدأ في التمييز ، والإدراك ، دفعوا به إلى الكتاب".[٥]

---

[١] أشرنا إلى ذلك في فصل طرق التعليم ص:٥٠.

[٢] عبد العزيز، محمد الحسيني: الحياة العلمية في الدولة الإسلامية ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ١٩٧٣، ص:٣٣.

[٣] الأهواني، أحمد فؤاد:التربية في الإسلام أو التعليم في رأي القابسي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة، ١٩٥٥ ،ص:١٧٦.

[٤] المرجع السابق، ص:١٧٧.

[٥] المرجع السابق، ص:٥٩.

وكانوا يكرهون اختلاط الذكور مع الإناث ، يقول القابسي "أكره للمعلم أن يعلم الجواري ويخلطهن مع الغلمان لأن ذلك فساد لهن"[١] ، فقد روي عن الوليد بن عبد الملك "أنه مـر على معلم كُتاب فوجد عنده صبية ، فقال له: ما تصنع هذه عندك؟ فقال أعلمها الكتابـة والقرآن فأشار عليه الخليفة بأن يجعل من يعلمها أصغر منها سنا".[٢]

على أن النهي في تعليم الفتاة لا يعني أ ا لا تتعلم بل يكون في مكان خاص بالنساء فالعلـة من المنع ترجع إلى الغيرة على الأخلاق وحفظ الدين.

٦. أشهر معلمي الكتاتيب

أ. عمرو بن ميمون بن مهران[٣] وكان مؤدبا ، وكان يعلم القرآن الكريم والنحو بحصن مسلمه[٤].

ب. عبيد الله بن محمد الكلابي وكان مؤدبا ، وكان يسكن قنطرة سنان بدمشق.[٥]

ج. قبيصة بن ذؤيب[٦] وكان معلم كتاب.[٧]

د. عطاف وكان معلما دمشقيا.[٨]

ه. أبو الجنوب[٩] مؤذن الضحاك بن قيس وكان معلم كُتاب.[١٠]

---

[١] الأهواني، أحمد فؤاد:التربية في الإسلام أو التعليم في رأي القابسي ، مرجع سابق، ص:١٧٧.

[٢] ابن عبد ربه، أبي عمرو أحمد بن محمد: العقد الفريد ، شرحه أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمـة والنشر، القاهرة، ١٣٧٥-١٩٥٦، ١٦١/٥.

[٣] عمرو بن ميمون بن مهران أبو عبد الله بن أبي أيوب الجزري الفقيه، حدث عن أبيه وسليمان بن يسار وعمر بن عبد العزيز، ومكحول، والزهري ، وكان يوصف بالقرآن والنحو، مات سنة ١٤٥(ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ، ٤٢٤/٤٦).

[٤] المرجع السابق ، ٤٣٥/٤٦.

[٥] المرجع السابق ، ٩٩/٣٨.

[٦] قبيصة بن ذؤيب أبو سعيد ويقال أبو اسحاق الخزاعي الفقيه، أصله من المدينة، كان على الخاتم والبريد لعبد الملك بن مـروان، سـكن دمشق وكان داره بباب البريد، موضع دار الحكم وهو في الطبقة الثانية من التابعين من أهل الشام، مات سنة ست أو سـبه وثمـانين في خلافة عبد الملك بن مروان، وكانت لأبيه صحبة وكان ثقة مأمونا كثير الحديث (المرجع السابق، ٢٥٠/٤٩-٢٥٣)

[٧] ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ،٢٥٧/٤٩.

[٨] المرجع السابق، ٣٦٥/٤٠.

[٩] كان معلم كتاب روي أنه جاء فسلم على الضحاك بن قيس ثم قال: والله إني لأحبك أيها الأمير لله تعالى، فقال له الضحاك بن قـيس: وأنا والله أبغضك لله، قال: ولم؟ قال: إنك ترتشي في التعليم وتبغي في التأذين (ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق، ٨٧/٧٠)

[١٠] المرجع السابق، ٨٧/٧٠

ثانياً: المساجد

١. تعريف المسجد :

المسجد في **اللغة :** المَسجِد: الذي يسجد فيه، وفي الصحاح: واحد المساجد. وقال الزجاج: كل موضع يتعبد فيه فهو مسجد[١].

المسجد شرعا : كل موضع في الأرض فإنه مسجد.[٢]

وقد ورد لفظ المسجد في القرآن الكريم في عدة مواضع منها :

قولــه تعــالى : ﴿ سُبۡحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَـٰتِنَآ‌ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾، (سورة الإسراء ،آية رقم١).

وكذلك ورد في السنة النبوية الشريفة ، قال عليه الصلاة والسلام " حيثما أدركتك الصلاة فصل والأرض لك مسجدا "[٣]

٢. أهمية المساجد:

لا شك أن للمساجد مكانا في نفوس المسلمين فهي تحتل جزءًا مهما من حياة المسلم و

> "تنبعث أهميتها في كو ا تؤثر في قطاع عريض من الناس بما تقوم به من شرح وتوضيح لأمور الدين والعقيدة، وتنميةٌ للقيم الخلقية والاجتماعية وتعزيز للاتجاهات الإسلامية الخاصة بالتراحم والتعـاطف والإحسـان والتضـحية والتمسك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والتحرر من الخرافات والتقاليد البالية ، وتكوين رأي مستنير يجمع بين الوعي الديني والإقناع العقلي في فهـم ومناقشة المشكلات الاقتصادية والاجتماعية و السياسية التي تواجـه ا تمـع المسلم".[٤]

---

[١] ابن منظور: لسان العرب ، مرجع سابق، مادة: سجد،١٩٤٠/٣.

[٢] البسام، عبد الله بن عبد الرحمن: توضيح الأحكام من بلوغ المرام ، مؤسسة حبيب درغام وأولاده ،لبنان ،ط٢، ١٤١٤، ٥١٨/١.

[٣] البسام، عبد الله بن عبد الرحمن ، مرجع سابق ، ٥١٨/١.

[٤] الخطيب ، محمد شحاته، وآخرون: أصول التربية الإسلامية ، الخريجي للنشر ، الرياض ، ط٢ ،١٤٢١ ، ص:١٧٦.

٣. أدوار المسجد:

أ. دور المسجد الديني

يعد المسجد مكانا للعبادة والصلاة ففيه يؤدي المسلمون صلوا م، ويقرأون القرآن ويذكرون الله عز وجل "فلم تقم المساجد أصلاً إلا لإقامة الصلاة، وتبعا لإقامتها تتحقق باقي وظائف المسجد".[١]

قال تعالى ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ (سورة التوبة، آية رقم ١٨).

فقد وصف الله سبحانه وتعالى عباده المخلصين بأ م يعمرون مساجده وذلك بالصلاة والذكر والدعاء وأخذ العلم الشرعي وتعليمه للناس.

فإن الله سبحانه وتعالى بين أن عمارة المساجد تكون بالعبادة فيه بالصلاة والذكر.

"فالصلاة تجمع الناس فتقود إلى التآلف، في وقت تصفو فيه الأنفس وتستشعر فيه قر ا من الله في بيته الذي يحبه ألا وهو المسجد".[٢]

إذاً فقد كان مكانا لممارسة الشعائر التعبدية "ومركزا روحيا لتربية النفوس الضعيفة وتقوية القلوب المؤمنة".[٣]

ب. دور المسجد القضائي

إنه مكان للتقاضي يجتمع فيه القضاء، للفض في الشكاوي والخصومات[٤] ، فلم يكن المسجد مكانا للعبادة فحسب بل كانَ محكمةً للتقاضي فقد كانت تعقَد في المساجد مجالس للقضاءِ "وذلك لارتباط القضاء بالتعليم، لأن القاضي يجب أن يكون من أعلم الناس بالشريعة

---

[١] السفياني، صالحة بنت حاي بن يحى: التعليم في المساجد في القرن الأول الهجري ، رسالة ماجستير ، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، جامعة أم القرى، ١٤٢٤هـ،، ص:٣٧.

[٢] الصالح، محمد بن أحمد بن صالح: المسجد جامع وجامعة، ، ط١، ١٤٢١هـ، ص:٣٥

[٣] السدلان، صالح بن غانم: المسجد ودوره في التربية والتوجيه وعلاقته بالمؤسسات الدعوية في ا تمع ، ط٢،دار بلنسية، الرياض، ١٤١٩هـ، ص:٦١.

[٤] العمايرة، محمد حسن: الفكر التربوي الإسلامي، ط١، دار المسيرة ، عمان، ١٤٢١هـ، ص:١٤٣.

الإسلامية وأحكامها ، وأقدرهم قدرة علـى اسـتنباط الأحكـام الشـرعية، وأعلمهـم بالفرائض".[١]

وكان أول من قضى في المسجد الرسول عليه الصلاة والسلام.

"فقد كانت مساجد المسلمين في العصر الأموي دورا للقضاء، تعقد فيها مجالس القضاء علنا بين أفراد الجماعة ، وتعلن أحكام القضاء في داخل المسجد ويترك للدولة موضـوع تنفيـذ الأحكام عن طريق أعوان يقفون خارج المسجد تحت تصرف القاضي".[٢]

فقد اشتهر أبو إدريس الخولاني[٣] بالقضاء في مسجد دمشق وقد أقره على ذلك عبد الملك بن مروان.

ج. دور المسجد الإعلامي

فقد كان المسجد مكانا إعلاميا هاما فيه تذَاع الأخبار الهامةُ التي تتعلق بالمصالح العامة وفيه التجهيز للحروبِ والغزوات[٤]. وكانَ الخلفاءُ يقسمونَ عطايا الجند في المساجد أحيانا، "فقد روي عن سليمان أنه عندما أتته البيعةُ كان في القدسِ وقد جلس في قبة صحنِ المسجد وقد دخل إليه وفد الجند يتقدمهم صاحبهم فيتكلم عنهم وعمن قدموا من عندهم ويقول: أن من حال جندنا كذا وكذا، ومن حاجتهم كذا وكذا، وما يصلحهم كذا، فكان سليمان يستمع إليهم ويأمر لهم بذلك كله".[٥]

فالمسلمون يجتمعون في المسجد خمس مرات في اليوم ، وفي المناسبات والأعياد، فإذا استجد أمر أو طرأ طارئ جمع المسلمون وأعلموا به. ، فقد روي أنه عندما بنى الوليد بـن عبـد الملك الجامع الأموي غضب الناس وقالوا:

---

[١] السفياني، صالحة بنت حاي بن يحى:التعليم في المساجد في القرن الأول الهجري مرجع سابق ، ص:١١٤.

[٢] ________،______ :الموسوعة العربية العالمية ط١، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ، ١٤١٦هـ،ص:١٧٩.

[٣] عايذ الله بن عبد الله بن إدريس بن عائذ بن عبد الله بن عتبه – أبو إدريس الخولاني – قاضي دمشق في أيام عبد الملك بن مروان ، ولد عام حنين في حياة رسول الله صلى عليه وسلم ، روى عن كثير من الصحابة مثل أبي الدرداء – أبي ذر – أبي موسى الأشعري ، قال عنه أبو مسهر كان أبو إدريس عالم الشام بعد أبي الدرداء ، مات سنة٨٠ هـ (ابن عساكر : تاريخ مدينـة دمشـق ، مرجـع سـابق ، ١٣٧/٢٦).

[٤] العمايرة، محمد حسن:الفكر التربوي الإسلامي، مرجع سابق، ص:١٤٤.

[٥] علي، محمد كرد:خطط الشام ، مرجع سابق ، ١٥٤/١.

"أنفق أمير المؤمنين بيوت الأموال في غير حقها فأتى الحرس إلى الوليـد فقال: يا أمير المؤمنين إن الناس يقولون: أنفق أمير المؤمنين بيوت المال في غـير حقها. فنودي في الناس الصلاةُ جامعةٌ. فاجتمع الناس فصعد الوليد المنبر وقال: إنه بلغني عنكم أنكم قلتم أنفق الوليد بيوت الأموال في غير حقها، و والله مـا أنفقت في عمارة هذا المسجد درهمًا من بيوت المال، وإنما هذا كله من مـالي، ففرح الناس وكبروا وحمدوا الله عز وجل على ذلك، ودعوا للخليفة وانصرفوا شاكرين داعين"[1].

ولقد كان الخليفة بعد مبايعته يصعد المنبر ويلقي خطبته الأولى مضمنا إياهـا سياسـته في الحكم، ونضرب على ذلك مثال خطبة عمر بن عبد العزيز:

"فإنه لما دفن عمر بن عبد العزيز سليمان بن عبد الملك سار حتى دخل المسجد فصعد المنبر واجتمع إليه الناس فقال: أيها الناس ، إني قد ابتليت ـذا الأمر عن غير رأيٍ كان مني فيه ، ولا طلبة له ، ولا مشورة من المسـلمين ، وإني قد خلعت مافي أعناقكم من بيعتي فاختاروا لأنفسكم، فصـاح النـاس صيحة واحدة قد اخترناك يا أمير المؤمنين، ورضينا بك. فحمد الله، وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وقـال: أوصـيكم بتقـوى الله ..... واعملوا لآخرتكم ، فإنه من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنيـاه ، وأصـلحوا سرائركم يصلح الله علانيتكم.... ثم رفع صوته حتى أسمع الناس فقال: يا أيها الناس ، من أطاع الله وجبت طاعته ، ومن عصى الله فلا طاعة له. أطيعوني ما أطعت الله ، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم".[2]

كما كان يلقي الخليفة خطبته على الناس أثناء خلافته أو التشاور معهم في الأمور الهامة التي تفيدهم[3].

فلقد حكي أن معاوية بن يزيد بن معاوية بعد ولايته:

"أمر فنودي الصلاة جامعة ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإني قد نظرت في أمركم فضعفت عنه ، فابتغيت لكم رجلاً مثل عمر بن الخطاب

---

[1] ابن كثير، أبي الفداء: البداية والنهاية، ط٢، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٤١٨هـ،١٢٨/٩.
[2] الجوزي، جمال الدين أبي الفرج: سيرة عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد ، ط١، دار الفجر للتراث ، القاهرة، ١٤٢٠،ص:٥١-٥٢.
[3] العمايرة، محمد حسن:الفكر التربوي الإسلامي، مرجع سابق، ص:١٤٤.

رحمة الله عليه حين فزع إليه أبوبكر فلم أجده ، فابتغيت لكم ستة في الشورى مثل ستة عمر فلم أجدها ، فأنتم أولى بأمركم فاختاروا له من أحببتم. ثم دخل م له ولم يخرج إلى الناس وتغيب حتى مات".[١]

"فقد كانت المساجد مقرا لأخذ البيعة لخلفاء الدولة الإسلامية كما كانت منابرها مكانـا لإعلان سياستهم في الحكم.[٢]

"عندما مات عبد الملك بن مروان صعد المنبر ابنه الوليد ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: إنا لله وإنا إليه راجعون ، يـا لهـا مـن مصيبة، ما أعظمها وأفظعها وأخصها وأعمها وأوجعها ، موت أمير المؤمنين ، ويا لها من نعمة ما أعظمها وأجسمها وأوجب الشكر لله علي فيها ، خلافته التي سر بلبنها فكـان أول من عزى نفسه وهنأها بالخلافة ، ثم قال: انفضوا فبايعوا على بركة الله"[٣]، فقد أعلن الخليفة الوليد بن عبد الملك البيعة لنفسه وحث المسلمين على بيعته بعد وفـاة والـده الخليفة عبد الملك بن مروان وكان ذلك من خلال المسجد الجامع بدمشق فقـد كـان للمسجد دور إعلامي كبير فمن خلاله يستطيع الخليفة توجيه أمور الدولـة الداخليـة والخارجية وإصدار القرارات المهمة للرعية.

"فقد كان المسجد دائرة سياسية وعسكرية لتوجيه علاقات الدولة في الخـارج والـداخل ولتوجيه الجيوش المدافعة عن عقيد ا"[٤].

د. دور المسجد الاجتماعي

فقد "كان المسجد مركزا اجتماعيا تدرس فيه الأمور الاجتماعية المنظمة لشـؤون الحيـاة الإسلامية الجديدة كجباية الزكاة وتوزيعها على مستحقيها"[٥]، فقد كان الخلفـاء والـولاة يقومون بتقسيم الأعطيات في المساجد.

---

[١] علي، محمد كرد: خطط الشام ، مرجع سابق ، ١٤٦/١.

[٢] السفياني،صالحة بنت حاي بن يحيى: التعليم في المساجد في القرن الأول الهجري ، مرجع سابق ،ص:٣٩

[٣] ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ،١٧٣/٦٣.

[٤] السدلان، صالح بن غانم: المسجد ودوره في التربية والتوجيه وعلاقته بالمؤسسات الدعوية في ا تمع ، مرجع سابق، ص:٦١.

[٥] المرجع السابق، ص:٦٢.

فعن الهيثم بن عمران العبسي قال:"سمعت رسالة مروان تقرأ بمسجد دمشق وقد جاء فيهـا تقسيم عطاء".[1]

فيعد المسجد مكانا للإعانة والرعاية الاجتماعية حيث كانت الأموال توزع من خلاله على الفقراء و المحتاجين هذا بالإضافة إلى الدور الاجتماعي الإنساني الذي يكـون في المسـجد نتيجة لاجتماع المسلمين مع بعضهم البعض.

"فلقد كان المسجد بوضعه الديني والثقافي من أهم العوامل التي تشيع المحبةَ والأخـوةَ بـين المسلمين بتلاقيهم خمس مرات في اليوم الواحد يذكرون ر م ، ويتشاورون في أمور دينـهم ودنياهم ، واختفت بينهم عادات الكبرياء والأنانية ، فالكل يسعى إلى مرضـاة الله تعـالى وذلك حين يقف الجميع أمام الله في صفوف متساوية"[2]، ففيه يتدارس المسلمون في قضاياهم ومشكلا م ويعملون على حلها ويتفقدون أحوال بعضهم البعض ويحققون بـذلك أهـم المقاصد التي دعا إليها ديننا الحنيف.

هـ. دور المسجد التعليمي

أُتخذَ المسجد مكانا للدراسة منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحتى عصر الدولـة الأموية "فقد كان الفقهاء يحدثون ويفسرون آيات الكتاب المـبين ويـروون الأحاديـثَ ويشرحون النصوص للمسلمين ، وبجانب حلقات الدين كانت هناك حلقات اللغة لمن يريد أن يجيد إتقان اللغة العربية"[3]، فتعتبر المساجد بمثابة المعاهد التي تلقى فيها النـاس العلـم في مختلف فنون المعرفة حتى إ ا ارتقت بطلاب العلم حتى أصبحوا منارات للهدى ففي المساجد تخرج الأئمة وكبار العلماء من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فقد كانت المكان الرئيسـي لنشر الثقافة الإسلامية.

فلقد ارتاد مجالس المساجد العلمية الراغبون في العلم والعلماء المسلمون من جميع أنحاء الدولة الإسلامية، وكان متاحا في مجالسها لأي شخص من المستمعين أن يسأل العالم فيما يعن لـه

[1] ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ،٣٣١/٥٧.
[2] الصالح، محمد بن أحمد بن صالح:المسجد جامع وجامعة، مرجع سابق، ص:٥٤.
[3] عبد العزيز، محمد الحسيني: الحياة العلمية في الدولة الإسلامية ، مرجع سابق، ص:٣٢.

من أمور دينه ودنياه، وكان للمتعلم الحرية في أن يذهب إلى أي حلقة في المسـجد وإلى أي شيخا يأنس له ولعلمه.

٤. بعض أشهر المساجد في الشام في العصر الأموي ودورها التربوي:

أ. الجامع الأموي:

"يعد الجامع الأموي بدمشق من عجائب الدنيا ،فقد بناه الوليد بن عبد الملك، ويقال إن الوليد بن عبد الملك أنفق على بنائه خراج المملكة سبع سنوات ، وكانت فيـه حلقـات لتدريس الطلبة".[١]

- **دوره التربوي:**

أصبح المسجد الأموي في دمشق في العصر الأموي أهم مكان لتعليم المسلمين "حيث يلتف الناس حول الصحابة والتابعين في حلقات منظمة ليستمعوا لقراءة القرآن الكـريم وشـرح تفسير الكتاب المبين، ويرددوا آيات القرآن ، كانوا يحفظون الأحاديث النبويـة الشـريفة، ويدرسون الفقه ويسألون العلماء عن كل غامض في أمور دينهم"[٢]، فلقد شهدت أروقتـهم الكثير من مجالس العلم في جميع الفنون والعلوم وسطعت شمس كثير من علماء ذلك العصـر من خلال حلقات العلم التي كانت تعقد فيه.

"ولا ريب أن المسجد الأموي بدمشق وحلقات الدراسة فيه وكبار الصحابة الذين وفدوا إلى دمشق لتعليم أهل الشام أمور دينهم كانت عاملا هاما ودافعا للنهضـة العلميـة للتقـدم والازدهار".[٣]

ب. المسجد الأقصى (بيت المقدس):

اهتم خلفاء بني أمية ببيت المقدس اهتماما بالغاً ويظهر ذلك من خلال ما فعله عبد الملك بن مروان من بنائه لمسجد وقبة الصخرة، "لما أراد عبد الملك عمارة بيت المقدس وجه الأموال

---

[١] أحمد، سعد مرسي: تطور الفكر التربوي ،مرجع سابق، ص:٢١٨.

[٢] عبد العزيز، محمد الحسيني: الحياة العلمية في الدولة الإسلامية ، مرجع سابق، ص:١٢٩.

[٣] المرجع السابق، ص:١٢٠.

والعمال ووكل بالعمل رجاء بن حيوة ويزيد بن سلام مولاه وجمع الصناع من أطراف البلاد وأرسلهم إلى بيت المقدس وأرسل إليه بالأموال الكثيرة الجزيلة"[١].

• دوره التربوي :

للمسجد الأقصى مكانة في نفوس المسلمين فهو أولى القبلتين وثالث المساجد في الإسلام، فقد كان موئلاً للعلم وطلبته، فتسارع إليه العلماء من جميع أرجاء العالم ينشرون العلم من خلاله وأشهر من تولى التعليم في بيت المقدس :

عبد الرحمن بن غنم[٢] وأم الدرداء ، فقد كانت أم الدرداء تجلس مع نساء المساكين تعلمهم في بيت المقدس[٣] وعطاء بن أبي مسلم[٤]، وكان رجاء بن حيوة[5] يحدث ويفقه في بيت المقدس[٦]، وأول من أحدث الدراسة في المسجد الأقصى الوليد بن عبد الرحمن الجرشي[٧]،فقد كان المسجد الأقصى منارا للعلم والعلماء.

هذا بالإضافة إلى بعض المساجد الأخرى مثل مسجد بيروت والذي كانت فيه حلقة للحديث والفقه للإمام الأوزاعي، ومسجد حمص والذي كان فيه مجلس لنوف بن فضالة يقص فيه على الناس[٨]، ومسجد بداريا ومن أشهر من حدث فيه أبو قلابة الجرمي[٩].

---

[١] ابن كثير، أبي الفداء:البداية والنهاية، إعداد:يوسف الشيخ ومحمد البقاعي، مرجع سابق، ٢٢٤/٨.

[٢] عبد الرحمن بن غنم الأشعري، الفقيه الإمام، شيخ أهل فلسطين، بعثه عمر إلى الشام يفقه الناس، وكان أبوه صحابيا، هاجر مع أبي موسى، قال أبو القاسم:ولد عبد الرحمن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، مختلف في صحبته، توفي سنة ٧٨، (الذهبي :سير أعلام النبلاء ، مرجع سابق ،٤٦/٤).

[٣] ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ،١١٩/٣٧.

[٤] عطاء بن أبي مسلم –واسم ابي مسلم ميسرة ويقال عبد الله – أبو أيوب ويقال أبو عثمان الخرساني، من أهل سمرقند سكن الشام، ومن الشام بيت المقدس، ويعد في الطبقة الثالثة من أهل الشام، ولد سنة ٥٠هجرية وتوفي بأريحة سنة ١٣٥ هجرية ، وحمل ودفن ببيت المقدس (ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ،٤١٦/٤٠-٤٣٦).

[5] رجاء بن حيوة بن جندل بن الأخنف ابن الصمت ابن امرؤ القيس ، روى عن كثير من الصحابة مثل عبد الله بن عمر ، معاذ بن جبل ، أبي الدرداء وغيرهم ، قال عنه ابن سعد : هو في الطبقة الثالثة من تابعي أهل الشام وكان ينزل الأردن ، كان ثقة عالمًا فاضلاً كثير العلم ، مات زمن هشام بن عبد الملك عام١١٢ (ابن عساكر :تاريخ مدينة دمشق ،مرجع سابق ٩٦/١٨).

[٦] ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ،٩٦/١٨.

[٧] من فقهاء أهل الشام وكان على خراج الغوطة في أيام الشام (ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ،١٥٨/٦٣).

[٨] ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ،٣١١/٦٢.

[٩] عبد الله بن زيد بن عمرو أو عامر بن ناتل بن مالك، الإمام، شيخ الإسلام أبو قلابة الجرمي البصري قدم الشام، وانقطع بداريه، كان ثقة، كثير الحديث، كان ديوانه بالشام، أدرك خلافة عمر بن عبد العزيز ثم توفي سنة١٠٤هجرية (الذهبي :سير أعلام النبلاء ، مرجع سابق ،٤٧١/٤).

٥. حلقات العلم :

كان التعليم في المساجد يتم عن طريق الحلقات.

والحلقة هي : كل شيء استدار كحلقة الحديد والفضة والذهب، وكذلك هو في النـاس، والجمع حلاَق على الغالب وحلَق على النادر، وهي الجماعة من الناس مستديرين كحلقـة الباب وغيرها[١]

"فقد كان كل شيخ يستند إلى عمود من أعمدة المسجد ويتحلق حوله الطلاب على شكل دائرة (حلقة)".[٢]

"فقد كان التدريس في المساجد يتم على نظام حلقات يجلس فيها النـاس علـى الأرض في ركن من أركان المسجد ، ويأخذ الأستاذ مكانه في أول الحلقة ويجلس المستمعون والتلاميذ حوله".[٣]

أنواع الحلقات:

ولقد تنوعت الحلقات التي تعقد في المساجد على حسب الفن الذي تتناوله ومنها :

أ. مجالس أو حلقات الإقراء:

اهتم المسلمون بالقرآن منذ نزوله لأنه مصدر التشريع.

وقد كان المسجد هو المكان الملائم لتعليمه وقراءته ، فقد كان عامة الناس الذين يرغبون في تعليم أولادهم القرآن يبعثون م إلى المساجد، وكانت تعقد حلق يقـرأ فيهـا القـرآن في مساجد الشام وقد روي أن أبا الدرداء هو الذي سن هذه الحلق فقد كان يسمى معلم الشام أو قارئ الشام.[٤]

وسار على طريقه كثير من علماء الشام أمثال:

---

[١] ابن منظور: لسان العرب ، مرجع سابق ، مادة: حلق،٢/٩٦٧-٩٦٨.

[٢] أبيض، ملكة : التربية والثقافة العربية – الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى ، مرجع سابق ، ص:٢٦٦.

[٣] الخربوطلي، علي حسنى: الحضارة العربية الإسلامية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ص:٢٤٨.

[٤] ابيض، ملكة : التربية والثقافة العربية – الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى ، مرجع سابق ، ص:٢٦٨.

- عبد الله بن عامر[1] الذي أخذت عنه الشام القراءة العثمانية ، وكان مجلسه بـين الجنانة والقنطرة.[2]
- بلال بن سعد السكوني[3] ، شيخ أهل دمشق كان قارئ أهـل الشـام، جهـير الصوت ، وكان إمام جامع دمشق إذا كبر سمع صوته من الأوزاع.[4]
- وأبو إدريس الخولاني "فقد كانت حلَق المسجد بدمشق يقرءون القرآن يدرسون جميعا فكلما مرت حلقة بآية سجدة بعثوا إليه يقرأ ا و أنصتوا له".[5]

وكانت أيضا هناك حلق لتعليم القرآن للعالمة الجليلة أم الدرداء فقد كانت تجلس في حلـق القراء تعلم القرآن وهي صغيره وحين بلغت تزوجها أبو الدرداء وقال لها الحقي بصـفوف النساء.[6]

ب. مجالس الإفتاء:

كان بعض علماء المسلمين في ذلك العصر لا يحبذون أن يبتدئوا الحديث إذا لم يسألهم أحد وكانوا يكتفون بالإجابة على أسئلة من يسألهم من الناس، فأصبحت هناك مجالس للإفتـاء

---

[1] عبد الله بن عامر أبو عمران ويقال أبو عبيد الله ويقال أبو عامر اليحصبي، قارئ أهل الشام، ولي قضاء دمشق بعد أبا إدريس الخولاني، وهو في الطبقة الثانية من أهل الشام، وكان أهل الشام يسندون قراء م إليه، توفي سنة ١١٨(ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشـق ، مرجـع سابق ،٢٧١/٢٩).

[2] ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ،٢٨٠/٢٩.

[3] بلال بن سعد بن تميم السكوني شيخ أهل دمشق ، كان لأبيه سعد صحبة ، كان بليغ الموعظة ، حسن القصص ، نفاعا للعامة ، وكان قارئ أهل الشام جهير الصوت ، توفي سنة نيف وعشرة ومئة (الذهبي :سير أعلام النبلاء ، مرجع سابق ،٩٠/٥).

[4] الذهبي :سير أعلام النبلاء ، مرجع سابق ،٩٢/٥.

[5] ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ،١٦٢/٢٦.

[6] الذهبي :سير أعلام النبلاء ، مرجع سابق ،٢٧٨/٤.

وأشهر هذا الحلقات حلقة مكحول[١] في مسجد دمشق[٢]، وقد أوصى بحلقتـه للعـلاء بـن الحارث[٣].[٤]

وكان بعضهم يجعل الفتيا مصاحبة للحديث فقد أجاب الأوزاعي عن سبعين ألف مسألة ، وروى الحديث في حلقته بمسجد دمشق.[٥]

ج. مجالس الحديث:

اهتم علماء ذلك العصر بالحديث النبوي الشريف اهتماما كبيرا وتمثل ذلك بجمعه ومعرفـة رواته وصحة أسانيده وشرحه إمعانا منهم بأهميته كونه المصدر الثاني من مصادر التشـريع فلقد جمع الحديث النبوي الشريف في عهد الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز على عدد من علماء ذلك العصر وعلى رأسهم الزهري الذي كانت له حلقة للحديث في مسجد دمشـق فلم يكن أحد أعلم بالسنة منه.[٦]

وكانت هناك أنواع لهذه المجالس منها يكون للتحديث فقط "بأن يروي المحدث على المـلأ أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ويشرحها"[٧]، وأمثلة هذه المجالس مجلس الأوزاعي في مسجد بيروت[٨].

ومجالس للإملاء وفيها "يملي الشيخ أحاديث الرسول محمد صلى الله عليه وسلم إما من محفوظاته ، أو من مذكرات كتبها ليقرأ منها ، ويملي فقرة فقرة ، أو حديثًا حديثًا مع اتصال السند ، ويكتب الطلبة ما يمليه ، وبعد الانتهاء يعقب بالشرح والتفسير والتوضيح لما غمض في الحديث ، والطلاب يـدونون

---

[١] مكحول بن دبر ويقال ابن أبي مسلم بن شاذل الكابلي ، ذُكر اسمه مقلاص ، من سبئ كابل ، مولى لامرأة من هذيل وقيل لامرأة مـن قريش ، فقيه أهل دمشق ، وأحد قراء الشام ، قال عنه الزهري العلماء أربعة منهم مكحول بالشام ، مات في زمن هشام بن عبد الملـك عام١٨٢هـ (ابن عساكر :تاريخ مدينة دمشق مرجع سابق ١٩٧/٦٠).

[٢] ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ،٢١٥/٦٠.

[٣] العلاء بن الحارث بن عبد الوارث أبو وهب ويقال أبو الحارث الحضرمي، في الطبقة الثالثة من أهل الشام، وكـان أحلـم أصـحاب مكحول وأقدمهم، وكان يفتي ثم خولط، مات سنة ٢٣٦ وكان فقيه الجند (ابن عساكر :تاريخ مدينـة دمشـق، مرجـع سـابق ، ١٤١/٥٠-١٤٢).

[٤] ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ،١٤٤/٥٠.

[٥] الذهبي: سير أعلام النبلاء ، مرجع سابق ، ١١١/٧.

[٦] المرجع السابق ،٣٣٦/٥.

[٧] أقلانية، مكي: النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الثلاثة الأولى ، مطبعة طوب بريس، الرباط، ٢٠٠٢م، ص:٢١.

[٨] ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ،١٠٤/٣٧.

هذه الشروح على هامش أوراقهم التي كتبوا فيها الأصول"[١]، ومن أمثلة هذه المجالس في الشام مجلس وائلة بن الأسقع "فقد كان يملي على الناس الأحاديث وهم يكتبونها بين يديه"[٢]، وكذلك مجلس الإمام الأوزاعي في مسجد دمشق[٣].

د. **مجالس اللغة:**

وهي تشتمل على مجالس للنحو والشعر وكذلك الأدب، كان لنوفل بن الفرات[٤] مجلس يجلس إليه أهل الأدب في مسجد حلب[٥].

هـ. **مجالس القصص والوعظ:**

وفيها يقوم القاص بوعظ الناس وتذكيرهم بالآخرة عن طريق القصص وقد شهدت مساجد الشام في العصر الأموي إقبالاً كبيرا لهذه المجالس ، وكان أبو إدريس الخولاني قاصا في مسجد دمشق[٦] ، وكان نوف بن فضالة[٧] قاصا في مسجد بحمص[٨].

"لقد أُتخذَ المسجد مكانا للدراسة منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وحتى عصر الدولة الأموية ، فقد كان الفقهاءُ يحدثونَ ويفسرونَ آيات الكتابِ المبين ويروون الأحاديث ويشرحون النصوص للمسلمين[٩] ، وبجانب حلقات الدين كانت هناك حلقات اللغة لمن يريد يريد أن يجيد إتقان اللغة العربية"[١٠].

---

[١] علي، سعيد إسماعيل:معاهد التربية الإسلامية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ،١٩٨٦ ، ص:٢٢٥.

[٢] البغدادي ، احمد بن علي : الجامع للأخلاق الراوي وآداب السامع، مرجع سابق، ٥٥/٢.

[٣] ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ،٣٣٣/٥٥.

[٤] نوفل بن فرات بن مسلم العقيلي ، قدم على عمر بن عبد العزيز مع أبيه وروى عنه ، سكن حلب ، وهو عامل عمر بن عبد العزيز كان كان رجلاً من كتاب الشام (ابن عساكر :تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ، ٢٩٠/٦٢).

[٥] ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ،٢٩٢/٦٢.

[٦] لمزيد من التفصيل انظر الفصل الرابع.

[٧] نوف بن فضالة أبو يزيد ويقال أبو رشيد الحميري البكاري، إبن امرأة كعب الأحبار، من أهل دمشق ، ويقال من أهل فلسطين، سمع علي بن طالب وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبا أيوب الأنصاري وثوبان (ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ،٣٠٣/٦٢).

[٨] ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ،٣١١/٦٢.

[٩] للاستزادة انظر الفصل الخامس.

[١٠] عبد العزيز، محمد الحسيني: الحياة العلمية في الدولة الإسلامية ، مرجع سابق، ص:٣٢.

٦. طريقة الدراسة في المساجد:

وامتاز التعليم في المساجد بالحرية "فقد كان الطلبة يختارون المواد الدراسية والشيوخ الـذين يلتحقون بهم بإرشاد من أقاربهم أو من الأساتذة الذين يثقون بهم".[١]

قيل لمكحول: أتجالس غيلان؟ فقال مكحول : إنما لنا مجلس، فلا أستطيع أن أقول لهذا قـم ولهذا اجلس[٢] ، إلا أن بعض العلماء كان يضع شروطًا لمجلسه مثل أن يكون طالب العلـم لديه قد قرأ القرآن ، وكان الأوزاعي إذا رأى غلاما يحضر مجلسه يقول له: يا غلام أقـرأت القرآن؟ فإن قال نعم ، قال: اقرأ {يوصيكم الله في أولادكم} وإن قال لا . قال: اذهـب ، وتعلّم القرآن قبل أن تطلب العلم.[٣]

نخلص من ذلك أن العلماء في ذلك العصر لا يرون بأسا من تعليم صغار السن إذا رأوا منهم إقبالاً على العلم.

"وكانت العادة المتبعة ، ليكون المرء عالمًا بالفرع الذي يريد التخصص فيه أنه يسـتمع إلى محاضرات العالم الثقة في الفرع المذكور ، ومتى أحسن الاستماع ، ونجح في الامتحان أمـام أستاذه ، أجازه أو سمح له بتعليم الفرع الذي درسه وأتقنه".[٤]

"ولقد كان العلماء يقومون بالتدريس والتعليم مباشرة ، وإما أنهم يجلسون ليتلقوا الأسـئلة فيجيبون عليها في مجالسهم في أي فن من فنون المعرفة".[٥]

٧. بعض من أشكال الحلقات في المساجد:

كانت للحلقات في المساجد عدة أشكال :

أ. حلقات متنوعة العلوم

وهي التي تكون خاصة لعالم جامع يتناول موضوعات شتى فيما يلقيه وكانت تلك الحلقات الغالبة في ذلك العصر، وممن اشتهر بهذه الحلقات في الشام في العصر الأموي ، أبو إدريـس

---

[١] أبيض، ملكة : التربية والثقافة العربية – الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى ، مرجع سابق ، ص:٢٦٦.

[٢] ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ،٢٢٧/٦٠.

[٣] البغدادي، أحمد بن علي: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٤٠٣هـ،١٠٨/١.

[٤] الخربوطلي، علي حسنى: الحضارة العربية الإسلامية ، مرجع سابق، ص:٢٤٨.

[٥] المصنف، عبد الرحمن أحمد حفظ الدين: الحركة العلمية في العصر الأموي في المشرق الإسلامي ، رسالة لنيل درجة الماجستير ، جامعـة صنعاء ، كلية الآداب قسم التاريخ ، شعبة التاريخ الإسلامي ، ١٤٢١ – ٢٠٠٠، ص:١٧٨ .

الخولاني: فقد كانت حلق القرآن في مسجد دمشق تقرأ بقراءته وإذا فرغوا من قراءة م قص عليهم.[١] فقد كان يجمع في مجلسه بين الإقراء والقصص.

ب. **حلقات خاصة بعلم واحد**

فقد كان بعض الشيوخ يختص بتدريس مادة واحدة في حلقته فقد اشتهر عبد الله بن عـامر بالإقراء وعاصم بن عمر بن قتادة[٢] بالمغازي[٣].

٨. وقت التعليم

لقد كانت المساجد مكانا عاما تفتح أبوا ا للجميع وقد كانت مجالس العلم فيها متعـددة وموجودة في كل حين ووقت "فقد كانت الحلقات تعقد في أي وقت بالليـل أو النـهار حسب رغبة المتعلمين ، وهناك من يقول أن المدرسين هم الذين كانوا يقرون مـتى يعقـد الدرس وكم مره في الأسبوع".[٤]

فعن سعيد بن عبد العزيز[5] قال : "كنت أجالس بالغداة يزيد بن عبد الرحمن ، وبعد الظهـر إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر[٦] ، وبعد العصر مكحولاً"[٧].

وكان الأوزاعي يبدأ مجلسه بعد طلوع الشمس، "قال الوليد بن مسلم: رأيت الأوزاعـي يثبت في مصلاه، يذكر الله حتى تطلع الشمس، ويخبرنا عن السلم: أن ذلك كان هديه، فإذا

---

[١] ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ،١٦٣/٢٦.

[٢] هو عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان أبو عمر، الظفَري الأنصاري المدني، أحد العلماء، كان عارفًا بالمغازي يعتمد عليه ابن اسـحاق كثيرا توفي سنة١١٩هجرية، كان جده من فضلاء الصحابة وهو الذي رد النبي صلى الله عليه وسـلم عينـه فعـادت بـإذن الله كمـا كانت(الذهبي: سير أعلام النبلاء ، مرجع سابق ، ٢٤١/٥).

[٣] الذهبي: سير أعلام النبلاء ، مرجع سابق ، ٢٤١/٥.

[٤] الدوري، عبد العزيز : التربية العربية الإسلامية (المؤسسات والممارسات)، مدخل تاريخي ، مرجع سابق، ٢٤/١.

[5] سعيد بن عبد العزيز بن أبي يحي أبو محمد التنوخي، فقيه أهل الشام، مفتيهم بعد الأوزاعي، قرأ القرآن على عبد الله بن عامر، ولـد في إمارة الوليد بن عبد الملك مات بدمشق سنة١٦٧هجرية (ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ،١٩٣/٢١).

[٦] إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر ، من أهل دمشق ، كان يؤدب ولد عبد الملك بن مروان ، كان معلما ، قال عنه الدار قطني إسماعيل إسماعيل هذا ثقة ، مات في خلافة مروان بن محمد عام ١٣١ هـ (ابن عساكر :تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ، ٤٢٩/٨).

[٧] ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ،١٩٨/٢١.

طلعت الشمس، قام بعضهم إلى بعض، فأفاضوا في ذكر الله، والتفقه في دينه"[١]، عن ابن أبي عبلة "قال: كنا نجلس إلى عطاء الخرساني بعد الصبح"[٢].

١٠. مدة الدراسة:

لقد كانت تختلف مدة الدراسة تبعا للعالم والمتعلم فلم تكن هناك مدة محدودة للدراسة "غير أن دراسة الحديث كانت تتطلب مدة أطول من سائر الدراسة الأخرى".[٣]

ولقد صحب موسى بن يسار[٤] مكحولاً خلال أربعة عشر عاما، جالس الوليد بن مسلم عبد عبد الرحمن بن يزيد بن جابر سبعة عشر عاما[٥].

إذًا فقد كان المسجد "معهدا علميا ، ومكانا حربيا ، وقاعة اجتماعية ، ومنطلقًـا فكريـا وسياسيا وجهاديا"[٦].

فلم يكن المسجد مكانا للعبادة فحسب بل كان محكمة للتقاضي ومكانا للدراسة.

---

[١] الذهبي :سير أعلام النبلاء ، مرجع سابق ،١١٤/٧.

[٢] ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ،٤٢٧/٤

[٣] ملكة ، أبيض : التربية والثقافة العربية – الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى ، مرجع سابق ، ص:٢٩٠.

[٤] موسى بن يسار الأسدي من أهل دمشق، روى عن مكحول، صحب مكحول وأقام معه، قيل أنه من أهل الأردن (ابن عساكر:تـاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ،٢٤٠/٦١).

[٥] ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ،٢٨٥/٦٣.

[٦] الخطيب، محمد شحاته، واخرون، أصول التربية الإسلامية، مرجع سابق ، ص:١٧٥.

ثالثا: قصور الخلفاء والأمراء:

إلى جانب التعليم في المسجد كان هناك تعليم خاص في القصور، وكان التعليم هناك يتم في صورتين:

١. التعليم الأولي الخاص بأبناء الخلفاء والأمراء:

فقد نشأ شكل من التعليم الابتدائي في قصور الخلفاء والأمراء في العصر الأموي يختص بأبنائهم "فقد كان الخلفاء والأمراء الأغنياء يتخذون لأولادهم معلمين خاصين يذهبون إلى القصور ويجلس الأولاد إليهم يتلقون منهم قدرا من الثقافة والمعرفة"[١] ، وبناءً على ذلك ظهرت طبقة جديدة تسمى بطبقة المؤدبين.

إن هذا النوع من التعليم ذو صلة بالكتاتيب الخاصة بتعليم القرآن ومبادئ الدين الإسلامي الذي تحدثنا عنه سابقًا ، إذ إنّ كلاً منهما هدفه الرئيس مبني على التعليم وتحفيظ القرآن والذي يمثل محور المنهاج الدراسي الذي تلتف حوله بقية المواد الأخرى إلا أن التعليم في القصور يختلف بناءً على رأي الوالد "فالوالد يشترك في تخطيط وتحديد ما يتعلمه ابنه من معلمه الخاص"[٢].

و يتضح ذلك لنا من خلال وصايا الخلفاء والأمراء الأمويين إلى مؤدبي أولادهم، فقد أوصى عمر بن عبد العزيز مؤدب ولده بقوله:

> " إني اخترتك على علم مني بك لتأديب ولدي ، فصرفتهم إليك عن غيرك من مواليّ، وذوي الخاصة بي ، فحدثهم بالجفاء فهو أمعن لإقدامهم ، وترك الصحبة فإن عادتها تكسب الغفلة ، وقلة الضحك فإن كثرته تميت القلب، وليكن أول ما يعتقدونه من أدبك بغض الملاهي التي بدؤها من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمن ... إلى قوله: وليفتتح كل غلام منهم بجزء من القرآن يتثبت في قراءته، فإذا فرغ، تناول قوسه ونبله وخرج إلى الغرض حافياً"[٣].

---

[١] أحمد ، سعد مرسي: تطور الفكر التربوي ،مرجع سابق، ص:٢١٧.

[٢] المرجع السابق، ص:٢١٧.

[٣] الجوزي ، جمال الدين أبي الفرج : سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد ، مرجع سابق ، ص:٢٩٦.

فقد ركز اهتمام عمر بن عبد العزيز على تربية أبنائه على الزهد والورع وبغض الملاهي وتوافه الأمور والجد والعمل والتربية الدينية والأخلاقية بصحبة الأخيار الذين يعينونه على التقوى والصلاح والعلم والعمل، أما هشام بن عبد الملك فقد أوصى مؤدب بعدة أمور :

- أن يجنبه مجالسة أصحاب السوء، ويدخل عليه أهل القرآن وأصحاب العقول حيث قال: "فادخل عليه في خاصة أهل القرآن ، وذوي الأسنان ، فإنك منهم بين خصلتين، إما أن يسمع منهم كلاماً فيعيه ويحفظه فيكون لك صونه وذكره ، وإما أن يراهم الناس يخرجون من عنده فيرون أنكم على مثل ما هم عليه ... لا تدخل عليه الفساق وشربة الخمر"[١].
- أن يعلمه نسب العرب والفلك والبلاغة ومواضع الكلام و معرفة الجواب . ومن ذلك قوله "وخذه بعلم نسبه في العرب حتى لا يخفى عليه منه قليل ولا كثير ، وعلمه منازل القمر ، وأنواع الخطب ، ومواضع الكلام ، ومعرفة الجواب"[٢] .

وقد كان يطلق على معلم أبناء الخلفاء والأمراء اسم (مؤدب)، وكان المؤدبون يحتلون مكانة عظيمة عن غيرهم من المعلمين "فهناك دلائل كثيرة تشهد بمكانتهم وتفيد أن تأديب أولاد الخاصة صبيانا أو كبارا كان عملاً عظيما ، يكسب من يقوم به الجلال ويحوطه بإيهاب من العظمة"[3] ، فقد كانوا بالإضافة إلى التقدير والاحترام من قبل الخلفاء والأمراء كانوا ينالون أجورا عاليه تصل إلى ألف دينار شهريا ، بالإضافة إلى تسديد الديون وتقديم الهدايا[٤].

وبما أن الشام كانت عاصمة الخلافة الأموية فقد شهدت قصورها الكثير من المؤدبين الذين لمعوا في التاريخ أمثال :

أ. الزهري – مؤدب هشام بن عبد الملك[5].

---

[١] السجستاني ، أبي الحاتم : المعمرون والوصايا ، ص:١٣٧، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركائه ، ١٩٦١م.

[٢] المرجع السابق، ص:١٣٨.

[3] عبد الدائم ، عبد الله :التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين ، دار العلم للملايين، بيروت، ط١ ،١٩٧٣م،ص:١٦٧.

[٤] انظر الفصل السادس : تمويل التعليم، ص:١٦٩.

[5] ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ، ٣٢٥/55.

ب. إسماعيل بن عبيد الله بن أبي مهاجر – مؤدب أبناء عبد الملك بن مروان[١].
ج. سليمان الكلبي[٢] – مؤدب محمد بن هشام بن عبد الملك[٣].

٢. مجالس الخلفاء:

إن نظام التعليم في الشام في العصر الأموي امتاز بالسهولة والمرونة ، فلـم يتقيـد بمكـان مخصص لنشر الثقافة والتعليم ، فكانت تعقد الحلقات والمجالس العلمية في المساجد والقصور ومنازل العلماء ، وكان يحضرها الراغبون في العلم والتعلم من كل مكان فلم يكن التعليم في ذلك العصر محددا بمكان أو زمان ، وبما أن الخلفاء كانوا يعدون أنفسهم حماة للعلم ، ويرون أن قصورهم مركزا تشع منه الثقافة والفنون، فاتخذوا من قصورهم مجالس للأدب والعلـم وعقدوا بها الندوات والمناقشات والمناظرات "فالخلفاء كغيرهم من الناس حيث كان الكـثير منهم تتوق نفسه إلى حضور مجالس العلم وسماع المواعظ ، غير أن هناك بعض الموانع منعتهم من تحقيق هذه الرغبة ، الأمر الذي دفع كثير منـهم إلى اسـتدعاء العلمـاء إلى القصـور وإكرامهم والطلب إليهم أن يقيموا مجالس علم ووعظ لمن في القصـر"[٤] ، فلقـد جـرت مناقشات كثيرة في مجالس الخلفاء الأمويين ، ولاسيما معاوية و عبد الملك وعمر بن عبـد العزيز وتعددت فنونها وأهدافها فمنها ما كان لغرض التعلم والتفقيه ومنها ما كان لمعالجـة قضية معينة ومنها ما كان للتسلية والترويح عن النفس.

لقد كانت قصور الخلفاء تحوي على العديد من مجالس العلم في شتى العلوم والفنون ولقـد تعددت أغراضها وأهدافها من خليفة لآخر ، ولقد حظيت الشام بالحظ الأوفر مـن هـذه المجالس وذلك لأنها عاصمة الخلافة ومقر الرئاسة فشهدت قصورها الكـثير مـن العلمـاء والشعراء والأطباء والحكماء من الشام نفسها ومن خارجها وهذه نماذج لبعض هذه المجالس:

أ. مجالس تختص بالحديث والفقه :

---

[١] ابن عساكر :تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ، ٤٢٩/٨.

[٢] هو سلميان بن سلم بن كيسان مولى كلب ، والد أبي نوفل علي بن سليمان الكيساني الكاتب، إرتضاه هشام بن عبد الملك لتأديب إبنه محمد وأوصاه بما ينبغي أن يأخذه به، وقد أجرى له في كل شهر ألف دينار، ذكره أبو الحسين في تسمية كتـاب أمـراء دمشـق (ابـن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ، ٣٣٠/٢٢).

[٣] ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ، ٣٣٠/٢٢.

[٤] أبو لاوي ، أمين :أصول التربية الإسلامية ، ط١، دار ابن الجوزي ، الدمام ،١٤١٩، ص:١٣٠.

اهتم خلفاء بني أمية بالحديث وأولوه اهتماما عظيما فعنوا بدراسة الحديث وقربوا المحدثين واستمعوا إليهم وكانوا يذاكرونهم "وهذا ما دفع الصحابي أنس بن مالك المجيء إلى الوليد بن عبد الملك في حاشية تضم أربعين شخصا، استقبله الوليد في الجابية حيث كان الخلفاء الأمويين يعقدون اجتماعاتهم ومؤتمراتهم ، واستمع الحضور إلى الصحابي الجليل يحدث الخليفة بأحاديث سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم"[١] وذلك أيضا ما فعله الخليفة عمر بن عبد العزيز خصوصا، وتم في عهده جمع الأحاديث وتدوينها فقام باستدعاء العلماء والمحدثين إلى قصره ليسمع منهم مشافهةً ، فعن ممطور أبو سلام الحبشي[٢] قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى صاحب دمشق: أن سل أبا سلام عما سمع من ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحوض ، فإن كان يثبته فاحمله على مركبة من البريد"[٣].

وكان بعد أن يستمع للأحاديث ويتثبت منها يأمر بتدوينها:

> "فعن إياس بن معاوية قال: كنا عند عمر بن عبد العزيز فذكر عنده الحياء فقالوا الحياءُ، من الدين فقال عمر بن عبد العزيز: بل هو الإيمان كله قال: قلت: يا أمير المؤمنين: حدثني أبي عن جدي قرة المزني قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فذكر عنده الحياءَ فقالوا: يا رسول الله الحياء من الدين؟ فقال رسول الله صلى عليه وسلم إن الحياء والعقاب والعي –عي اللسان لا عي القلب – والعمل من الإيمان" ، قال إياس فحدثت به عمر بن عبد العزيز فأمرني فأمليتها عليه وكتبها بخطه ثم صلى بنا الظهر والعصر ، وإنها في كفه ما يضعها إعجابا بها"[٤].

---

[١] ملكة ، أبيض : التربية والثقافة العربية – الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى ، مرجع سابق ، ص:١٢٥.

[٢] ممطور أبو سلام الأعرج الأسود الحبشي، نسب إلى حي من اليمن لا إلى الحبشة، من أهل دمشق، روى عن علي بن أبي طالب وثوبان وكعب الأحبار، وعبد الرحمن بن غنمة الأشعري. وعده ابن سعد في الطبقة الأولى من أهل الشام بعد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يدخل على عمر بن عبد العزيز فيكرمه ويسمع منه (ابن عساكر :تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ، ٢٦٣/٦٠-٢٧٠).

[٣] ابن عساكر :تاريخ مدينة دمشق ، المرجع السابق ، ٢٦٥/٦٠.

[٤] المرجع السابق ، ٦/١٠-٧.

فقد عني هذا الخليفة العظيم بالحديث النبوي خصوصا وأنه ظهـر في عصـره الوضـع والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ يجمـع الأحاديـث ويسـتمع إلى المحدثين ويتثبت منهم وإذا تأكد من صحة هذا الحديث دونه.

وكانت هناك مجالس تحوي مناقشات حول مواضيع فقهية يشارك فيها الخليفة نفسه أو يستشير بشأ ا فقهاء من أرجاء العالم الإسلامي ومن ذلك ما حدث في مجلس الخليفـة عبد الملك بن مروان عندما أتته مسألة فأراد أن يتأكد من حديث جاء فيهـا فـأمر أن يبحث له عمن يعلم ذا الحديث من العلماء ، فعن الزهري "قـال: قـدمت دمشـق فوضعت رحلي ، ثم غدوت إلى المسجد فيممت إلى أعظم مجلس رأيته في المسجد وأكثر أهلاً ، فجلست إليهم ، فبينما نحن على ذلك خرج رجل من عند عبد الملك بن مروان كأجسم الرجال و أجمله وأحسنه هيئه ، أقبل إلى ا لس الذي أنا فيه فأوسـعوا لـه ، فجلس ثم قال: لقد جاء أمير المؤمنين كتاب اليوم ما جاء مثله منذ استخلفه الله ، قالوا: وما هو؟ قال: كتب إليه عامله بالمدينة هشام بن إسماعيل[١] يذكر أن ابنا لمصعب بن الزبير من أم ولد مات فأرادت أمه أن تأخذ ميراثها فمنعها عروة بن الـزبير ، وزعـم أن لا ميراث لها، فتوهم أمير المؤمنين حديثًا سمعه من سعيد بن المسيب يذكر عن عمـر بـن الخطاب في أمهات الأولاد، لا يحفظ أمير المؤمنين ذلك الحديث، قال ابن شـهاب أنـا أحدثك به، فقام إليّ قبيصة حتى أخذ بيدي، ثم خرج بي معه حتى دخل بي على عبـد الملك"[٢]، فمن هذه الحادثة يتبين لنا حرص عبد الملك بن مروان على توثيق العلم والتثبت منه قبل الحكم فيه ولم يعتد برأيه بل استشار من هم أعلم منه من هذا ا ال.

وقد شهدت هذه القصور أيضا كثيرا من المناظرات والحوارات مع الفـرق والمـذاهب الأخرى مثل ما حدث مع إياس وغيلان في مجلس عمر بن عبد العزيز "فلقد اجتمع إياس بن معاوية وغيلان عند عمر بن عبد العزيز فقال عمر: أنتما مختلفان، وقـد اجتمعتمـا فناظرا معا ، فقال إياس: يا أمير المؤمنين إن غيلان صاحب كلام وأنا صاحب اختصار،

---

[١] هو هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد ابن المغيرة المخزومي والي المدينة، كان من أعيناها وكانت بنته زوجة الخليفة عبد الملـك بـن مروان، توفي سنة٨٧هجرية (الزركلي، خير الدين: الأعلام ،مرجع سابق، ٨٤/٨).

[٢] ابن عساكر :تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ، ٣٠١/٥٥.

فإما أن يسألني ويختصر، أو أسأله وأختصر. فقال غيلان: سل. فقال إياس: أخبرني ما أفضل شيء خلقه الله عز وجل. فقال: العقل. قال: فأخبرني عن العقل، مقسوم أو مقتسم؟ فأمسك غيلان، فقال له: أجب، فقال: لا جواب عندي. فقال إياس: قد تبين لك أمره يا أمير المؤمنين، إن الله تبارك وتعالى يهب العقول لمن يشاء فمن قسم له منها شيئًا ذاده عن المعصية، ومن تركه ّور"[1].

وقد يشارك أحيانا الخليفة بنفسه في هذه المناظرات، وخير مثال على ذلك مناظرة الخليفة عمر بن عبد العزيز مع شوذب الخارجي[2] والتي جاء فيها: أن عمر بن عبد العزيز قال لهم:"أورأيت لعن أهل الذنوب فريضة مفروضة لا بد منها؟ فإن كان ذلك فمتى عهدك بلعن فرعون، وقد قال: أنا ربكم الأعلى؟ قال: ما أذكر أني لعنته، قال: ويحك! أيسعك أن لا تلعن فرعون وهو أخبث الخلق، ولا يسعني إلا أن ألعن أهل بيتي والبراءة منهم؟ ويحكم! إنكم قوم جهال أردتم أمرا فأخطأتموه، فأنتم تردون على الناس ما قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعثه الله إليهم وهم عبدة أوثان، فدعاهم إلى أن يخلعوا الأوثان، وأن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، فمن قال ذلك حقن بذلك دمه، وأحرز ماله ووجبت حرمته، وآمن به عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أسوة المسلمين، وكان حسابه على الله، أفلستم تلقون من خلع الأوثان، ورفض الأديان، وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله تستحلون دمه وماله، ويلعن عندكم، ومن ترك ذلك وأباه من اليهود والنصارى وأهل الأديان فتحرمون دمه وماله [ويأمن عندكم]، فقال الأسود: ما سمعت كاليوم أحدا أبين حجة، ولا أقرب مأخذًا، أما أنا فأشهد أنك على الحق وأني بريء ممن برئ منك، فقال عمر لصاحبه: يا أخا بني شيبان، ما تقول أنت؟ قال: ما أحسن ما قلت ووصفت، غير أني لا أفتات على الناس بأمر حتى ألقاهم بما ذكرت وأنظر ما حجتهم، قال: أنت وذاك. فأقام الحبشي مع عمر، وأمر له بالعطاء فلم يلبث أن مات، ولحق الشيباني بأصحابه، فقتل معهم بعد وفاة عمر

---

[1] ابن عساكر :تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ، ١٦/١٠

[2] شوذب بن بِسطام البكري، أحد الخوارج، توفي سنة١٠١هجرية (الزركلي، خير الدين: الأعلام ،مرجع سابق، ١٧٩/٣).

رضي الله عنه"[١]، فهذه الحادثة تدل على سعة علم عمر بن عبد العزيز واتساع أفقه وإقامة الحجة بالمنطق والدليل فقد شهدت مجالسه الكثير من تلك المناظرات والحوارات الهادفة التي كان الهدف منها الوصول إلى الحقيقة.

ب. مجالس أدبية:

لقد احتل الأدب والشعر مكانه بارزه عند خلفاء بني أمية ولا سيما وأن معظمهم كانوا شعراء وفصحاء أمثال عبد الملك بن مروان وسليمان بن عبد الملك، وقد كانوا يحرصون على أن يتعلم أبناؤهم الشعر ويرووه ، وخير مثال على ذلك ما حدث به أحد علماء الشعر المتقدمين من "أن ابني عبد الملك: الوليد وسليمان، اختلفا في امرئ القيس والنابغة، فقدم الوليد النابغة، وقدم سليمان امرأ القيس، فذكر ذلك لعبد الملك فبعث إلى أعرابي فصيح فذكر ذلك له فقال: إني لا أقدم الرجال على أسمائها، ولكن أنشدوني لهما وقاربوا بين المعنيين. فقال الوليد: صاحبي الذي يقول:

وصدرٍ أراح الليلُ عازب همه   تضاعف فيه الحزنُ من كل جانبِ
تطاول حتى قلت ليس بمنقضٍ   وليس الذي يرعى النجوم بآيبِ

فقال: ما ينبغي أن يكون في الدنيا أشعر من صاحبك! فقال سليمان: لا تعجب حتى تسمع، صاحبي الذي يقول:

وليلٍ كموج البحر مرخٍ سدوله   علي بأنواع الهموم ليبتلي

قال: حسبك، صاحبك أشعر منه. قال: فاسمع ما بعده. قال: لا أحتاج"[٢].

ولقد حظيت قصورهم بالنصيب الوافر من هذه المجالس ، وتوافد عليهم الشعراء من داخل الشام وخارجها ناظمين قصائدهم ومدحهم داعمين لمواقفهم السياسية خصوصا وأن خلفاء بني أمية كانوا لا يبخلون عليهم بالعطايا والجوائز فراحوا يتسابقون ويتنافسون لإرضائهم ومن هؤلاء الشعراء الذين ذاع صيتهم وحظوا بمكانة خاصة عند

---

[١] ابن عبد ربه، أبي عمرو أحمد بن محمد: العقد الفريد ، شرحه أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، مرجع سابق ،٤٠١/٢-٤٠٢.

[٢] الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق: مجالس العلماء ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط٢، دار الرفاعي ، الرياض، ١٤٠٣، ١٩٨٣، ص:٢٠٨.

الخلفاء: جرير[١] والفرزدق والأخطل[٢]، وقد شهدت قصور بني أمية الكثير من الحوارات والمناقشات حولهم والجدل بأي منهم أشعر من الآخر:

"فقد وضع عبد الملك بن مروان طعاما فأكثر وأطاب ودعي إليه الناس فأكلوا وكان يوجد أعرابي فصيح سأله عبد الملك: هل لك علم بالشعر؟ قال: سلني عما بدا لك يا أمير المؤمنين. قال: أي بيت قالته العرب أمدح! قال: قول جرير:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

قال: وكان جرير في القوم، فرفع رأسه وتطاول لها. ثم قال: فأي بيت قالته العرب أفخر! قال: قول جرير:

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا

قال: فتحرك لها جرير. ثم قال له: فأي بيت أهجى؟ قال: قول جرير:

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

قال: فاستشرف لها جرير. قال: فأي بيت أغزل؟ قال: قول جرير:

إن العيون التي في طرفها حور قتلننا ثم لم يحيينا قتلانا

قال: فاهتز جرير وطرب، ثم قال له: فأي بيت قالته العرب أحسن تشبيها؟ قال: قول جرير:

سرى نحوهم ليل كأنّ نجومه قناديل فيهن الذبال المفتل

فقال جرير: جائزتي للأعرابي يا أمير المؤمنين، فقال له عبدالملك: وله مثلها من بيت المال، ولك جائزتك يا جرير ولا تنقص منها شيئًا"[٣].

إلا أن هذه المجالس لم تجد مكانا لها في عهد عمر بن عبد العزيز وذلك لزهده وورعه وعدم تفرغه لهذه المجالس، حتى أنه لم يكن يستقبل الشعراء في قصره فقد روي:

---

[١] جرير بن عطية بن الخَطَفَى، والخَطَفَى لقب، واسمه حذيفة بن بدر بن سلمة ابن عوف بن كليب، يكنى أبا حزرة، وهو والفرزدق والأخطل من شعراء العصر الأموي المقدمون (الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين: كتاب الأغاني ، مطبعة كوستا توماس وشركاه ، القاهرة، مصور من طبعة دار الكتب،٣/٨-٤).

[٢] اتفقت العرب على أن أشعر أهل الإسلام ثلاثة: جرير والفرزدق والأخطل، واختلفوا في تقديم بعضهم على بعض (الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين: كتاب الأغاني ،مرجع سابق ، ٥/٨)

[٣] الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين: كتاب الأغاني ، مطبعة كوستا توماس وشركاه ، القاهرة، مصور من طبعة دار الكتب،٤١/٨-٤٢.

"أنه لما استخلف جاءه الشعراء فجعلوا لا يصلون إليه، فجاء عون بن عبد الله بن عتبه بن مسعود وعليه عمامة قد أرخى طرفيها فدخل، فصاح به جرير:

يا أيها القارئ المرخي عمامته   هذا زمانك إني قد مضى زمني
أبلغ خليفتنا إن كنت لاقيه   أني لدى الباب كالمصفود في قرن

قال: فدخل على عمر فاستأذن له، فأدخله عليه. وقد كان هيأ له شعرا، فلما دخل عليه غيره، وجاء فيها:

كم بالمواسم من شعثَاءَ أرملة   ومن يتيمٍ ضعيف الصوت والبصرِ
يدعوك دعوةَ ملهوف كأن به   خبلاً من الجن أو مسا من النشرِ
ممن يعدك تكفي فَقد والده   كالفَرخ في العش لم ينهض ولم يطرِ

قال: فبكى عمر، ثم قال: يا ابن الخطفى، أمن أبناء المهاجرين أنت فنعرف لك حقهم، أم من أبناء الأنصار فيجب لك ما يجب لهم، أم من فقراء المسلمين فنأمر صاحب صدقات قومك فيصلك بمثل ما يصلك به قومك؟ فقال: يا أمير المؤمنين ما أنا بواحد من هؤلاء، وإني لمن أكثر قومي مالاً ،وأحسنهم حالاً، ولكني أسألك ما عودتنيه الخلفاء: أربعة آلاف درهم وما تبعها من كسوة وحملان، فقال له عمر: كل امرء يلقى فعله، وأما أنا فما أرى لك في مال الله حقا، وإن عندي أربعين دينارا وخلقين إذا غسلت إحداهما لبست الأخرى، وأنا مقاسمك ذلك، على أن الله عز وجل يعلم أن عمر أحوج إلى ذلك منك، فقال له: قد وفرك الله يا أمير المؤمنين وأنا والله راضٍ. قال: أما وقد حلفت فإنما وفرته علي وما تضيق به معيشتنا آثر في نفسي من المدح، فامض مصاحبا، فخرج، فقال له أصحابه وفيهم الفرزدق: ما صنع بك أمير المؤمنين يا أبا حزرة؟ قال: خرجت من عند رجل يقرب الفقراء ويباعد الشعراء وأنا مع ذلك عنه راضٍ"[١].

وقد كانت تعقد أيضا بعض المناظرات الأدبية بحضرة الخليفة "رغم أن هذا النوع من الإلقاء والمناقشات هو ترف فكري إلا أنه صورة من النشاط الأدبي الذي يكسب السامع علما ومعرفة، بالإضافة إلى الترويح عن النفس ولكن لابد من مراعاة أدب الإسلام في كل أمر من غير تهاون أو خروج عن اللائق"[٢].

---

[١] الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين ،مرجع سابق ، ٤٧/٨-٤٨.

[٢] أبو لاوي ، أمين :أصول التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص:١٣٣.

وكان لكل خليفة جماعة يختص م يجالسو م في أي وقت يدعوهم إليه ولو في أواسط الليل.

ج. مجالس يستمع فيها الخلفاء إلى أخبار العرب وغيرهم من الملوك:

"كان للخلفاء ميل شديد إلى سماع الأخبار، فيعقدون ا الس يحضرها الأدباء من أهـل الأخبار والنوادر، يحادثون الخليفة بما يلذ له سماعه من أخبار العرب، وكان الدهاة مـن الخلفاء والأمراء مثل معاوية وهشام يقيمون أناسا يتلون عليهم أعمال القوم والملوك من الروم والفرس وأخبار الدول وحوادث الشجاعة والرأي"[١].

فقد كان معاوية يقيم مجالس سمر في قصره "يدعو إليها أعلام الفكر والأدب في جميـع أرجاء العالم الإسلامي ويستمع خلالها إلى أخبار العرب وأيامهـا والعجـم وملوكهـا وسياستها لرعيتها وسير ملوك الأمم وحرو ا ومكايدها وسياستها لرعيتها وغير ذلـك من أخبار الأمم السالفة ثم ينام ثلث الليل، ثم يقوم فيقعد فيحضر الدفاتر فيها سير الملوك وأخبارها والحروب والمكايد، فيقرأ ذلك عليه غلمان له مرتبون، وقد وكلـوا بحفظهـا وقراء ا، فتمر بسمعه كل ليلة جمل من الأخبار والسير والآثار وأنواع السياسات"[٢].

وكان الهدف من إقامة هذه ا الس هي الاستفادة من تجارب الغير ومعرفة سياسـا م "فكانوا يلتمسون بذلك التوسع في أسباب الدهاء وأفانين السياسة كما يفعل رجال اليوم بالإطلاع على تراجم العظماء "[٣] وأخذ العظة والعبرة من تلك القصص.

"فعن خالد بن صفوان[٤] قال: وفدت على هشام بن عبد الملك فقال: هـات يـا ابـن صفوان، قلت: إن ملكًا من الملوك خرج متنـزها إلى الخورنق، وكان ذا علم مع الكثرة والغلبة، فنظر وقال لجلسائه: لمن هذا؟ قالوا: للملك، قال: فهل رأيتم أحدا أُعطي مثل ما أُعطيت؟ وكان عنده رجل من بقايا حملة الحجة فقال: إنك قد سألت عن أمر، أفتأذن

---

[١] علي، سعيد إسماعيل:معاهد التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص:٢٠٥.

[٢] المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر ،مرجع سابق، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ٤٠/٣-٤١ .

[٣] علي، سعيد إسماعيل:معاهد التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص:٢٠٥.

[٤] خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو ابن الأهتم التميمي المنقري، من فصحاء العرب المشهورين، كان يجالس عمر بن عبـد العزيـز وهشام بن عبد الملك وله معهما أخبار، عاش إلى خلافة السفاح الغباسي، وحظي عنده توفي سنة ١٣٣هجرية(الزركلي، خـير الـدين: الأعلام ،مرجع سابق، ٢٩٧/٢).

لي بالجواب؟ قال: نعم، قال: أرأيتم ما أنت فيه، أشيء لم تزل فيه أم شيء صار إليك ميراثًا وهو زائل عنك إلى غيرك كما صار إليك؟ قال: كذا هو، قال: فتعجب بشيء يسير لا يكون فيه إلا قليل، وتنقَلُ عنه طويلاً ويكون عليه حسابا؟ قال: ويحك فأين المهرب؟ وأين المطلب؟ وأخذته قشعريرة، قال: إما أن تقيم في ملكك فتعمل بطاعة الله بما ساءك وسرك، وإما أن تنخلع من ملكك، وتضع تاجك، وتلقي عنك أطمارك، وتعبد ربك قال: إني مفكر الليلةَ وأوافيك السحر، فلما كان السحر قرع عليه بابه فقال: إني أختار هذا الجبل وفلوات الأراض، ولقد لبست علي أمساحي، فإن كنت لي رفيقا فلا تخالف، فلزما الجبل حتى ماتا.

فلما سمع هشام بكى ولزم قصره"[١]، فقد تأثر بما سمعه من قصة هذا الملك، فقد استطاع خالد بن صفوان أن يوصل التوجيه والإرشاد للخليفة بأسلوب يتلاءم ومكانة الخليفة.

٢. آداب مجالس قصور الخلفاء والأمراء:

لا بد للحاضر لهذه المجالس أن يتحلى بالأدب والاحترام والتقدير فقد قيل "اصحب الملوك بالهيبة لهم والوقار لأنهم إنما احتجبوا عن الناس لقيام الهيبة وإن طال أنسك بهم تزده غما"[٢].

ويجب على الحاضر لهذه المجالس أن يتقيد بوقت معين يحدده الخليفة، فلم يكن الحاضرون فيها أحرارا في اختيار موعد حضورهم أو انصرافهم، وقد كان لكل خليفة إشارة معينة تدل على انقضاء وانتهاء مجلسه "فقد قال أصحاب معاوية لمعاوية: إنا ربما جلسنا عندك فوق مقدار شهوتك فأنت تكره أن تستخفي فتأمرنا بالقيام، ونحن نكره أن نثقل عليك في الجلوس، فلو جعلت لنا علامة نعرف بها ذلك؟ فقال: علامة ذلك أن أقول: شئتم وقيل مثل ذلك ليزيد بن معاوية فقال: إذا قلت على بركة الله، وقيل لمثل ذلك لعبد الملك بن مروان فقال: إذا وضعت الخيزرانه"[٣].

---

[١] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: تاريخ الخلفاء تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط٢، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٧٨-١٩٥٩، ص:١٥٣.

[٢] الأشبيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح: المستطرف في كل فن مستظرف ، دار إحياء التراث العربي، ٨٩/١.

[٣] ابن عبد ربه، أبي عمرو أحمد بن محمد: العقد الفريد ، شرحه أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، مرجع سابق، ٤٦١/٢.

ومن الآداب أن لا يدخل على الخليفة إلا إذا أذن له. وقد روي أن الأحنف بن قيس ومحمد بن الأشعث وقفا بباب معاوية، فأذن للأحنف ثم أذن لابن الأشعث، فأسرع في مشيته حتى تقدم الأحنف ودخل قبله. فلما رآه معاوية غمه ذلك وأحنقه، فالتفت إليه فقال: والله إني ما أذنت له قبلك وأنا أريد أن تدخل قبله، وإنا كما نلي أموركم كذلك نلي آدابكم، ولا يزيد مزيد في خطوة إلا لنقص يجده في نفسه"[١].

[١] ابن عبد ربه، أبي عمرو أحمد بن محمد، مرجع سابق، ٦٨/١.

رابعًا منازل العلماء

"اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم بن أبي الأرقم مكانا يعلم فيـه المسـلمين تعاليم ومبادئ الدين الجديد، ويقرئهم ما نزل من آيات الذكر الكريم، كما كـان المـ ل ملتقى الذين يتخيرون الإسلام دينا فيأتون إليه ناشـدين الإسـلام. ثم أقيمـت المسـاجد وأصبحت مكان اللقاء والاجتماع على أن بيوتا كثيرةً في التاريخ الإسـلامي لعبـت دور المدارس"[1].

كانت طريقة العلماء في التعليم، هي الجلوس في المساجد في الغالب، أو في منازلهم أحيانا إذ لم تكن هناك مبان مخصصة للمدارس وكان طلاب العلم يأتو م فيسـألو م، كـل فيمـا يحتاجونه ويهتم به، رغم أن المسلمين لم يعدوا المنازل مكانا صالحًا للتعليم العام لافتقارهـا للسكون والراحة غير أن وطأة الحاجة دعت إلى قيام حلقات تعليمية بالمنازل الخاصة.

ومن هذه المنازل في الشام مـ ل العالمة الجليلة أم الدرداء فعن عون بن عبد الله قـال:"كنـا نجلس عند أم الدرداء فنذكر الله عندها، فقلنا: لعلنا قد أمللناك؟ قالت: تزعمون أنكم قـد مللتموني؟ فقد طلبت العبادة في كل شيء فما وجدت شيئًا أشفى لصدري ولا أحـرى أن أصيب به الذي أريد من مجالس الذكر"[2].

وكذلك مـ ل العالم والفقيه الإمام الأوزاعي فعن الوليد بن مسلم قال:"شيعنا الأوزاعي وقت انصرافنا من عنده، فأبعد في تشييعنا حتى مشى معنا فرسخين أو ثلاثة فقلنا له: أي الشـيخ يصعب عليك المشي على كبر السن قال: امشوا واسكتوا لو علمت أن لله طبقـة أو قـوم يباهي الله م أو أفضل منكم لمشيت معهم وشيعتهم، ولكنكم أفضل الناس"[3].

---

[1] أحمد، سعد مرسي، سعيد اسماعيل علي: تاريخ التربية والتعليم، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٤م، ص:١١٤-١١٥.

[2] ابن عساكر :تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ، ١١٨/٣٧.

[3] المرجع السابق ، ١٣٢/٣٧.

◄ ملخص الفصل الثالث:

من خلال ما تقدم نستنتج أن المؤسسات التعليمية في الشام في العصر الأموي امتازت بالتطور والنمو بناءً على حاجة المجتمع فقد كان أبناء المسلمين يتعلمون في الكتاتيب التي كانت موجودة في الشام والتي كان يديرها أهلها من النصارى ثم بنوا لهم كتاتيب خاصة بهم، وكان بعض الصبيان يتعلمون القرآن في المساجد وعندما كثر عددهم وظهرت الفوضى ولم يلتزم أكثرهم بالطهارة رأى بعض العلماء كراهية تعليم الصبيان في المساجد وحثوا المعلمين باتخاذ كتاتيب خارج المسجد لتعليم الصبيان القرآن.

وقد فتح العلماء لرواد العلم منازلهم، فعلى الرغم من التعليم في المساجد إلا أن بعض العلماء كانوا يقيمون حلقات للتدريس فيها عند الضرورة.

ويعد المسجد من أهم هذه المؤسسات التعليمية في ذلك العصر على الإطلاق وذلك لأن أبوابه مفتوحة للجميع في أي وقت كان، وكان يضم المسجد الواحد عدة حلقات في علوم متفرقة وللطالب الحرية في الالتحاق في أي حلقة من حلقات المسجد شاء.

هذا ولقد كان لقصور الخلفاء والأمراء دور بارز في نشر العلم بين الناس والتشجيع على طلبه فقد كان خلفاء بني أمية يرسلون بطلب العلماء والفقهاء والأدباء إلى قصورهم ليتزودوا منهم بالعلوم والفنون ويستشيروهم في كل أمر يصعب عليهم، وكانوا يكرمون العلماء ويجزلون لهم العطاء، ويقدمون لهم الهدايا تشجيعا لهم، هذا بالإضافة إلى تعيين مؤدبين يعلمون أبناءهم حتى يستطيعوا أن يتحملوا عبء الخلافة ومسؤولياتها على أكبر وجه.

إذاً فقد امتازت مؤسسات التعليم في الشام في العصر الأموي بالمرونة فقد كانت كلها منصبة على خدمة الإسلام ونشر تعاليمه بين الناس في أي مكان فيجب علينا في عصرنا الحاضر أن نطوع جميع المؤسسات التربوية في خدمة الإسلام ونشر العلم بين الناس وأن نطورها مع ما يتلاءم مع عصرنا وحاجاته ومن ذلك وسائل الإعلام فلماذا لا نجعل منها مؤسسة تعليمية كما يفعل الغرب ونطورها ونقننها بما يتماشى مع قيمنا ومبادئنا؟ فوسائل الإعلام أصبحت موجودة في كل بيت يشاهدها الصغير والكبير وتتصف بالجذب والتشويق وتبث في كل وقت وحين.

الفصـــل الرابع

أهداف وطرق التدريس في الشام في العصر الأموي

أهداف و طرق التدريس في الشام في العصر الأموي

أولا: أهداف التعليم في الشام في العصر الأموي:

لقد اختلفت أغراض وأهداف الناس من التعليم، فلكل أمة من الأمم غرض تمليه عليها أحوالها المختلفة جغرافية كانت أو اجتماعية أو سياسية أو دينية كما كان لكل عصر من العصور غرضه وأهدافه التعليمية والتربوية فقد يكون الغرض من التعليم إعداد الفرد لكسب الرزق، أو ثقافته و تهذيبه أو غير ذلك من الأغراض، غير أن الأغراض على تعددها متداخلة ومتشابكة بعضها ببعض ولكن واحدا منها أو أكثر يتغلب في العادة على سائرها ويصبح هو الهدف الظاهر المتميز فيها بحيث تتضاءل إلى جواره بقية الأغراض[1]، والتعليم في الشام في العصر الأموي كان له أهداف وغايات يعمل على تحقيقها.

فالهدف العام من التعليم في العصر الأموي، كان تخريج الإنسان المسلم العارف بدينه والمتصف بالأخلاق التي دعا إليها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة "سواء من ناحية المبادئ أو القواعد السلوكية والتي تمكنه في النهاية من العيش عيشة حرة كريمة"[2]، ويقتضي ذلك أن يتعلم الإنسان ما يعينه على عبادة الله سبحانه وتعالى فالمعلم في الإسلام مطلوب للعبادة الحقة قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (سورة الذاريات، آية٥٦) ولا تكون عبادة الله بالوجه المطلوب إلا بالعلم والمعرفة، لذلك حث الإسلام على طلب العلم والتزود منه للوصول للطريق الصحيح لعبادة الله سبحانه وتعالى، يقول العمايرة: "إن هدف التعليم في الإسلام هو إعداد الإنسان العابد"[3]، إذا أقبل الناس على العلم وانقطع له بعضهم وأمضوا حياتهم في طلبه والتنقل لأجله، فشجعهم الخلفاء والأمراء وهيئوا لهم الأجواء المناسبة للدراسة، فأقبل علماء المسلمين على دراسة علوم الدين ونشرها بين الناس يدفعهم إلى ذلك الواجب الديني، فلقد اعتبر العلماء في ذلك العصر أن نشر العلم وتفقيه الناس أمانة يجب أن يبلغها للناس، فعن الإمام الزهري قال: "إن هذا العلم أدب الله الذي

---

[1] عبد العال ، حسن :التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، مرجع سابق، ص:٨٨.

[2] صالحية، محمد : مؤدبو الخلفاء في العصر الأموي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت، عدد:٣، المجلد:١، ١٩٨١، ص:٣٧.

[3] العمايرة، محمد حسن:الفكر التربوي الإسلامي، ط١، دار المسيرة ، عمان، ١٤٢١هـ، ص:٣١.

أدب به نبيه عليه الصلاة والسلام وأدب النبي صلى الله عليه وسلم أمته، أمانة الله إلى رسوله ليؤديه على ما أُدي إليه، فمن سمع علما فليجعله أمامه حجة فيما بينه وبين الله"[١].

ولقد حملت الكثير من النصوص الوعيد الشديد لمن كتم علما نافعا عن الناس فقد قال عليه الصلاة والسلام "من سئل عن علمه فكتمه أُلجم بلجام بنار من يوم القيامة" ، وهذا الأمر هو الذي دعا الإمام الزهري للعودة للحديث بعد أن تركه، فعن الحسن بن عمارة قال: "أتيت الزهري بعد أن ترك الحديث، فألفيته على باب داره فقلت: إن رأيت أن تحدثني، فقال: أما علمت أني قد تركت الحديث؟ فقلت: إما أن تحدثني، وإما أن أحدثك، فقـال: حـدثني، فقلت: حدثني الحكم بن عتبة عن يحى بن الجزار قال: سمعت عليا يقول: ما أخذ الله علـى أهل الجهل أن يتعلّموا، حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا، قال: فحدثني بأربعين حديثًا"[٢]، فقد كان علماء أهل الشام يشعرون بمسؤوليتهم اتجاه العلم الذي يحملونه وكانوا يعملـون على نقله إلى الآخرين طلبا في ثواب الآخرة، كما كان الخلفاء يوصون ولا ـم بضـرورة الإهتمام بنشر الدين وتعاليمه، فقد أرسل الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى أحـد ولاته بقوله: "مروا أهل العلم أن ينشروا العلم في مساجدهم ومجالسهم"[٣]، والمقصود بالعلم هنا هو العلم الشرعي: إذاً فقد كان الهدف الرئيسي هو نشر الدين وتعاليمه.

وخلاصة القول أن الهدف الديني كان بارزا وواضحا في تعليم هذا العصر وكان القصد منه تعليم الناس أحكام الشريعة والتفقه في الدين وتعلم العلم الذي يقود صاحبه إلى العمل النافع في دروب الحياة قال تعـالى ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (سورة التوبة، آية رقم:١٠٥) فالإسلام حث على العلم والسعي في طلبه وفضل أهله علـى غيرهم ورفعم درجات "ويتصل بذلك أيضا دور الإنسان في تعمير الأرض وتسخير ما أودعه الله فيها من ثروات لخدمة حياة الإنسان وتحقيق الخير للناس وما يتطلبه ذلك من إسـتخدام للعلوم المختلفة، وهكذا تصبح العلوم المختلفة من طبيعية ورياضية وإنسانية ونظرية كانت أو تجريبية أو تطبيقية كلها علوم إنسانية، طالما أ ا متفقة ومتمشية مـع الإطـار الإسـلامي

---

[١] ابن عساكر :تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ، ٣٥٩/٥٥.

[٢] المرجع السابق ، ٣٦٧/٥٥.

[٣] السمعاني ، ابي سعيد عبد الكريم بن محمد : أدب الإملاء والإستملاء ،مرجع سابق، ص:٤٤.

الصحيح وطالما أ ا لا تستخدم إستخداما سيئا يخرج ا من غرضها فتنحرف إلى الفساد والشر والعدوان"[١].

والجدير بالذكر أن التربية الإسلامية لم مل إعداد الفرد لكسب رزقه بدراسة بعض المهن والفنون والصناعات الدنيوية فقد كان هناك هدف آخر في الشام في العصر الأموي وهو هدف نفعي يقصد به كسب الرزق للعيش وهذا أمر أيضا دعا إليه الشرع إذا كان تحت ضوابط شرعية لا تخالف الدين قال تعالى ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾ (سورة القصص، آية رقم:٧٧) ، تقول ملكة أبيض "لم يهمل أهل الشام الأهداف الدينية، ولكن الأهداف الدنيوية والنفعية منها سرعان ما أخذت مكا ا إلى جانبها. فقد رأى البعض في التربية وسيلة لكسب ود السلطان وعطائه، أو الحصول على المناصب والوظائف التي خص ا أهل العلم والأدب"[٢]، يتضح لنا ذلك من رسالة عبد الحميد الكاتب التي يقول فيها لزملائه في المهنة "فتنافسوا يا معشر الكتاب في صنوف الآداب وتفقهوا في الدين، وابدءوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض، ثم العربية فإ ا ثقاف ألسنتكم، ثم أجيدوا الخط فإنه حلية كتبكم ورووا الأشعار واعرفوا غريبها ومعانيها، وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها فإن ذلك معين لكم على ما تسموا إليه هممكم ولا تضيعوا النظر في الحساب فإنه قوام كتاب الخراج"[٣]، فقد وضح عبد الحميد لزملائه الهدف من تعلّم هذه العلوم ووضح لهم أهميتها لمن أراد أن يتقن فن الكتابة في ديوان الرسائل الذي اُستحدث على يديه في زمن الدولة الأموية، وهي من المناصب المهمة في الدولة، أما من كان هدفه أن يعمل في ديوان الخراج فعليه التزود من علم الحساب الذي يحتاج إليه في هذا ا ال.

وخلاصة القول أنه إذا كان الهدف الديني بارز وواضح في تعليم هذا العصر وكان القصد منه تعليم الناس الدين علما وعملاً، فلقد كان هذا الهدف في ذاته يتضمن أهدافًا أخرى

---

[١] مرسي، محمد منير: تاريخ التربية في الشرق والغرب، مطابع الفاروق للطباعة والنشر، القاهرة،١٤٢٤هـ،١٨٩.

[٢] أبيض ، ملكة : التربية والثقافة العربية – الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى،مرجع سابق ، ص:٢٥٥.

[٣] صفوت، أحمد زكي:جمهرة رسائل العرب في العصور العربية الزاهرة ،ط١، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٥٦هـ ، ٥٣٥/٢.

ثانوية كانت نتيجة له، فالتعليم الديني يثقف العقول ويعلى مكانـة صـاحبه الاجتماعيـة ويساعد الفرد كذلك على كسب الرزق وهي في نفس الوقت تهذب الأخلاق، فلقد كـان الهدف الديني هو الغاية الأولى من التعليم والأهداف النفعية الدنيوية الأخرى كانت تأتي بعد الغاية الدينية في الترتيب و الأهمية ومجمل ما يهدف إليه التعليم في الشام في العصر الأمـوي هو معرفة الله عز وجل وعبادته وتطبيق أحكامه، وتوجيه الإنسان المسلم إلى الحياة الخـيرة الفاضلة وتنمية عقله، وتأهيله لكسب رزقه أي كل ما فيه نفع للإنسان في دنياه وأخرته.

ثانياً: طرق التعليم في الشام في العصر الأموي:

تعددت العلوم التي كان يتم تعلميها في مختلف المؤسسات التعليمية في الشام في العصر الأموي وتنوعت، وبناءً على ذلك تعددت طرق وأساليب المستخدمة لإيصال المعلومات إلى الطلاب، فكانت هناك طرق تعتمد على الإلقاء مثل أسلوب التلقين الذي يعتمد على الحفظ، وظهرت هناك بعض الطرق التي كانت تعتمد على المشاركة من قبل الطالب مثل طريقة الأسئلة والأجوبة والتي توجِد نوع من التفاعل بين المعلم والطالب.

هذا بالإضافة إلى طريقة الترغيب والترهيب اللتين كانتا لهما دور بارز في حث الطالب إلى فعل كل ما هو حسن وترك كل ما هو قبيح.

ومن الطرق التي استخدمت في الشام في ذلك العصر طريقة القصة وما لها من أثر بارز في تقريب المعلومات إلى الأذهان بطريقة مشوقة وغير مباشرة.

هذا ولقد تميزت بعض العلوم بطريقة معينة، مثل علم الحديث الذي كان تعمله يتم عن طريق القراءة والعرض على المحدث، أو على طريقة الإملاء التي يقوم فيها المعلم بإملاء الحديث النبوي على المتعلمين.

كل هذه الطرق وغيرها كانت تستخدم في إيصال العلوم إلى المتعلم وكان المعلم ينتقل من طريقة إلى أخرى على حسب ما تمليه عليه المادة العلمية وما يتناسب مع مستوى التلاميذ فالمعلم كان يستخدم كل الطرق والأساليب التي تمكنه من تحقيق الأهداف المرجوة.

وسوف تقوم الباحثة بإلقاء الضوء بشيء من التفصيل على كل طريقة من الطرق فيما يلي:

أولاً : طريقة التلقين:

يعتبر التلقين من أقدم الطرق وأشهرها "فقد ساد أسلوب التلقين والحفـظ في الممارسـات التعليمية القديمة وما زال يمارس حتى الآن "[١].

١. تعريف طريقة التلقين

أ. التعريف اللغوي للتلقين :

"لَقِن كفرح فهو لَقِن و ألْقَن حفظ بالعجلة و التلقين كالتفهيم "[٢].

ب. ويعرف التربويون طريقة التلقين :

" التلقين هي الطريقة التي يكون فيها للمعلم الدور الأكبر في العملية التعليمية فهو الذي يقوم بإعداد الدرس وتحضيره ، ثم يقوم بعرضه وشرحه وتوضيحه "[٣].

إذاً فالتلقين هو عبارة عن إلقاء المعلم للمعلومات ومن ثم شرحها وتبسيطها وإعاد ا حـتى يستطيع الطالب استيعا ا وفهمها ومن ثم حفظها مع المتابعة المستمرة بين المعلم والطالـب فالمهمة الكبرى تقع على عاتق المعلم.

وقد أطلق عليها المربون مسميات متعددة " فسماها البعض طريقة الشرح وسماها الـبعض طريقة التقرير وسماها البعض الآخر طريقة الـتلقين والـبعض سماهـا طريقـة التحفـيظ والتسميع"[٤].

ولا يعني من ذلك القول أ م اهتموا بالحفظ وأهملوا الفهم

> " فالحق إن طريقة التعليم في التربية الإسلامية عنيت بفهم المادة عنايتها بالحفظ ، ولم مل الفهم والتأمل والتفكير فيها مطلقاً ، فالطلبة كانوا يكثرون مناقشة أساتذ م ، وكانت الأسئلة تنهال عليهم من كل صوب بعد الانتـهاء من الدرس،وكان العلماء لا يتركون نقطة إلا بعد فهمها جيداً. وكان للطالب الحرية المطلقة في إبداء رأيه ، وقد يختلف مع أستاذه في الرأي أو الفكرة"[٥].

---

[١] مرسي ، محمد منير : أصول التربية ، عالم الكتب ، القاهرة ،١٤١٧هـ ، ص:١٥٦.

[٢] الفيروزابادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب : القاموس المحيط ، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ، القاهرة، ٢٦٨/٢ .

[٣] جان ، محمد صالح بن علي : المرشد النفيس إلى أسلمه طرق التدريس ، مرجع سابق ص:٤٤٤.

[٤] المرجع السابق ، ص:٤٤٤

[٥] الأبراشي ، محمد عطية :التربية الاسلامية وفلاسفتها ، ط٢، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ١٣٨٩ ،ص:٢١٠.

٢. الأسباب التي دعت إلى شيوع هذه الطريقة في الشام :

لقد ساد التلقين منطقة الشام في العصر الأموي ويرجع ذلك لعدة أسباب منها:

أ- أن هذه الطريقة كانت شائعة منذ ظهور الإسلام ، فقد انتهجها رسول الله صـلى الله عليه وسلم في تعليم أصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وتفقيههم في الدين وسار علـى طريقته الخلفاء الراشدون وصحابته الكرام ونشروها في الأمصار التي كانوا يتوجهـون إليها بعلمهم ومنها الشام خصوصاً وأن الدولة الأموية في عهدها الأول شملت كـثيرا من الصحابة الذين أثروا في تعليمهم وتركوا بصمات واضحة ومنهم أبو الدرداء ومعاذ بن جبل حتى دخلت إليها طرق تعليمية أخرى أدت إلى تقليص هذه الطريقة .

ب- كانت الدولة الأموية دولة عربية وبما أن الشام كانت مركز خلافتها فقد كان أغلـب سكا ا من العرب ومن المعروف عن العرب عدم معرفتهم بالكتابة " فلقلة مـن كـان يعرف الكتابةَ في العصرِ الإسلاميِ الأولِ كان المسلمونَ يعتمدونَ على ذاكر م أكثر من اعتمادهم على الكتابة. ولهذا عنِى الأدباءُ والشعراءُ من المسلمين بحفظ ما يسمعون مـن الأدبِ والشعرِ"[١].

ج- إن بعض المواقف التعليمية تحتم على المعلم اتخاذ هذه الطريقة وخصوصاً معلّم الكتاب " فلم يكن معلّم الكتاب مخصوصا بتعليم المهن أو دروس الطبيعة ، وإنما كانـت وظيفـة المعلم القيام بتعليم القرآن والنحو والعربية والشعر وأيام العرب ، وهذه كلها علوم لفظيه ، يقرأ التلاميذ ألفاظها ويسمعو ا من المعلم وعليهم استيعا ا وحفظها ، فالمنهج بطبيعته يتجه إلى التعليم اللفظي ، ويعتمد على الذاكرة ، على الأخص إذا عرفنا أن القرآن وهو أهم العلوم يجب حفظه بألفاظه دون تحريف أو تبديل " [٢]. فللقرآن قدسـيته ومكانتـه وكذلك أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان بعض العلماء يرون أن يجب أن تحفظ وتروى كما هي على حروفها ومنهم إسماعيل بن أبي المهاجر[٣] ورجـاء بـن

---

[١] الأبراشي ، محمد عطية :التربية الاسلامية وفلاسفتها ، مرجع سابق ،ص١٩٧.

[٢] الأهواني ، أحمد فؤاد :التربية في الإسلام أو التعليم في رأي القابسي ، مرجع سابق ، ص١٨١-١٨٢.

[٣] اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر ، من أهل دمشق ، كان يؤدب ولد عبد الملك بن مروان ، كان معلما ، قال عنه الدار قطني إسماعيل هذا ثقة ، مات في خلافة مروان بن محمد عام ١٣١ هـ (ابن عساكر :تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ، ٤٢٩/٨).

حيوه فقد قال الأصمعي "سمعت ابن عون يقول: أدركت ثلاثة يتشددون في الحروف وثلاثة يرخصون في المعاني وذكر من أصحاب الحروف رجاء بن حيوه"[١] وقد وصف ابن جبير طريقه أهل الشرق في ذلك بقوله:"وتعليم الصبيان للقرآن بهذه البلاد المشرقية كلها إنما هو تلقين ، ويعلمون الخط في الأشعار وغيرها تنزيهاً لكتاب الله عز وجل عن ابتذال الصبيان له بالإثبات والمحو . وقد يكون في أكثر البلاد الملقن على حده والمكتب على حده ، فينفصل مع التلقين إلى التكتيب ، لهم في ذلك سيرة حسنةً"[٢].

فحتى لا تكون الآيات القرآنية معرضة للمحو من الألواح كانوا يفضلون اختيار بعض الحكم وأبيات الشعر في تعليم الخط والقراءة والكتابة فقد كانت أم الدرداء تعلم الكتابة عن طريق الحكم[٣].

فسمي من يعلم الكتابة مكتب ومن يعلم القراءة وحفظ القرآن الملقن وقد كان هذا الأسلوب متبعاً في الشام في ذلك العصر.

فقد روي أن عطاف كان معلم كتاب في الشام يعلم القرآن عن طريق التلقين[٤].

فيدلنا هذا المثال على أن التعليم في الشام كان يتم عن طريق التلقين لأنه الأسلوب الأمثل لبعض مناهجها آنذاك.

٣. الطرق والوسائل المساعدة على إنجاح عملية التلقين :

لقد استخدم المعلمون في العصر الأموي وسائل عديدة لإنجاح هذه العملية التربوية:

أ- الإعادة والتكرار :

التلقين بالدرجة الأولى على الحفظ والفهم كان من الضروري على المعلم إعادة ما يلقيه على طلابه حتى يستوعبوه جيداً ويفهموا معناه ومن ثم يستطيعون حفظه.

فلذلك كان علماء الحديث يوصون بتكرار الحديث، حتى أن الخطيب جعل من الآداب التي يجب أن يتحلى بها المُحدثُ هي إعادة الحديث حال الرواية ليحفظ [١] "فقد استحدثت في

---

[١] ابن عساكر ، علي ابن الحسن :تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق،١٠٨/١٨.
[٢] ابن جبير ، أبي الحسن محمد بن أحمد :رحلة ابن جبير، مرجع سابق ، ص:١٩١.
[٣] ابن عساكر،علي ابن الحسن:تاريخ مدينة دمشق ، تراجم النساء، مرجع سابق، ص:٤٢٨.
[٤] انظر المؤسسات التعليمية في الشام في العصر الأموي ص:٥٠.

العصر الأموي في الشام طريقة تسمى (الدراسة) في قراءة القرآن وكانت تعني التكرار وراء قارئ ما ، وقد يكون المكرر واحد أو جماعة"[٢] .

قال ابن عساكر " أول من أحدث الدراسة بدمشق زمن عبد الملك بن مروان هشام بن إسماعيل بن هشام بن المغيرة المخزومي فقد كان هشام يقرأ فجعل عبد الملك يقرأ بقراءة هشام ، فقرأ بقراءته مولى له ، فاستحسن ذلك من يليه من أهل المسجد فقرأ بقراءته"[٣].

ولقد أعاد كثير من المحدثين رواية أحاديثهم رغم كره بعضهم لذلك "فعن مالك قال : لقيت ابن شهاب[٤] يوما في موضع الجنائز ـ وهو على بغلة له ـ فسألته حديثًا فيه طول ، فحدثني به. قال : أخذت بلجام بغلته ، فلم أحفظه . فقلت : يا أبا بكر ، أعده علي ، فأبى . فقلت : أما تحب أن يعاد عليك الحديث ؟ فأعاده علي فحفظته "[٥].

ب- التقليل من المادة العلمية المراد إعطاؤها للطالب :

كان المحدثون يقلّون من رواية الحديث ، خصوصاً في العهود الأولى حين كانت الرواية الشفوية غالبة فعندما استقل عمرو بن أبي سلمه سماعه ثلاثين حديثاً فقط من الأوزاعي خلال أربعة أيام ، رد عليه قائلاً : " وتستقل ثلاثين حديثاً في أربعة أيام ؟ لقد سار جابر بن عبد الله إلى مصر ، واشترى راحلة ركبها حتى سأل عقبة بن عامر عن حديث واحد وانصرف ، وأنت تستقل ثلاثين حديثا في أربعة أيام"[٦].

وقد كان الطلبة يأتون أبا قلابة الجرمي ، فإذا حدثهم بثلاثة أحاديث قال : قد أكثرت فيتوقف "ويرجع السبب في انتهاج العلماء لهذا المنهج في التلقين إلى عدة أسباب :

منها أن كثرة المادة العلمية تجعل من الصعب على الطالب حفظها واستيعا ا وقال الزهري في ذلك " من طلب العلم جملة ، فاته جملة ، وإنما يدرك العلم حديث وحديثان"[٧]، وحتى

---

[١] البغدادي ، احمد بن علي : الجامع للأخلاق الراوي وآداب السامع، مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٤٠٣هـ ، ٢٣٤/١.

[٢] الزرو ، خليل داوود :الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني للهجرة ، دار الآفاق الجديدة ،بيروت ،١٩٧١، ص٢٠-٢١.

[٣] المرجع السابق، ص٢٠-٢١.

[٤] محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري ، قدم الشام في عهد عبد الملك بن مروان ، كان كثير الحديث والعلم والرواية ، فقهيا جامعا ، توفي سنة ١٢٤هـ (ابن عساكر :تاريخ مدينة دمشق، مرجع سابق ، ٢٩٤/٥٥).

[٥] البغدادي ، احمد بن علي : الجامع للأخلاق الراوي وآداب السامع، مرجع سابق، ٢٣٥/١.

[٦] البغدادي ، احمد بن علي :الرحلة في طلب الحديث ،ط١، حققه نور الدين عتر ، مكتبة الحرم المكي ،١٣٩٥ ، ص:١٢٥.

[٧] البغدادي ، احمد بن علي : الجامع للأخلاق الراوي وآداب السامع، مرجع سابق، ٢٣٢/١.

يستطيع الطالب أن يلم بما يشمله الحديث من الأحكام الفقهية والفضائل ولا ينال ذلك إلا بالتدرج شيئاً فشيئاً فإن كثرة العلم وازدحامه يؤدي إلى صعوبة الفهم وذلك ما أشار إليه ابن عيينة في وصيته لمؤدب ولده بقوله "ولا تخرجهم من علم إلى غيره حتى يحكمـوه فـإن ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم"[١].

ج- عدم الإملال والإطالة والإثقال على الطلبة:

" فإن الشيخ لا يتابع حديثه إلا بعد أن يتأكد من بقاء الطلبة على نشاطهم للاستماع، أما عندما يحس منهم فتوراً ، فإنه يفهم أن لديهم أشغالاً ، أو أ م بدأوا يفقدون القدرة على الاستيعاب والتركيز ، فيختصر الكلام لينهي ا لس "[٢] فإن إطالة ا لس تشـعر الطالـب بالضجر و الملل وتفقده النشاط والتركيز فيفقد المقصد من العملية التربوية فقد روي عـن الزهري قوله " إذا طال ا لس كان للشيطان فيه نصيب "[٣].

كان العلماء يعمدون في ذلك الزمان إلى طرق أخرى لزيادة نشاط طلا م وإعادة الحيوية إلى أذها م وذلك بإدخال بعض من المرح برواية القصص والأشعار فقد كان الزهري يحدث ثم يقول " هاتوا من أشعاركم هاتوا من أحاديثكم ، فإن للأذن مجاجة، وإن للنفس حمضة"[٤]، حمضة"[٤]، وروي عن أبي إدريس الخولاني انه كان يقرئ القرآن في مسـجد دمشـق وإذا فرغوا من قراء م قام أبو إدريس يقص فيقدم القصص ويؤخر القراءة [5].

وكان العلماء يشاركون طلبتهم أحاديثهم العامة، " فقد كان لنوفل بن فـرات[٦] مجلـس في مسجد حلب يجلس إليه أهل الأدب ، وكان يغشى مجلسه رجل من أهل السوق ، فكان إذا طلع قال لجلسائه : أعطوا أخاكم حظه من ا لس ، فإذا جاء أقبل علية فقال: كيـف أسعاركم ؟ ثم يسأله عن أصناف التجارة ثم يقول لأصحابه : خذوا في حديثكم "[٧].

---

[١] الجاحظ ، أي عثمان عمرو :البيان والتبيين ، قدم له وبوبه وشرحه علي بو ملحم ، دار ومكتبة الهلال ،٢٠٠٢م، ٤٨/٢ .

[٢] أقلانية ، المكي :النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الثلاثة الأولى ، ط١، طوب بريس ، المغرب ،٢٠٠٢، ص:٣١ .

[٣] ابن عساكر ، علي ابن الحسن :تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق،٣٦٥/٥٥.

[٤] المرجع السابق،٣٨١/٥٥.

[5] المرجع السابق،١٦٣/٢٦.

[٦] نوفل بن فرات بن مسلم العقيلي ، قدم على عمر بن عبد العزيز مع أبيه وروى عنه ، سكن حلب ، وهو عامل عمر بن عبد العزيز كان كان رجلاً من كتاب الشام (ابن عساكر :تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ، ٢٩٠/٦٢).

[٧] ابن عساكر ، علي ابن الحسن :تاريخ مدينة دمشق ،مرجع سابق،٢٩٢/٦٢.

فيدل ذلك على روعة مشاركة العلماء طلا م في حيا م الاجتماعية واهتماما م الحياتية.

د- **أن يكون المعلم حسن الصوت جهورياً :**

أي أن يرفع المعلم صوته بالقراءة ويجهر حتى يستطيع الطالب سماع ما يريد المعلم إيصـاله سماعاً صحيحاً حتى يتقن حفظه خصوصاً إذا كان مجلس العلم يحتوي على عدد كبير مـن الطلبة وقد اتبع معلمو الكتاب هذه الطريقة في إلقاء دروسهم على الصبية " فالجهر يـوقظ قلب القارئ ، ويجمع همه إلى الفكر ، ويصرف سمعه إليه ، ويطرد النوم ويزيد في النشاط"[١]. واشتهر بلال سعد[٢] بقوة صوته في القراءة فقد كان " يقرأ القرآن بصوت عالٍ فتسمع صوته القرى ا اورة "[٣] وكان بعض العلماء يجلس في مكان مرتفع أو على منبر حتى يبدو للنـاس ويبلغهم صوته فقد كان أبو إدريس الخولاني[٤] " يجلس بالعشيات على درج مسجد دمشـق الذي يطلع الناس منه إلى مسجد المسلمين ومصلاهم ، مقبلاً بوجهه على القبلة ، والنـاس تحته جلوس يسألونه ، فيقص عليهم ويحدثهم بالأحاديث" [٥].

٤. **بعض الوسائل التي تساعد الطالب على الحفظ :**

١. المذاكرة :

وذلك بمراجعة المحفوظ وترديده حتى لا ينساه الطالب ويستطيع تذكره متى شاء فهي مـن الوسائل المهمة التي تساعد على ثبات المعلومة في الطالب وقد احتلت مكانةً مهمةً في ا ال التعليمي عند المحدثين وقد تبعه السلف والخلف ، طلبة وعلماء[٦].

---

[١] الأهواني ، أحمد فؤاد :التربية في الإسلام أو التعليم في رأي القابسي ، مرجع سابق، ص:١٨٤ .

[٢] بلال بن سعد بن تميم السكوني شيخ أهل دمشق ، كان لأبيه سعد صحبة ، كان بليغ الموعظة ، حسن القصص ، نفاعا للعامة ، وكان قارئ أهل الشام جهير الصوت ، توفي سنة نيف وعشرة ومئة (الذهبي :سير أعلام النبلاء ، ٩٠/٥،).

[٣] الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد :سير أعلام النبلاء ، ط٤ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،١٤٠٦هـ،٩٢/٥.

[٤] عايذ الله بن عبد الله بن إدريس بن عائذ بن عبد الله بن عتبه – أبو إدريس الخولاني – قاضي دمشق في أيام عبد الملك بن مروان ، ولد عام حنين في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، روى عن كثير من الصحابة مثل أبي الدرداء – أبي ذر – أبي موسى الأشعري ، قال عنه أبو مسهر كان أبو إدريس عالم الشام بعد أبي الدرداء ، مات سنة٨٠ هـ (ابن عساكر : تاريخ مدينـة دمشـق ، مرجـع سـابق ، ١٣٧/٢٦).

[٥] المرجع السابق،١٦٣/٢٦.

[٦] أقلانية ، المكي :النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الثلاثة الأولى ،مرجع سابق،ص:٤٢.

قال الزهري "إنما يذْهب العلم النسيانَ وترك المذاكرة "[1] وترجع أهمية المـذاكرة في ذلـك الوقت إلى " قلة الكتابة آنذاك بالمقارنة مع الرواية الشفوية ، ومع وجود بعض الصـحابة ومن تبعهم الذين يكرهون كتابة الحديث "[2].

وللمذاكرة عدة صور:ـ

أ ـ تكرار المحفوظ على القلب :

أي أن يذاكر الطالب مع نفسه.

فعن الليث بن سعد قال:" وضع طست بين يدي ابن شهاب ، فتذكر حديثاً ، فلم تزل يده في الطست حتى طلع الفجر ، حتى صححه "[3] فمن خلال هذه الروايـة نسـتنتج أن ابـن شهاب كان يراجع حديثاً قد أعياه في بعض المواضع وأخذ يذاكره حتى حفظه.

ب ـ المذاكرة مع الأصدقاء:

وتكون أكثر نجاحا وأعظم نفعاً وذلك لأن الفائدة تعم الطالب ومن معه فيستفيد ويفيد وقد استعان الزهري بصديقه في مذاكرته لأحد الأحاديث فروي عنه قوله " ما استعدت حـديثًا قط ، ولا شككت في حديث إلا حديثًا واحدا ، فسألت صاحبي فإذا هو كما حفظت "[4].

وعن الشعبي قال " ماجالست أحداً إلا وجدت لي الفضل عليه إلا عبد الملك بن مروان فاني ماذاكرته حديثاً إلا زادني فيه ، ولا شعراً إلا زادني فيه "[5] فيدلنا ذلك على سعة علم الخليفة الخليفة عبد الملك بن مروان وحرصه على حفظ ما تعلمه بالمذاكرة مع العلماء . حتى أنـه كان يحن إلى تلك الأوقات التي يراجع فيها مع إخوانه فقد قيل له " ما بقي من ملاذك يـا أمير المؤمنين ؟ قال : مراجعة الإخوان الحديث على التلاع العفر "[6].

---

[1] ابن عساكر ، علي ابن الحسن :تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق،٣٦٣/٥٥.

[2] أقلانية ، المكي :النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الثلاثة الأولى ،مرجع سابق،ص:٤٥.

[3] البغدادي ، احمد بن علي : الجامع للأخلاق الراوي وآداب السامع، مرجع سابق ٢٦٦/٢.

[4] المرجع السابق،٢٥٣/٢.

[5] ابن عساكر ، علي ابن الحسن :تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق،١٢٤/٣٧.

[6] المرجع السابق،١٤٦/٣٧.

ج ـ المذاكرة مع عامة الناس :

فمن شدة حرص طلبة العلم على ما تعلموه وحفظوه كانوا يبحثـون عمـن يسـتطيعون المذاكرة معه حتى لو كان من عامة الناس الذين لا علاقة لهم بذلك العلم فقد كان الزهري يجمع الأعاريب ، فيحثهم ، يريد الحفظ [1] ، وروي عنه أنه كان يأتي جارية له وهي نائمة فيوقظها فيقول لها :" اسمعي ، حدثني فلان بكذا ، وحدثني فلان بكذا ، فتقول : مالي ولهذا الحديث ، فيقول قد علمت أنك لاتنتفعي به ، ولكني سمعته الآن فأردت أن أسـتذكره "[2] فقد كان الهم الوحيد الذي يشغله هو مراجعة العلم حتى لا ينساه .

٢. **أن لا يأخذ الطالب نفسه بما لا يطيقه** ، بل يقتصر على اليسير الذي يضبطه . يقـول الزهري "إن هذا العلم إن أخذته بالمكابرة له غلبك ، ولكن خذه مع الأيـام والليـالي أخذاً رفيقاً تظفر به"[3].

٣. المحافظة على قوة الذاكرة وذلك بعدة أمور منها :ـ

أ ـ ترك المحرمات و مواقعه المحظورات حتى تعم البركة أعماله ويكسب رضـا الـرحمن فيؤدي ذلك إلى صفاء ذهنه وعدم شغلها .

ب ـ إصلاح غذائه ، ويقللّ من طعامه ، فقد كان طلاب العلم في العصور الأولى يعملون على تقوية حفظهم بأكل بعض المأكولات التي تساعد على تقوية الذاكرة ويتجنبـون مـا يضعفها فقد روي عن ابن شهاب أنه كان يشرب العسل ويقول : إنه يذكر"[4]، وهذا يدل على حرص طالب العلم على علمه حتى في مطعمه ومشربه .

وأهم تلك الأمور جميعاً هو إخلاص طالب العلم النية وأن يكون قصده من العلم وحفظـه وجه الله تعالى.

وأن يعمل بما علم وهذه من أهم العوامل التي تساعد على ترسيخ وتثبيت الحفظ عند طالب العلم .

---

[1] البغدادي ، احمد بن علي : الجامع للأخلاق الراوي وآداب السامع، مرجع سابق،٢٦٩/٢.

[2] ابن عساكر ، علي ابن الحسن :تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق،٣٣٣/٥٥.

[3] البغدادي ، احمد بن علي : الجامع للأخلاق الراوي وآداب السامع، مرجع سابق، ٢٣٢/١.

[4] ابن عساكر ، علي ابن الحسن :تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق،٣٢٥/٥٥.

ثانياً : طريقة الإملاء :

يعتبر الإملاء من طرق تحمل الحديث الشريف فهو عند المحدثين من أصح طرق تحمله.

١. **تعريف الإملاء:**

أ. في اللغة :

"ملى: أمليت الكتاب ، وأمليت القَيد للبعير إملاءً إذا وسعته"[١].

وإملاء الخط العربي:

"هو علم يبحث فيه عن التراكيب بين أشكال بسائط الحروف مطلقًا لا من حيث دلالتها على الألفاظ بل من حيث حسنها في السطور، فكما أن للحـروف حسنا حال بساطتها فكذلك لها حسن مخصوص حال تركيبها من تناسب الشكل والنقط، والبياضات الواقعة بين الحروف، والكلمات، والسطور"[٢].

ب. تعريف طريقة الإملاء عند المحدثين:

"أن يملي الشيخ أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إما من محفوظاته، أو من مذكرات كتبها ليقرأ منها ، ويملي فقرة فقرة ، أو حديثًا حديثًا مع اتصال السند ، ويكتب الطلبة ما يمليه ، وبعد الانتهاء يعقـب بالشـرح والتفسـير ، والتوضيح لما غمض في الحديث ، والطلاب يدونون هذه الشروح على هـامش أوراقهم التي كتبوا فيها الأصول"[٣].

٢. **طرق الإملاء :**

كان للإملاء طريقتان :

أ- أن يعقد العالم مجلسا خاصا للإملاء : " وذلك لأن الطلاب لا يستطيعون اسـتيعاب المعلومات بمجرد سماعها ، لذلك يلجأون لتخصيص ساعات إضافية يملون فيها مـا سبق لهم أن سمعوه وبذلك يتأكدون من سلامة الأخذ أو النقل "[٤].

---

[١] ابن فارس، أحمد: مجمل اللغة، مادة: (ملى)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ، ط١، تحقيق: عبد المحسن سلطان .

[٢] زاده، طاش كبرى: مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥هـ،١/٩١.

[٣] علي ، سعيد إسماعيل :معاهد التربية الإسلامية ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٧٨م، ص:٢٢٤.

[٤] أبيض ، ملكة : التربية والثقافة العربية – الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى،مرجع سابق ، ص:٢٨٥.

وكان علماء الشام في العصر الأموي يعقدون مثل هذه المجالس فعن معروف بن الخياط قال : " رأيت واثلة بن الأسقع[1] يملي على الناس الأحاديث ، فهم يكتبونها بين يديه "[2].

ب- أن يملي الشيخ مباشرة مع الإلقاء الشفوي فلم يكن العالم يخصص وقتا معينا للإملاء ولكن يلقي عليهم الأحاديث وهم يكتبونها في حينها ثم يعرضونها فيما بعد فيصححها لهم " فقد كان تلاميذ الأوزاعي[3] يسجلون ما يسمعون منه من حديث وفقه ، وكانوا يعرضون عليه ما كتبوه "[4].

٣. صور التلقي بالإملاء :

اتبع المحدثون للإملاء صورتين :

أ- أن يملي درسه على الطلبة من ذاكرته وحفظه ليس في يديه مذكرات أو كتب يملي منها ، فقد كان سليمان بن موسى يملي من حفظه وكذلك مكحول وكان سليمان أحفظ من مكحول فعن الزهري قال: "إن مكحولاً يأتينا وسليمان بن موسى، وأيم الله إن سليمان لأحفظ الرجلين"[5].

ب- أن يملي الشيخ من كتاب بين يديه " فقد كان إسماعيل بن عياش يملي من كتاب كان يجلس ومعه ثلاثة أو أربعة فيقرأ كتاباً وهم معه يكتبون"[6]، ويبدوا أن إسماعيل بن عياش كان يملي من حفظه في أول أمره ويدل على ذلك قول داوود بن عمر

---

[1] واثلة بن الأسقع ابن كعب بن عامر الليثي ، صحابي جليل من أهل الصفة ، أسلم سنة ٩ ، وشهد غزوة تبوك ، له مسجد مشهور بدمشق ، مات سنة ٨٥هـ وهو آخر من مات من الصحابة بدمشق (الذهبي: سير أعلام النبلاء ، مرجع سابق ،٣٨٣/٣).

[2] البغدادي ، احمد بن علي : الجامع للأخلاق الراوي وآداب السامع، مرجع سابق، ٥٥/٢.

[3] عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد شيخ الإسلام ، وعالم أهل الشام ، أبو عمرو الأوزاعي ، كان مولده في حاة الصحابة ، ولد سنة٨٨، أريد على القضاء في أيام يزيد الناقص فامتنع ، قال عنه الوليد بن مسلم : ما رأيت أكثر اجتهادا في العبادة من الأوزاعي ، (الذهبي: سير أعلام النبلاء ، مرجع سابق ، ١٠٧/٧).

[4] ابن عساكر :تاريخ مدينة دمشق ،مرجع سابق ،٢٧١/٦٣.

[5] ،المرجع السابق ،٣٨٤/٢٢.

[6] البغدادي ، احمد بن علي : الجامع للأخلاق الراوي وآداب السامع، مرجع سابق، ٣١٧/٨.



الضبي :" أكان يحدثكم إسماعيل بن عياش من حفظه ؟ قال : نعم ما رأيـت معـه كتاباً قط ، لقد كان حافظاً "[1].

٤. أهمية الإملاء :

أ. لا يتطرق من خلالها نوع من الخطأ حتى اعتبرها المحدثون من أصح طـرق تحمـل الحديث " فهو يعتبر من أعلى درجات الرواية ، لما فيه من ضبط الحروف والكلمات في الكتب "[2].

فقد كان يقع الخطأ في بعض رواية الأحاديث عند العلماء الذين يعتمـدون علـى الحفظ فقط فقد كان إسماعيل بن عياش " يعتمد على حفظه ولا يكتب حتى وقـع خلل في حديثه"[3].

فيقول السمعاني : " إذا أملى عليك المحدث وكتبت أنت من لفظه فلا يتطرق إليـه نوع من الفساد لأنه يعرف ما يملي وأنت تسمع وتفهم ما تكتب "[4].

ب. استبعاد الموضوع من الأحاديث . فبسبب الأحداث التي مرت ا الدولـة الأمويـة وظهور الفرق والأحزاب الدينية والسياسية، وعمد بعـض المغرضـين إلى وضـع الأحاديث ونسبتها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم لخدمة مصالحهم وأهوائهم فقد ساعدت طريقة الإملاء على التثبت من صحة الحديث وصحة إسناده مما يقلل الوضع في الحديث.

فعن الزهري قال " لولا أحاديث سالت علينا من المشرق ننكرها لا نعرفها ما كتبت حديثاً ولا أذنت في كتابه "[5].

ج. أنه عن طريق الإملاء يسهل حفظ المادة العلمية والرجوع إليها وقت الحاجـة "لأن الكتابة أثناء السماع تزود الطالب بمادة وافرة يستطيع أن يرجع إليها حين الحاجة ،

---

[1] الذهبي ، أبو عبد الله شمس الدين :تذكرة الحفاظ ، دار الكتب العالمية ، بيروت، ٢٥٤/١.

[2] أقلانية ، المكي :النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الثلاثة الأولى ،مرجع سابق ،ص:٣٥.

[3] الذهبي ، أبو عبد الله شمس الدين :تذكرة الحفاظ، مرجع سابق ،٢٥٤/١.

[4] السمعاني ، ابي سعيد عبد الكريم بن محمد : أدب الإملاء والإستملاء ،مرجع سابق، ص:١٠.

[5] ابن عساكر :تاريخ مدينة دمشق ،مرجع سابق ، ٣١٩/٥٥.

ويستخدمها في مجالات شتى لأغراض متعددة"[١]، فعن رجاء بن حيوة قال " كتب هشام بن عبد الملك يسألني عن حديث ، وكنت قد نسيته لولا أنه كان عندي مكتوباً ".

وعن أبي الزناد عن أبيه قال :" كان ابن شهاب يكتب كلما سمع فلما احتيج إليه علمت أنه أعلم الناس "[٢].

فكأنه يشير إلى أنه اعتمد على حفظه فقط فلما احتاج إلى علمه وجد أنه قد نسي بعضه بينما تفوق عليه ابن شهاب بكتابة العلم فاستطاع الرجوع إليه وقت الحاجة.

د. زيادة المادة العلمية التي يراد تعليمها للطلاب.

فقد ساعدت هذه الطريقة زيادة عدد الأحاديث التي يدرسها المعلمون في المجلس الواحد . فالأوزاعي بصورة عامة ، يحدث في مجلسه بثلاثين حديثاً[٣]، فقد كان المحدثون ولا سيما في القرن الأول يقلُون من رواية الأحاديث عندما كانت الرواية الشفوية غالبة دون الإملاء و بفضل الإملاء وكتابة الحديث استطاع المحدثون رواية عدد من الأحاديث في المجلس الواحد .

هـ. أنه وسيله لحفظ العلم من الضياع والفقدان . فقد خاف العلماء من الصحابة في القرن الأول من دروس العلم وضياعه بذهاب رجاله " فقد خشى علماء الأمه على هذه المعلومات والأحاديث من الضياع والتحريف "[٤] ،فبعث عمر بن عبد العزيز إلى بعض ولاته يأمره بكتابة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه فإني قد خفت دروس العلم وضياعه وذهاب أهله "[٥].

---

[١] أبيض ، ملكة : التربية والثقافة العربية – الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى،مرجع سابق ، ص:٢٨٣.

[٢] ابن عساكر :تاريخ مدينة دمشق ،مرجع سابق ، ٣١٨/٥٥.

[٣] المرجع السابق ، ٤٠٢/٥٥.

[٤] أبيض ، ملكة : التربية والثقافة العربية – الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى،مرجع سابق ، ص:٢٧٨.

[٥] السوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر:تدريب الراوي في شرح تقريب النووي ، ط١، تحقيق:عبدالوهاب عبداللطيف، المكتبة العلمية، المدينة المنورة ، ١٣٧٩هـ ، ص:٤٠.

إن هذه الطريقة لم تبد واضحة في الشام إلا في القرن الثـاني أي في ايـة العصـر الأموي ويرجع ذلك إلى أن العلماء والمحدثين كـانوا يتثـاقلون كتابـة الحـديث خصوصاً بعض التابعين وأتباعهم في الشام مثل الزهري والأوزاعي في بداية أمرهما ، وقد كان الزهري يكتب العلم لنفسه ولكنه لا يجيز أن يكتبه عنه أحـد، حـتى أكرهه الخلفاء فقد أكرهه هشام بن عبد الملك فأملى بنيه ، فلما خرج مـن عنـده دخل المسجد ، فأسند إلى عمود من عمده ، ثم نادى : يا طلبة الحديث ، قـال : فلما اجتمعوا إليه قال : إني كنت منعتكم أمراً بذلته لأمير المـؤمنين آنفـاً ، هلـم فاكتبوا ، قال : فكتب عنه الناس من يومئذ "[١].

فلم يكن الزهري من العلماء الذين يحبذون إملاء الحديث ويكره فعل ذلك في بداية أمره إلا أنه اضطر بعد ذلك إلى الإملاء وقد علل ذلك بقوله " كنا نكره الكتابة حتى أكرهنا عليه الأمراء ، فرأيت أن لا أمنعه مسلماً "[٢] بينما كانت علة الأوزاعـي في كراهة كتابة الحديث من أن ذلك يذهب نوره وذلك لقلة حفظه واعتماد طلبة العلم على الكتابة فقد قال: "كان هذا الأمر شيئاً شريفاً إذ كان الناس يتلقونه بينـهم ، فلما كُتب ذهب نوره وصار إلى غير أهله "[٣].

ومن الأسباب التي دعتهم إلى كراهة كتابة الحديث حتى لا يختلط بالقرآن أو يشتغل عـن القرآن بسواه خوفًا من الاتكال على الكتابة وترك الحفظ وهذا ما أشار إليه الأوزاعي .

ولكن سرعان ما تراجع العلماء اية القرن الأول وبداية القرن الثاني عن ذلك واحتاجوا إلى كتابة الحديث وإملاء طلا م " وذلك لأن الروايات انتشرت ، والأسانيد طالت ، وأسمـاء الرجال وكناهم وأنسا م كثرت ، والعبارات بالألفاظ اختلفت ، فعجزت القلـوب عـن الحفظ ، وصار علم الحديث في هذا الزمان أثبت من علم الحافظ "[٤].

---

[١] ابن عساكر :تاريخ مدينة دمشق ،مرجع سابق ، ٣٣٣/٥٥.

[٢] ابن عساكر ،مرجع سابق ، ٣٣٤/٥٥.

[٣] البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي :تقييد العلم ، ط٢، حققه يوسف العش ، دار إحياء السنة النبوية ،١٩٧٤م، ص:٦٤.

[٤] البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي ، المرجع السابق ، ص:٦٤-٦٥ .

ثالثًا : طريقة القراءة والعرض :

وتعتبر أيضاً من طرق تحمل الحديث وروايته وقد شاع استخدامها في الشام في القرن الثاني أي مع ابداية الدولة الأموية .

١. **تعريفها :**

أ. **القراءة** في **اصطلاح المحدثين :** "وهي أن يقرأ المعلم من كتاب ، ويقوم الطلاب بالكتابة على نسخهم، أو يقرأ طالب من المجموعة بوجود المعلم ، ويقوم الطلاب الآخرون بالكتابة ، ويكون دور المعلم تصحيح الأخطاء وإرشاد الطلاب إلى النطق السليم للكلمات"[١].

ب. **العرض** : " هي مراجعة ما كتبه الطالب مقابلاً بالنسخة التي كتب منها ، وذلك بأن يمسك هو نسخته ويمسك ثقة غيره الأصل، فيقرأ أحدهما، ويتبع الآخر ، وذلك للتأكد من مطابقة النسخة الجديدة التي تسمى (الفرع) بالنسخة القديمة التي تسمى الأصل وإصلاح ما يوجد من مفارقات من خطأ أو زيادة"[٢].

فمن خلال التعريفين السابقين يتضح لنا أنه لا يوجد فرق كبير بينهما فالهدف الأساس لكلا الطرفين هو ضبط الطالب للحديث ومطابقته للنص الأصلي وتصحيح ما به من خطأ بل إن هناك من العلماء من لا يرى وجود فرق بينهما يقول السيوطي " القراءة هي ثاني طرق تحّمل الحديث ، ويسميها أكثر المحدثين عرضاً وسواء قرأت ، أو قرأ غيرك ، وأنت تسمع من كتاب ، أو حفظ ، حفظ الشيخ ، أم لا ، إذا أمسك أصله هو، أوثقه وهي رواية صحيحة "[٣].

---

[١] العمايرة ، محمد حسن : الفكر التربوي الإسلامي ، ط١، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، الأردن ، ١٤٢١ ، ص:١٤٠.

[٢] البغدادي ، احمد بن علي : الجامع للأخلاق الراوي وآداب السامع، مرجع سابق ،٢٧٥/١.

[٣] السيوطي ، جلال الدين :تدريب الرواي في شرح تقريب النووي ، ط١، تحقيق : نظر محمد الفاريابي ، مكتبة الكوثر ، الرياض ،١٤١٤، ١٢/٢.

٢. أهميتها كطريقة من طرق تحمل الحديث في الشام في العصر الأموي :

هذه الطريقة تتيح للمعلم الاطلاع على مدى ضبط الطالب للحديث الذي يريد روايته عن شيخه. قال محمد بن شعيب بن شابور[١] : " لقيت الأوزاعي ومعي كتاب كتبته من أحاديثه، فقلت له : يا أبا عمرو ، هذا كتاب كتبته من أحاديثك . فأخذه الأوزاعي وانصـرف إلى م له وانصرفت. فلما كان بعد أيام، لقيته فقال: هذا كتابك قد عرضته وصححته. قلت: يا أبا عمرو، أفأروي عنك؟ قال: نعم، فقلت: أأذهب فأقول أخبرني الأوزاعي؟ قال: نعم"[٢].

وأكد المحدثون على ضرورة العرض واعتبروه شرطًا من شروط صـحة الروايـة. فيقـول البغدادي : " يجب على من كتب نسخة من أصل بعض الشـيوخ أن يعـارض نسـخته بالأصل، فإن ذلك شرط في صحة الرواية من الكتاب المسموع "[٣].

ويدل على ذلك ما رواه هشام بن عروه حيث قال : " قال لي أبي : أكتبت ؟ قلت: نعـم قال : عارضت؟ قلت : لا . قال : فلم تكتب؟!"[٤].

فنستنتج من ذلك أن من كتب ولم يعارض كأنه لم يكتب أصلاً ويقول الأوزاعـي "مثـلُ الذي يكتب ولا يعارض ، مثل الذي يدخل الخلاء ولا يستنجي "[٥].

رغم تفاوت آراء العلماء واختلافهم حول صحة هذه الطريقة إلا أن غالبيتهم لم يفرقوا بينها وبين السماع في الأهمية.

فهناك من جعل العرض والسماع في م لة واحدة فقد روى عن الزهري قوله "القراءة على العالم والسماع منه سواء إن شاء الله "[٦].

---

[١] هو محمد بن شعيب بن شابور القرشي أبو عبد الله الدمشقي وجده شابور كان مولى الوليد بن عبد الملك، كان أحد الأئمة الثقـات، وكان يعد في الطبقة الخامسة من أهل الشامات، وكان من أصحاب الأوزاعي، كان يسكن بيروت، توفي سنة١٩٦هجرية ببيروت(ابـن عساكر :تاريخ مدينة دمشق ،مرجع سابق ، ٢٤٥/٥٣).

[٢] ابن عساكر :تاريخ مدينة دمشق ،مرجع سابق ، ٢٥٣/٥٣ .

[٣] البغدادي ، احمد بن علي : الجامع للأخلاق الراوي وآداب السامع، مرجع سابق ،٢٧٥/١.

[٤] البغدادي ، احمد بن علي ، مرجع سابق ،٢٧٥/١.

[٥] أقلانية ، المكي :النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الثلاثة الأولى، مرجع سابق ،ص:٣٨.

[٦] ابن عساكر :تاريخ مدينة دمشق ،مرجع سابق ، ٣٦٤/٥٥.

وقد يستخدم الطالب هذه الطريقة بصورة مستقلة أو مساعدة لطريقة الإملاء " فقد كـان المملي عليه بعد الكتابة يعارض ما كتبه بالأصل حتى يتأكد من سلامة المنقول من الزيادة أو النقص أو التحريف وهذه أمانة علمية تعد مكرمة في حق السلف "[١].

وقد انتشرت هذه الطريقة في الشام وأصبحت ميزة لعلمائها فعن سعيد بن عبد العزيز قال " رأيت يزيد بن أبي يزيد يعرض على الزهري ، ورأيت عبد العزيز بن أبي السائب يعرض على مكحول وقال: أبو مسهر : أحسن أهل الشام حالاً من عرض "[٢].

فهذا الشاهد يدل على مكانة العرض في الشام وقد كان العلماء يجيزون رواية الحديث الـتي يقوم الطلاب بعرضها عليهم. فعن معمر قال : قال رجل للزهري : "أقرأ عليك الحديث ، فأقول حدثني الزهري ؟ قال : فمن حدثك غيري؟!"[٣].

٣. آداب مجلس القراءة والعرض :

هناك بعض الآداب التي يجب أن يراعيها من أراد أن يعارض كتابه "كأن يصـطحب معـه نسخته حتى يتمكن من معارضتها مع شيخه أو مع زملائه وأن يحضر معه قلما يضبط بـه كتابه ويصلح ما به من أخطاء إن وجدت ، وعلى المعلم أن يتخير للقراءة أفصح الحاضرين لساناً ، وأوضحهم بياناً"[٤].

---

[١] أقلانية ، المكي :النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الثلاثة الأولى، مرجع سابق ،ص:٣٨.

[٢] البغدادي ، احمد بن علي : الجامع للأخلاق الراوي وآداب السامع، مرجع سابق ،٢٨٣/١.

[٣] الرامهرمزي ، الحسن بن عبد الرحمن :المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ، ط١، تحقيق : محمد عجاج الخطيب ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩١، ١٢/٢.

[٤] البغدادي ، احمد بن علي : الجامع للأخلاق الراوي وآداب السامع، مرجع سابق ،٢٨٤/١ – ٢٨٥ .

رابعًا: طريقة القصة :

١. تعريف القصة:

القصة لغة :" (قص) أثره قصا وقَصيصا تتبعه و الخبر أعلمه {فارتدا على آثارهما قصصا} أي رجعا من الطريق الذي سلكاه يقصان الأثر (ونحن نقص عليك أحسن القَصص) نبين لك أحسن البيان والقاص من يأتي بالقصة "[١].

القصة عند التربويين : "هي طريقة تعليمية تقوم على العرض الحسي المعبر ، الـذي يتبعـه المعلم مع متعلميه لتعليمهم حقائق ومعلومات عن شخصية أو موقف أو ظاهرة أو حادثـة معينة بقالب لفظي أو تمثيلي أو قد تستخدم لتجسيد قيمٍ أو مبادئ أو اتجاهات أو أخـلاق مرغوبة "[٢].

٢. أهميتها :

أ- يستطيع المعلم من خلالها توصيل المعلومة إلى الطالب بطريقة مشوقة "فالقصة نـوع من الأدب له جمال وفيه متعة ، ويشغف به الصغار والكبـار إذا أجيـد إنشـاؤه وأجيدت واسطته وأجيد تلقيه "[٣] ، فهي تلهب لدى السـامع النشـاط والحيويـة وتناسب مختلف الأعمار.

ب- من خلال القصة يستطيع المعلم توجيه الطالب التوجيه السليم فتسـتخدم القصـة لغرس بعض القيم الدينية والخلقية والسياسية والاجتماعية والعلمية لدورها وقـدرا على الإقناع عن طريق المشاركة الوجدانية.

ج- تعد القصة من الأساليب التعليمية غير المباشرة التي تعتمد على الإيحاء "فكل قصـة تنتهي حتماً بعبرة ، هي بمثابة موعظة تستنتج استنتاجاً "[٤].

---

[١] الفيروزابادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب : القاموس المحيط ، مرجع سابق ،٣١٣/٢.

[٢] الفتلاوي : سهيلة محسن كاظم :المنهاج التعليمي والتدريس الفاعل ، دار الشروق للتشر والتوزيع ، عمان، ص:٣٨٧ .

[٣] علي ، سعيد اسماعيل وآخرون :التربية الإسلامية (المفهومات والتطبيقات) ،ط٢، مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٤٢٦ ،ص:١٧٣.

[٤] أبو لاوي ، أمين :أصول التربية الإسلامية ، ط١، دار ابن الجوزي ، الدمام ،١٤١٩، ص:١٣٥.

وقد استخدم القرآن الكريم كثيراً من القصص التي تحمل في طيا ا الكثير من العـبر والدروس قال تعالى:﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾سـورة يوسف آيه١١١.

٣. الأمور التي يجب أن يراعيها القاص عند سرد قصته :

أ- **التشويق :** وذلك لكي يلفت انتباه السامعين إليه ويبعث لديهم حـب الاطـلاع " فالفرد يميل لمعرفة ما يجهله ، ويسعى إلى الكشف عن حقائق الأشياء وأسرارها"[١].
فالتشويق " يساعد على تعلق السامع بالقصة ، ورغبته في الوصول إلى النهاية"[٢].

ب- **عدم الكذب** : يقول الغزالي " فمن الناس من يستجيز وضع الحكايات المرغّبـة في الطاعات، ويزعم أن قصده فيها دعوة الخلق للحق ، فهذه من نزعات الشـيطان ، فإن في الصدق مندوحة عن الكذب ، وفيما ذكر الله تعالى ورسوله صلى الله عليـه وسلم غنية عن الاختراع في الوعظ"[٣].

نستنتج من كلام الغزالي أنه لا يجوز الكذب حتى ولو كان ذلك في حث الناس على الأعمال الصالحة وبرر الغزالي ذلك بأنه يوجد في كلام الله عز وجل وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ما يغني الإنسان عن ذلك . "وقـد يكتشـف الشـخص أو الأشخاص المستهدفون بالقصة أن ما رواه القاص كذباً واختراعا فيفقدون الثقة فيه وبالتالي لا يتمكن من تحقيق الهدف الذي يرجو الوصول إليه"[٤].

٤. استخدام القصة كطريقة من طرق التعليم في الشام في العصر الأموي :

لقد احتلت القصة مكانة عظيمة في الشام في العصر الأموي وقد أبدى خلفاء بـني أميـة اهتماما كبيراً ا وذلك لعدة أغراض :

---

[١] الزنتاني ، عبد الحميد الصيد: أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية ، ص:٢٢٠ ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ،١٩٨٤ .
[٢] أبو لاوي ، أمين :أصول التربية الإسلامية ، مرجع سابق ،ص:١٥٨ .
[٣] الغزالي ، أبي حامد : إحياء علوم الدين ، دار الفكر ، ١٣٩٥هـ ،٥٩/١.
[٤] أبو لاوي ، أمين :أصول التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص:١٦٢.

أ- أغراض سياسية :

" فقد كان معاوية بن أبي سفيان يعطيها دوراً كبيراً في سياسته الرامية لكسب أهل الشام إلى جانبه عندما احتدم الصراع بينه وبين الخليفة علي بن أبي طالب ، وإلى توسيع فتوحاته"[١] ، " فعندما قتل علي وبايع أهل العراق ابنه الحسن ، سار معاوية إلى العراق في ستين ألفًا ، ومعه القصاص يقصون في كل يوم يحضون أهل الشام عند وقت كل صلاة"[٢].

ب- أغراض دينية :

وذلك بحض المؤمنين على القتال والجهاد وإذكاء روح الحماس لديهم فقد ارتبط القصص بالجهاد في أول عهده " فقد كانت القبائل العربية قبل الإسلام تصطحب في غزواا شعراء وخطباء يشجعون المحاربين . لذلك كان من الطبيعي أن يصطحب الجيش الإسلامي بالإضافة إلى ذلك ، قارئاً للقرآن يتلو آيات تحض على الجهاد ، وقاصاً يذكر ااهدين بواجبهم ، والثواب الذي ينتظرهم في الحياة الآخرة "[٣]. فقد سير معاوية جيشاً إلى القسطنطينية كان يضم عدداً من القصاص لحث المؤمنين على الجهاد ضد الروم[٤].

ج- لغرض التسلية وأخذ العظة والعبرة:

فقد كان لبعض الخلفاء قصاص يصطحبوم في جلسام وأسفارهم يقصون عليهم أخبار الملوك وأحوالهم وسياسام لأخذ العظة والعبرة " فقد كان معاوية ينتقل إلى الجابية في الربيع ، وكان يحرص على وجود قاص في صحبته "[٥] وكان أبو أدريس

---

[١] أبيض ، ملكة : التربية والثقافة العربية – الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى، مرجع سابق ،ص:٣١٠ .

[٢] ابن عساكر ، علي ابن الحسن :تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق، ١٥٠/٥٩.

[٣] أبيض ، ملكة : التربية والثقافة العربية – الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى، مرجع سابق ،ص:٣٠٨.

[٤] أبيض ، ملكة ، المرجع السابق ،ص:٣١٠ .

[٥] ابن عساكر ، علي ابن الحسن :تاريخ مدينة دمشق ، المرجع سابق.

الخولاني قاص عبد الملك بن مروان[١] ، وكان لعمر بن عبد العزيز قاص يدعى محمد بن قيس كما كان إبن عيينه يقص عند سليمان[٢].

ولقد تطور القصص في عصر بني أميه حتى أصبح القاص يعين من قبل الخليفة وكذلك يعزل بواسطته ، أي أن القصص أصبح وظيفة رسمية "فقد عزل عبد الملك بن مروان أبا إدريس عن القصص وأقره على القضاء ، فقال أبو إدريس : عزلتموني عن رغبتي ، وتركتموني في رهبتي "[٣].

وقد اهتم علماء الشام بالقصص حتى أنه كانت لا تخلو مجالسهم منها فعن يزيد بن عبيدة "أنه رأى أبا إدريس الخولاني في زمان عبد الملك بن مروان وأن حلق المسجد بدمشق يقرؤون القرآن يدرسون جميعاً ، وأبو إدريس جالس إلى بعض العمد فكلما مرت حلقة بآية سجدة بعثوا إليه يقرأ ا وأنصتوا له ، وسجد م وسجدوا جميعاً لسجوده... حتى إذا فرغوا من قراء م قام أبو إدريس يقص قال يزيد بن عبيدة : ثم قدم القصص بعد ذلك وأخروا القراءة "[٤].

فتبين لنا من هذه الرواية : اهتمام العلماء بالقصص كطريقة من طرق التربية والتعليم فأبو إدريس انتقل من القراءة إلى القصص وذلك لكي يشعل لدى الطلبة روح النشاط لديهم من جديد ولا يخلُ ذلك بالطبع من الموعظة فقد كانت مصاحبته للقصص في ذلك العصر حتى أنه ارتبط القصص بالوعظ فلقد كان أكثر القاصين وعاظاً ولكن مع وجود هؤلاء العلماء الذين قصوا لأغراض دينية وخلقية وجد من وضعوا قصصهم في خدمة أغراض السلطان فعن الجنيد[5] قال : دخلت من حوران آخذ عطائي ، فصليت الجمعة ، ثم خرجت إلى باب الدرج فإذا عليه شيخ يقال له أبو شيبة القاص يقص على الناس . فَرغب فَرغبنا وخوف فبكينا، فلما انقضي حديثه قال : " اختموا مجلسنا بلعن أبي تراب ، فلعنوا أبا تراب .

[١] ابن عساكر ، علي ابن الحسن :تاريخ مدينة دمشق ، المرجع السابق ، ١٥٦/٢٦.

[٢] الزرو ، خليل داوود :الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني للهجرة ، مرجع سابق ،ص٢٥.

[٣] ابن عساكر ، علي ابن الحسن :تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ، ١٦٥/٢٦.

[٤] ابن عساكر ، علي ابن الحسن ،المرجع السابق، ١٦٣/٢٦.

[5] جنادة بن عمرو بن الجنيد بن عبد الرحمن ابن الحارث بن مره ، مولى بني أمية ، أرسله هشام إلى السند بعد تلك القصة وقال مثل هذا لا لا يجاورني هاهنا فيفسد علينا البلد فباعته إلى السند ، ومات بالسند (ابن عساكر :تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ، ١٩٣/١١).

فألتفت عن يميني فقلت له : فمن أبو تراب ؟ : قال علي بن أبي طالب . فقلت ما أصـاب هذا القاص ؟ فقمت إليه وكان ذا وفرة ، فأخذت وفرته بيدي وجعلت ألطم وجهه و أنطح برأسه الحائط وصاح واجتمع أعوان المسجد وساقوني حتى أدخلوني على هشام بـن عبـد الملك... ثم ذكر له القصة "[١].

فلأهمية القصة وتأثر السامعين ا جعل منها البعض سبيلاً إلى بث سمومهم وأفكارهم فيهـا وهذا ما أشارت إليه هذه القصة فقد استغل هذا القاص عاطفة الناس وغرر م عن طريـق هذا الأسلوب المشوق والجذاب . ولكن لوجود العلماء الفضلاء والتابعين وتابعيهم في ذلك العصر لم يستطع هؤلاء المغرضون الانتشار بصورة كبيرة فقد كانوا لهم بالمرصاد.

[١] ابن عساكر ، علي ابن الحسن :تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق١١/٢٩٢-٢٩٣.

خامساً: الترغيب والترهيب :

١. تعريف الترغيب والترهيب:

أ- تعريف الترغيب و الترهيب في اللغة :

الترغيب: "(رغب) يرغَب رغْبة إذا حرص على الشيء ، و طَمع فيه ، والرغبـة: السـؤالُ والطمع. و أرغَبني في الشيءِ و رغبنِي ، بمعنى . و رغبه: أعطاه ما رغب. والرغيبـةُ مـن العطاءِ: الكثير ، والجمع الرغائب"[١].

الترهيب: "(رهب) خاف و أرهبه و استرهبه أخافه وترهبه توعده"[٢].

ب- ويعرف التربويون الترغيب والترهيب :

الترغيب: " تأميل المرء أو إغراؤه بمنفعة عاجلة أو آجلة لقاء طاعة معينة "[٣].

الترهيب : "وعد و ـديد بعقوبة تترتب على اقتراف إثم أو ذنب مما ى الله عنـه أو علـى التهاون في أداء فريضة مما أمر اللهُ به"[٤].

٢. أهميتها :

يتضح لنا أهمية هذه الطريقة في التربية والتعليم :

أ- أ ا تدعم العملية التربوية وتساعد على إنجاحها وإتمامها على أكمل وجـه "فالإنسـان يتحكم في سلوكه ويعدل فيه بمقدار معرفته بالنتائج الضارة أو النافعة التي تترتب علـى عمله وسلوكه"[5] فهي طريقة ملازمة لطرق وأساليب التعليم الأخرى وقد يلجـأ إليهـا المعلم أحياناً عندما لا تنفع مع الطالب القدوة الحسنة أو الموعظة "فلا بد إذا من عـلاج حاسم يضع الأمور في موضعها الصحيح"[٦].

---

[١] ابن منظور ، محمد بن مكرم : لسان العرب ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٣هـ ، ١٨٣/٤.

[٢] الفيروزابادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب : القاموس المحيط ، مرجع سابق ، ٧٦/١.

[٣] أبو لاوي ، أمين :أصول التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص:١٨٩.

[٤] النحلاوي ، عبد الرحمن :أصول التربية الإسلامية وأساليبها ، مرجع سابق ، ص:٢٨٧.

[5] مرسي ، محمد منير : أصول التربية ، مرجع سابق ، ص:١٥٠.

[٦] قطب ، محمد :منهج التربية الإسلامية ، ط٧ ، دار الشروق ، بيروت ،١٤٠٣هـ ،١٨٩/١.

ب- "أ ا من الأساليب التي لا يستغني عنها المربي في أي مكان وزمان ، لأنه يستند إلى مـا فطر الله عليه الإنسان من الرغبة في اللذة ، والرهبة مع الألم والشقاء"[١] ،فالإنسان بطبيعته التي أودعها الله فيه يفر من كل ما يسبب له الألم أو يشعره بالحزن والضيق ويسـتجيب ويذعن لكل ما يجلب له السرور والسعادة .

ج- تختلف استجابة الأفراد وردود أفعالها تبعا لاختلاف شخصيا م فمنهم من يسـتجيب بالموعظة الحسنة ومنهم من يتأثر بالقدوة الصالحة ومنهم من لا تجدي معهم هذه الطرق جميعها " فلا بد إذا من علاج حاسم يضع الأمور في موضعها الصحيح"[٢].

د- أن هذه الطريقة تعمل على ترسيخ السلوك المرغوب فيه وتقويته و إزالة السلوك الغـير المرغوب فيه والإقلاع عن "فعندما يستخدم الثواب على سلوك مرغوب فيـه سـلكه الناشئ فإنه يرسخه ويثبته في نفسه ، وكأنه يقول له : إنك في الاتجاه الصحيح فاستمر، كما أن الناشئ يشعر بالارتياح والسعادة عندما يسمع أو ينال ما يسره حينما يسـلك سلوكًا حميداً"[٣] ، والعكس بالنسبة للعقاب فعندما يستخدمه المربي كجزاءٍ رادعٍ لفعـل وقع فيه الناشئ فإن ذلك مدعاةٌ له لعدم تكراره.

٣. استخدام أسلوب (الترغيب والترهيب) في الشام في العصر الأموي :

لقد ظهر أسلوب الترغيب والترهيب في الشام مصاحباً للموعظة فقد كان الوعاظ في الشام يدعمون مواعظهم بالترغيب بالجنة وكل ما يقرب إليها من قول وعمل والترهيب من النار وعذا ا وكل ما يقرب إليها من قول وعمل، مستشهدين في ذلك بكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة معتمدين على ما تحمله من قدرة عظيمة "في إثارة الانفعـالات وتربية العواطف الربانية "[٤].

فقد عمد الصحابي الجليل معاذ بن جبل إلى استخدام أسلوب الترغيب في حث رجاء بـن حيوه على تعلم القرآن فقد روى عنه أنه قابل حيوة وابنه رجاء فقال:"من هذا يا حيوة فقال:

---

[١] الخطيب ، محمد شحات وأخرون :أصول التربية الإسلامية ، ط٢، دار الخريجي ، الرياض ،١٤٢١هـ، ص:٨٤
[٢] قطب ، محمد :منهج التربية الإسلامية ، مرجع سابق ،١٨٩/١.
[٣] الخطيب ، محمد شحات وأخرون :أصول التربية الإسلامية ، مرجع سابق ،ص:١٩٥.
[٤] النحلاوي ، عبد الرحمن :أصول التربية الإسلامية وأساليبها ، مرجع سابق ، ص:٣٣٨.

هذا ابني رجاء ، فقال معاذ : فهل علمته القرآن؟ قال: لا، قال: فعلّمه القران، فأني سمعت رســول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما من رجل علّم ولده القرآن إلا توج أبواه يوم القيامة بتاج الملــك ، أو كُسِي حلتين لم ير الناس مثلهما) ثم ضرب يده على كتفي وقال : يا بني إن اســتطعت أن تكســي أبويك حلتين يوم القيامة فافعل"[١]، فقد عمد رضي الله عنه وأرضاه إلى تشجيع رجاء بن حيوه على حفظ القرآن وتعلّمه عن طريق بيان م لة ومكانة حافظ القران يوم القيامة .

وقد اشتهر الإمام الزهري أيضاً باستخدام هذا الأسلوب فقد قال عنه ابن الليــث : " مــا رأيت عالماً قط أجمع من ابن شهاب ، ولا أجمع علما منه ، ولو سمعت ابن شهاب بحــديث في الترغيب لقلت لا يحسن إلا هذا "[٢] ، فقد برز ابن شهاب في كثير من العلــوم ومنــها الترغيب فقد كان يرغّب الناس في ثواب الآخرة ونعيم الجنة ويحثهم على فعل كل ما مــن شأنه التقرب إلى الله عز وجل .

---

[١] ابن عساكر ، علي ابن الحسن :تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ،٩٩/١٨.

[٢] المرجع السابق ،٣٤١/٥٥.

سادساً : طريقة السؤال و الجواب:

وهي من الطرق التي تستخدم لوحدها وكذلك تستخدم مع الطرق الأخرى فلا توجد طريقة من طرق التدريس إلا ويستخدم من خلالها طريقة الاستجواب . ويطلق عليها عدة مسميات فقد يسميها البعض "الطريقة الاستجوابية أو يسميها البعض طريقة المناقشة أو كما يسميها البعض طريقة المحادثة "[١].

١. تعريف السؤال والجواب:

أ- تعريف السؤال والجوال في **اللغة :**

(السؤال) "سأله كذا وعن كذا بمعنى سؤالاً وسآله وسئله وتسآلاً ، و أسأله سؤلة ومسئَلته قضى حاجته "[٢].

الجواب "(جوب) ، الإجابةُ رجع الكلام ، تقول: أجابه عن سؤاله ، وقد أجابه إجابةً وإجابا وجوابا واستجوبه واستجابه واستجاب له"[٣].

ب- تعريف طريقة السؤال و الجواب عند التربويين :

يعرفها بعض الباحثين بأ ا عبارة عن " وسيلة فعالة لتوجيه (الناشئ) وإرشاده بالتدرج ، وفق مستواه العقلي و التحصيلي ، إلى التوصل إلى حقائق الأشياء بنفسه وتوضيحها له في حالة عجزه"[٤].

٢. أهميتها:

أ. أ ا وسيلة فعالة لجذب انتباه الطلاب وإثار م نحو الموضوع المراد تعليمه "مما يشحذ هممهم ويحمسهم إلى اكتشاف الإجابات الصحيحة والمشاركة في شرح الدرس وتحديده وفهمه"[5] ، فمن خلالها يتفاعل الطلاب مع معلمهم.

---

[١] جان ، محمد صالح بن علي : المرشد النفيس إلى أسلمه طرق التدريس ، المرجع السابق ، ص:٤٨٤.

[٢] الفيروزابادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب : القاموس المحيط ، مرجع سابق ،٣٩٢/٣.

[٣] ابن منظور ، محمد بن مكرم : لسان العرب ، مرجع سابق ،٢٤٩/٢.

[٤] الزنتاني ، عبد الحميد الصيد: أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية ،مرجع سابق ، ص:٢٠٦.

[5] جان ، محمد صالح بن علي : المرشد النفيس إلى أسلمه طرق التدريس ، المرجع السابق ، ص:٤٨٩.

ب. أ ا وسيلة مهمة للحصول على المعلومات "فهي تساعد التلاميذ في التعرف على الحقائق والمعارف الهامة والأكثر أهمية في كل علم والتمييز بينها"[١]، وتعمل على كشف كل ما يخفى أو يصعب عليهم تعلمه أو فهمه فهي وسيلة مهمة من وسائل الشرح والإيضاح .

ج. تعمل على تثبيت المعلومات في ذهن الطلاب ومراجعتها " فالمدرس الناجح هو الذي يستطيع بأسئلته أن يراجع الطلاب في المادة التي سبق وأن درسها لهم وحملهم على تكرار ما هو مهم لهم من الدرس"[٢]، ومن خلالها يستطيع أن يقيم مدى استيعاب وفهم الطلاب للمادة العلمية.

٣. طريقة السؤال و الجواب في الشام في العصر الأموي :

استخدم علماء الشام في عصر بني أمية طريقة السؤال و الجواب في العملية التعليمية ، "فقد بدأت في القرن الأول ونالت درجة عالية من التقدير جعلتهم يصفون السؤال بأنه نصف العلم . ولقد شاع استعمالها في القرن الثاني وتواصى العلماء باستعمالها"[٣].

وذلك لشعورهم بأهميتها ومالها من تأثير قوي في الحصول على المعلومات فهذا دغفل بن حنظلة[٤] عندما سأله معاوية بن أبي سفيان على كيفية حصوله على هذا العلم فأجاب بقوله "بلسان سؤول و قلب عقول"[٥].

وروي عن دغفل أن رؤبة بن العجاج[٦] – أحد طلابه – أتاه:

" فقال له دغفل : من أنت؟ فقال: رؤبة بن العجاج ، فقال: قُصرت وعرفت ، لعلك كأقوام يأتونني إن حدثتهم لم يعوا عني ، وإن سكت عنهم لم

---

[١] عبد الله ، عبد الله بن أحمد :التقويم التربوي للمتعلمين لدى العلماء المسلمين ، ط١، مكتبة الرشد ، مكـة المكرمـة ، ١٤٢٤هـ ـ ، ص:٨٣.

[٢] آل ياسين ، محمد حسين :المباديء الأساسية في طرق التدريس العامة ، دار القلم ، بيروت ، ت:د، ص:٩١ .

[٣] الكيلاني ، ماجد عرسان :تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية ، ط٢، دار ابن كثير ، دمشق ،١٤٠٥هـ، ص:١٠٠.

[٤] دغفل بن حنظلة بن زيد بن عبده السدوسي الذهلي الشباني النساغه ، استخدمه معاوية فقدم عليه وأمره أن يعلم ابنه يزيد ، كان لـه علم ورواية للنسب . (ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ، ٢٨٦/١٧).

[٥] ابن عساكر ، علي ابن الحسن :تاريخ مدينة دمشق ،مرجع سابق ،٢٩١/١٧.

[٦] هو رؤبة بن العجاج واسمه عبد الله بن روبة بن أسد بن صخر بن كنيف بن عميره ابن ربيعة بن سعد بن تميم أبو الجحاف ويقال أبـو العجاج التميمي، الراجز المشهور من أعراب البصرة (ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ، ٢١٢/١٨).

يسألوني ، قال رؤبة : أرجو أن لا أكون كذلك ، فقال: فما أعداء المروءة؟ قلت: تخبرني قال: بنو عم السوء، إن أرادوا حسنا دفنوه ، وإن أرادوا سيئًا أذاعوه ، ثم قال: إن للعلم آفة وهجنةً ونكدا ، فآفته الكذب، ونكده النسيان ، وهجنته نشره عند غير أهله"[١].

فقد أشار دغفل من خلال هذه الرواية إلى أهمية السؤال في طلب العلم ، وكره أن يحدث من لا يعي ولا يحفظ حديثه أو لا يسأل عن ما لا يعلمه ، فكأنه بقوله: " إن سكت عنهم لم يسألونني" يشجع طالب العلم على السؤال وإن لم يحدثه معلمه.

فعن إبراهيم بن سعيد قال: "سمعت أبي يسأل الزهري عن شيئًا من الخلع و الإيلاء، فقال: إن عندي فيه لثلاثين حديثًا ما سألتموني عن شيء منها"[٢].

فعلى طالب العلم أن لا يستحي من السؤال " فعن سعد قال: حدثني أبي قال: ما سبقنا ابن شهاب بشيء من العلم إلا أنه كان يشد ثوبه عند صدره ويسأل عن ما يريد ، وكنا تمنعنا الحداثة"[٣]، فكأنه علل بلوغه هذه المرحلة العالية من العلم بجرأته على السؤال فلم يكن الزهري يخجل من أن يسأل معلمه ، ويعتبر ذلك من الأمور المحمودة التي يجب أن يتصف ا طالب العلم ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت:"نعم النساء نساء الأنصار ، لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين"[٤] ، ومما يدل أيضا على اهتمام طلبة العلم أ م يتابعون بأنفسهم مصادر العلم والمعرفة ، فلا يكلون ولا يملون عن الوصول إلى الحقيقة "فقد روي عن مكحول أنه قال:أتيت الشام ، فغربلتها ، كل ذلك أسأل عن النفل ، فلم أجد أحدا يخبرني عنه ،حتى مررت بشيخ من بني تميم يقال له ، زياد بن جارية فسألته"[٥].

ولكن يجب على طالب العلم أن يحسن السؤال ويلزم الأدب في ذلك ،" فقدر روي عن الحسن أنه قدم مكة ، فحشد عليه الناس ، فقام رجل فقال: يا أبا سعيد ، ما تقول في

---

[١] ابن عساكر ، علي ابن الحسن :تاريخ مدينة دمشق ،مرجع سابق ،٣٠٣/١٧.
[٢] المرجع السابق ،٣٤١/٥٥.
[٣] المرجع السابق ،٣١٧/٥٥.
[٤] مسلم : صحيح مسلم بشرح النووي، مرجع سابق ، كتاب الحيض ، باب المستحاضة وغسلها وصلا ا ،١٦/٤.
[٥] ابن عساكر ، علي ابن الحسن :تاريخ مدينة دمشق ،مرجع سابق ،٢٠٦/٦٠

القدر؟ قال: اجلس ليس تحسن أن تسأل"[١]، فقد أنكر الحسن عليه طريقة سؤاله و ﺑﺮه على ذلك فيجب على طالب العلم أن يحترم معلمه ويتأدب في طريقة طرحه السؤال ، فعليه أن يرتب أفكاره و يصيغ سؤاله بطريقة صحيحة "فإن الصياغة غير الجيدة قد تفقد السؤال قيمته وتؤدي إلى بلبلة أذهان الطلبة وعدم معرفة المقصود من السؤال"[٢].

ومن الآداب التي يجب على المعلم أن يتحلى ﺎ إذا تصدر للفتيا والسؤال أن يجيب بما يعلم وأن لا يدعي المعرفة بما لا يعلم فعن عطية العبسي قال: "كثيرا ما كنت أسمع مكحولاً يسأل فيقول: ندانم (يعني : لا أدري)"[٣]، وكان العالم إذا وجد من هو أعلم منه قدمه عليه في الفتيا، "فعن موسى بن يسار : قال: كان رجاء بن حيوة ، وعدي بن عدي ، ومكحول في المسجد ، فسأل رجلا مكحولاً عن مسألة ، فقال مكحول: سلوا شيخنا رجاء بن حيوة"[٤].

فقد دلت هذه الحادثة على شدة تواضع العلماء وتقديم من هو أعلم منهم عليهم تقديرا لمقام العلماء واحتراما لعلمهم.

---

[١] الرامهرمزي ، الحسن بن عبد الرحمن :المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ، مرجع سابق ، ص:٣٦٢.

[٢] جان ، محمد صالح بن علي : المرشد النفيس إلى أسلمه طرق التدريس ، المرجع السابق ، ص:٣٠٠.

[٣] ابن عساكر ، علي ابن الحسن :تاريخ مدينة دمشق ،مرجع سابق ،١٩٧/٦٠.

[٤] ابن عساكر ، علي ابن الحسن ،مرجع سابق ،١٠٣/١٨.

◄ ملخص الفصل الرابع

يتبين للدارس مما تقدم تنوع أساليب وطرق التدريس في الشام في ذلك العصر وتعددها فلم يكن المعلم يعتمد وسيلة واحدة بل كان يتنقل من طريقة إلى أخرى على حسب الموقف التعليمي، فتارة يستخدم أسلوب القصة بما تحمله من دروس وعبر للإقناع بفكرة معينة مصاغة بأسلوب شيق يلفت الانتباه ويثير العواطف، وتارة يستخدم أسلوب الترغيب والترهيب، لحث النفس على فعل الخير وترك الشرك، وتارة يستخدم أسلوب المناقشة – السؤال والجواب- حتى تتنمو لدى الطالب الجرأة الأدبية، ويستطيع المعلم من خلالها بناء جسر من التفاهم والتواصل والاحترام مع طلابه.

هذا بالإضافة إلى القدوة التي تعد من أنجح الأساليب وأكثرها تأثيرا فقد كان من أسباب نبوغ العلماء في ذلك العصر ونجاحهم في مجال التربية والتعليم وبقاء علومهم ونتاجهم هو أ م كانوا يطبقون على أنفسهم ما يأمرون به غيرهم مترجمين أقوالهم إلى أفعال وحيا م إلى واقع محسوس ومشاهد، فينبغي على المعلم في عصرنا الحاضر أن يكون مثالاً صادقًا لطلابه وأن يولي هذه الطريقة اهتماما كبيرا فأمتنا في أمس الحاجة إلى قدوات حسنة وصالحة في جميع ميادين الحياة.

هذا وقد اقتضى التعليم في ذلك العصر إلى ظهور وانتشار طرق أخرى مثل طريقة الإملاء وطريقة القراءة والعرض والتي كانت مصاحبة للحديث بالإضافة إلى التلقين الذي يعد من الطرق السائدة في ذلك الوقت، وذلك بناءً على طبيعة المادة التي كانت تحتم على المعلم اتخاذ هذه الوسيلة في التعليم، إلا أن البعض في عصرنا الحاضر يرى عدم فاعلية هذه الطريقة رغم ما حققته من نجاح واضح وملموس في ذلك العصر ظهر أثره على الكثيرين من رواد ذلك الجيل، ويعود السبب في ذلك إلى أن أكثر علماء ذلك العصر كانوا يجعلون التفهيم مصاحبا للتلقين فلم يكن همهم استظهار العلم وحفظه دون فهمه بل كانت غايتهم حصول المتعلم على المعلومة بدرجة عالية من الفهم فلا يكون للتلقين أثر بارز وواضح إلا إذا كان مصحوبا بالشرح والتوضيح، فالاعتماد على الحفظ وترك الفهم من العيوب التي يجب على المعلم التنبه إليها.

وأخيرا على المدرس أن يرى الطريقة الملائمة للمادة التي يراد تدريسها، وحال الطالب والبيئة المحيطة به، ويتبعها وأن لا يتقيد بطريقة معينة، فهناك أجزاء من الموقف التعليمي تتطلب من المعلم أسلوبا معينا وأجزاء أخرى تتطلب أساليب أخرى "فالتدريس فن إيصال المعلومة للطالب. والنجاح فيه. وإن كان يقوم على امتلاك قدر مناسب من المعلومات إلا أن الجانب المهاري فيه، ذو أهمية بالغة"[١].

[١] البكار، عبد الكريم :حول التربية والتعليم ، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤٢٢هـ ـ ١٨٤/٥.

الفصــل الخامس

العلوم التـي تدرس في الشام في العصر الأموي

العلوم التي تدرس في الشام في العصر الأموي

تمهيد

إن القاريء لتاريخ التعليم في الشام في ذلك العصر يرى أن الطابع الأساسي والعام في منهجه هو الطابع الديني فقد كانت من خصائصه غلبة الفرض الديني والخلقي على المواد والأنشطة المتضمنة لمنهجه ويرجع السبب في ذلك إلى قرب العصر الأموي من عصر صدر الإسلام ووجود كثير من الصحابة والتابعيين في الشام.

" فقد كانت عناية المسلمين في صدر الإسلام مقصورة على العلوم الدينية وهي القرآن وتفسيره والحديث وروايته ، استنباط الأحكام الفقهية والفتاوى الشرعية فيما يجد من مشاكل وما يعرض من أحداث. ولذلك نلاحظ أن العلوم المتصلة بالدين قد انتشرت في عهد بني أمية . بخلاف ما كانت عليه الحال أيام العباسيين الذين اشتغلوا بالعلوم العقلية كالطب والفلسفة والرياضيات وغيرها"[١].

ولا يعني من هذا القول أن الأمويين لم يشتغلوا بهذه العلوم بل تعلموها وعلموها ولكن انتشارها كان محدوداً بعكس العصر العباسي ، فلقد ازدهرت الحركة الفكرية في العصر الأموي وشملت " ثلاثة اتجاهات : حركة دينية ، ونعني بها البحث في الشؤون الدينية من تفسير القرآن والحديث والتشريع ، وما إلى ذلك ؛ وحركة في التاريخ والقصص والسير ونحوها ، وحركة عقلية في الفلك والكيمياء والطب وما إليها . وإذا قلنا حركة علمية فلسنا نعني علوما منظمة لها أبواب وفصول ، فذلك ما لم يصل إليه هذا العصر ، وإنما نعني النواة التي تكونت حولها العلوم بعد"[٢].

---

[١] حسن ، إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي ،مرجع سابق،٤٩٦/١.

[٢] أمين، أحمد:فجر الإسلام ، ط١، المكتبة العصرية، صيدا ٢٠٠٦م، ص: ١٣٩.

أولا: العلوم الدينية :

١)القرآن الكريم وعلومه:

إن أول العلوم التي لا يختلف عليها أي قطر من الأقطار هو القران الكريم.

والقرآن هو : " كلام الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ،بلسان عربي مبين بواسطة جبريل عليه السلام المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر كتابة ومشافهة، المتعبد بتلاوته، المعجز بأقصر سورة منه، المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس وهو معجزة الإسلام الخالدة"[١].

اهتم المسلمون بالقرآن الكريم وعنوا به عناية تامة لمعرفتهم بأهميته فهو دستورهم ومنهجهم فجعلوا منه مصدرا للبحث في جميع العلوم ، فاهتموا بحفظه ، ودراسته ، وفهمه وتفسيره ، وكان المحدثون يرون أنه لا ينبغي أن يطلب المرء الحديث إلا بعد قراءته للقرآن.

فقد روي عن الأوزاعي أنه إذا رأى غلاما يحضر مجلسه يقول له " يا غلام ، أقرأت القرآن؟ فان قال نعم، قال: اقرأ [يوصيكم الله في أولادكم] وان قال : لا . قال : اذهب تعلم القرآن قبل أن تطلب العلم"[٢].

لذلك كان القرآن الكريم عندهم أول العلوم الإجبارية التي يجب على الطالب تعلمها ، كما يجب عليه أن لا يخلطها بشيء آخر حتى يرسخ فهمه لها ويتقنها "[٣]

فالقرآن هو الأساس وعليه تقوم العلوم الأخرى لذلك كان الهدف من إرسال الصحابة إلى جميع أقطار العالم الإسلامي هو تعليم الناس القرآن ولقد اشتهرت الشام بعدد من الصحابة أمثال أبو الدرداء فقد وصفه الذهبي بأنه " مقرئ أهل دمشق "[٤]

وواثلة بن الأسقع وقد أخذ عنهم الكثير من التابعين أمثال أبو إدريس الخولاني "وكانت حلق المسجد بدمشق يقرؤون القرآن يدرسون جميعا ، وأبو إدريس جالس إلى بعض العمد

---

[١] ________،______ :الموسوعة العربية العالمية ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ١٤١٦هـ - حرف القاف-،، ص:١١٣/١٨.

[٢] البغدادي، أحمد بن علي: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، مرجع سابق، ١٠٨/١ .

[٣] السفياني، صالحة بنت حاي بن يحى:التعليم في المساجد في القرن الأول الهجري مرجع سابق ، ص:٢٥٧.

[٤] الذهبي، أبو عبدالإله شمس الدين محمد: تذكرة الحفاظ ، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت،٢٤/١.

فكلما مرت حلقة بآية سجدة بعثوا إليه يقرأ ا وأنصتوا له ،وسجد م وسـجدوا جميعـا لسجوده ، وربما سجد م اثنتي عشرة سجدة "[١].

"وكذلك أم الدر داء فقد روى إ ا كانت تجلس في حلق القرآن تعلم القرآن"[٢].

واشتهر من القراء في الشام في العصر الأموي بلال بن سعد قال عنه أبو زرعه " كان لأهل الشام كالحسن البصري في العراق وكان قارئ أهل الشام جهير الصوت "[٣].

وكانت الدولة تقوم بتعيين قراء في المساجد وكذلك لتعليم الجند إيمانا منها بأهمية القـرآن وتعلمه وشعورا منها بالمسؤولية فقد كان عطية بن قيس[٤] مقرئ دمشق وكان قارئ الجنـد وكانوا يصلحون مصاحفهم على قراءته "[٥].

تقول ملكة "يتبين من ذلك أن بعض الشيوخ كانوا يقرؤون القرآن من تلقاء أنفسهم شعورا منهم بالمسؤولية إزاء التعليم الديني ، وأن آخرين كانوا يقرأون بناءً على تكليف من القائمين على السلطة نظرا لأن توفير تعليم ديني جيد كان يعد من مسؤوليات الخليفة والولاة"[٦].

ولقد ظهرت في عهد عبد الملك بن مروان ما يسمى بالدراسة قال حسان بن عطية "قـراءة المدارسة محدثة أحدثها هشام بن إسماعيل المخزومي لما قدم على عبد الملك محجبـة بعـد الصبح في المسجد وكان عبد الملك بالخضراء فأخبر أن عبد الملك يقرأ بقراءة هشـام فقـرأ بقراءته مولى له فاستحسن ذلك من يليه من أهل المسجد فقرأ بقراءته وأول مـن أحـدث الدراسة في فلسطين الوليد بن عبد الرحمن الجرشي وكان يحضرها كثيرا ممن يوصف بـالعلم والرياسة "[٧].

---

[١] ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ،١٦٣/٢٦.

[٢] الذهبي :سير أعلام النبلاء ، مرجع سابق ،٢٧٨/٤.

[٣] المرجع السابق ،٩١/٥.

[٤] عطية بن قيس الإمام القانت مقرئ دمشق مع ابن عامر، أبو يحي الكلبي الدمشقي، عرض على أم الدرداء، كان قارئ الجنـد، تـوفي سنة١٢١هجرية (الذهبي :سير أعلام النبلاء ، مرجع سابق ،٣٢٤/٥).

[٥] المرجع السابق ،٣٢٥/٥.

[٦] ملكة ، أبيض : التربية والثقافة العربية – الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى ، مرجع سابق ، ص:٢٧٠.

[٧] ابن عساكر: علي ابن حسن : ذيب تاريخ مدينة دمشق ، هذبه: عبد القادر بدران، ط٢، دار السيرة ، بيروت، ١٣٩٩هـ ،٢١٥/١٠.

" في أواخر عهد التابعين انتبه كثير من علماء القرآن إلى ما أخذ يتسلل إلى النـاس مـن اضطراب السلائق، ومظاهر العجمة، وبوادر اللحن ، فتجرد قوم منـهم و ضـوا بـأمر القراءات"[1].

يضبطو ا ويحصرو ا ويعنون بأسانيدها وقد اشتهر ممن ض بذلك أئمة سبعة حازوا ثقـة العلماء والقراء في مختلف الأمصار واليهم تنسب القراءات السبع"[2]، وهم نافع[3]، عاصـم[4]، حمزة[5]، ابن عامر[6]،ابن كثير[7]، ابن علاء[8]، الكسائي[9].

يقول ابن الجزري "إ م صاروا أئمة يقتدى م ويرحل إليهم ويؤخذ عنهم ، أجمـع أهـل بلدهم على تلقي قراء م بالقبول ولم يختلف عليهم فيها اثنان ولتصديهم للقـراءة نسـبت إليهم"[10].

وممن اشتهر من هؤلاء الأئمة السبعة في الشام عبد الله بن عامر اليحصبي (اشتهر بالقراءة بعد وفاة أبي الدرداء سنة ٣٢هـ).

---

[1] "هو مذهب من مذاهب النطق في القران يذهب به إمام من الأئمة القراء مذهبا يخالف غيره "[عناية، غازي:هدي الفرقـان في علـوم القرآن ،ط١، عالم الكتب ، بيروت ،١٤١٦هـ،١/٢٣٣]

[2] البغا، مصطفى ديب، ومحي الدين ديب: الواضح في علوم القرآن، ط١، دار الكلم الطيب، دمشق ،سوريا،،١٤١٧هـ ـ، ص:١١٦-١١٧.

[3] نافع بن نعيم المدني المتوفي سنة:١٦٩ هجرية.(البغا، مصطفى ديب، ومحي الدين ديب: الواضح في علـوم القـرآن، مرجـع سـابق، ص:١١٦-١١٧).

[4] عاصم بن أبي النجود الأسدي المتوفي سنة:١٢٧هجرية، (البغا، مصطفى ديب، ومحي الدين ديب: الواضح في علوم القـرآن، مرجـع سابق، ص:١١٦-١١٧).

[5] حمزة بن حبيب الزيات المتوفي سنة:١٥٦هجرية،(البغا، مصطفى ديب، ومحي الدين ديب: الواضح في علوم القرآن، مرجـع سـابق، ص:١١٦-١١٧).

[6] عبد الله بن عامر اليحصبي الدمشقي المتوفي سنة:١١٨هجرية،(البغا، مصطفى ديب، ومحي الدين ديب: الواضح في علوم القرآن، مرجع مرجع سابق، ص:١١٦-١١٧).

[7] عبد الله بن كثير الداري المتوفي بمكة سنة: ١٢٠هجرية،(البغا، مصطفى ديب، ومحي الدين ديب: الواضح في علوم القرآن، مرجع سابق، سابق، ص:١١٦-١١٧).

[8] أبو عمرو زبان بن العلاء الصري المتوفي بالكوفة سنة:١٥٤هجرية،(البغا، مصطفى ديب، ومحي الدين ديب: الواضح في علوم القـرآن، مرجع سابق، ص:١١٦-١١٧).

[9] أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي النحوي المتوفي بالري سنة:١٨٩،(البغا، مصطفى ديب، ومحي الدين ديب: الواضح في علوم القرآن، مرجع سابق، ص:١١٦-١١٧).

[10] ابن الجزري،أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي:النشر في القراءات العشر ١/٨-٩ ، تصحيح: علي محمد الضباع، مطبعة مصطفى محمد، مصر.

وقد ظل أهل الشام يقرؤون بقراءته حتى سنة خمسمائة هجرية[١].

٢. علم التفسير

أ. تعريف علم التفسير:

التفسير لغة: "الإبانة وكشف المغطى ويقصد به كشف المراد عن المشكل"[٢]

ويعرف علماء المسلمين التفسير بأنه "علم باحث عن معنى نظم القرآن بحسب الطاقة البشرية، وبحسب ما تقتضيه القواعد العربية"[٣].

ب. نشأة التفسير:

لقد نشأ علم التفسير منذ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد كان عليه الصلاة والسلام يفسر لصحابته آيات القرآن الكريم ويبين ما غمض فيها، قال تعالى ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ (سورة النحل، آية٤٤)، ففي هذه الآية يوضح سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم أن مهمته لا تقتصر على تلاوة القرآن فقط للناس وإبلاغهم به، بل تتعدى ذلك إلى شرحه وتفسيره لهم.

ثم أخذ الصحابة هذا العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلموه لمن جاء بعده من التابعين، "فقد كان الصحابة أقدر الناس على فهم القرآن لأنه نزل بلغتهم، ولأنه شاهدوا الظروف التي نزل فيها القرآن"[٤].

فلما اتسعت الفتوحات الإسلامية ودخل الكثير إلى الإسلام تفرق هؤلاء الصحابة في الأمصار ليعلموا الناس آيات الله ويشرحوا لهم معانيها وأسباب نزولها، فـ ل كـثير منـهم الشام أمثال أبو الدرداء ، معاذ بن جبل، أبو عبيدة بن الجراح، فتتلمذ على أيديهم الكثير أمثال الإمام الزهري وقبيصة بن ذؤيب وشهر بن حوشب[5] ومكحول والأوزاعي.

---

[١] ابن الجزري، شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد:غاية النهاية في طبقات القراء ، ط١، مكتبة الخانجي، مصر، ١٣٥١هـ، ص:٤٢٤

[٢] الفيروزابادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب : القاموس المحيط ،مرجع سابق، ١١٠/٢.

[٣] زاده، طاش كبرى: مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، مرجع سابق، ٥٤/٢.

[٤] أمين، أحمد:فجر الإسلام ، مرجع سابق، ص:١٨٤.

[5] شهر بن حوشب الأشعري، فقيه قارئ، من رجال الحديث، شامي الأصل، توفي سنة١٠٠هجرية (الزركلي، خير الدين: الأعلام ،مرجع ،مرجع سابق، ١٧٨/٣).

هذا ولقد اتجه المفسرون في تفسير القرآن الكريم اتجاهين:

أ. التفسير بالمأثور :

ويشمل "ماجاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته وما نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم وما نقل عن الصحابة رضوان الله عليهم وما نقل عن التابعيين، من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم"[١].

ويعرف أيضا بالتفسير النقلي، وهذا ما أشار إليه ابن خلدون بقوله: "تفسير نقلـي، مستند إلى الآثار المنقولة عن السلف وهي معرفة الناسخ والمنسوخ، وأسباب الـ ول ومقاصد الآي، وكل ذلك لا يعرف إلا بالنقل عن الصحابة والتابعين"[٢]، ومن أشهر من اشتهر ذا النوع من التفسير في الشام الإمام الزهري فقد كان على دراية تامـة بالسنة فعن سفيان بن عيينه قال: "مات الزهري يوم مات وهو أعلم الناس بالسنة"[٣] ، فكان يفسر القرآن على مالديه من علم بأحاديث المصطفى صلى الله عليـه وسـلم وبالمأثور من أقوال الصحابة ومن ذلك ما أورده في سبب نزول قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ ﴾ (سورة المدثر، آية رقم١)، بقوله "أخبرني أبو سلمة بن عبد الـرحمن عن جابر قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم –وهو يحـدث عـن فتـرة الوحي- فقال في حديثه: فبينما أنا أمشي سمعت صوتا من السماء فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فجئثت منه رعبا، فرجعت فقلت: زملوني زملوني، فَدثروه، فأنزل الله يـأيها المدثر"[٤]، ومن ذلك أيضا قوله في تفسير قوله تعالى ﴿ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ ﴾ (سورة التوبة، آيـة رقم١٠٨)، قال: "هو مسجد قباء"[٥].

---

[١] الذهبي، محمد حسين: التفسير والمفسرون ،ط٦، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٦هـ،١٨٩/٣.

[٢] ابن خلدون،عبد الرحمن بن محمد:تاريخ ابن خلدون – العبر وديوان المبدأ والخبر تحقيق: أبو صهيب الكرمي،مرجع سابق، ص:٢٢٣.

[٣] ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ،٣٥٥/٥٥.

[٤] الوحداني: أبي الحسن علي بن أحمد: أسباب الـ ول ، تحقيق: كمال زغلول ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ، ص:١٩.

[٥] ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء اسماعيل الدمشقي: تفسير ابن كثير ،ط١، دار ابن كثير، دمشق ، ١٤١٥هـ، ٤٨١/٢.

ب. التفسير بالرأي:

وهو عبارة عن "تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول ومعرفته بالألفاظ العربية ووجود دلالا ا، واستعانته في ذلك بالشعر الجـاهلي ووقوفه على أسباب الـ ول، ومعرفة الناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلـك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر"[١].

فمن خلال التعريف السابق، يتبين لنا أنه يجب على المفسر أن يكون على دراية بكلام العرب ومناحيهم وكذلك الألفاظ العربية ومعانيها وأسباب الـ ول والناسخ والمنسوخ من آيات القرآن الكريم وغير هذه الأمور حتى يستطيع أن يجتهد في تفسيره.

هذا ولقد تنوع التفسير في الشام في العصر الأموي بعدة أمور منها:

أ. عدم الخوض في مسائل الكلام أو التفسير القائم على الجدل، فقد انتشـر في ذلـك العصر الكثير من الفرق والمذاهب في الكثير من أقطار العالم الإسلامي خصوصـا في العراق ونشأ نتيجة لذلك التفسير بالرأي، وعمدت كل فرقة إلى تفسير القرآن بمـا يتفق مع معتقدا ا وظهر الكلام في صفات الله تعالى "فوقف علماء الشـام موقفًـا حازما منها، مما جعل الشام بمنأى عن تفسير الآيات المتعلقة بالصفات"[٢].

ومن أشهر هؤلاء العلماء الأوزاعي، فقد كان يرى "إمرار آيات الصفات كما جـاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل"[٣].

ب. تأثير التفسير في الشام بالإسرائيليات، وذلك لدخول الكثير من أهـل الكتـاب في الإسلام وشغف العامة من المسلمين بمعرفة بعض الأمور التي لم يتحدث عنها القرآن فكانوا يسألون عنها أهل الكتاب، يقول ابن خلدون "إن العرب لم يكونـوا أهـل كتاب ولا علم وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية، فإذا تشوقوا إلى معرفة شيء ممـا

---

[١] ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء اسماعيل الدمشقي ،مرجع سابق، ٤٨١/٢.

[٢] الزرو:،خليل داوود:الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني للهجرة، مرجع سابق ، ص:٥٦.

[٣] ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء اسماعيل الدمشقي: تفسير ابن كثير ،مرجع سابق، ٢٨٠/٢.

تتشوق إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود فأ م يسألون عنه أهل الكتاب"[١].

اهتم المسلمون بمعرفة بعض المعلومات التي لا تؤثر في مجال العقيدة فهناك حوادث رويت في القرآن في سورة عامة مجملة كقصة أصحاب الكهف، فأخذ المسلمون يسألون أهل الكتاب عن بعض تفصيلات القصة، كأسمائهم ولون كلبهم إلى غير ذلك من الأسئلة، ومن أشهر هؤلاء المفسرون في الشام كعب الأحبار[٢]، "فقد سأله معاوية بن أبي سفيان في قوله تعالى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ سورة الكهف آية رقم ٨٦، فقال له: أين تجد الشمس تغرب في التوراة؟ فقال له كعب: إني أجد الشمس تغرب في التوراة في ماء وطين، وأشار بيده إلى المغرب"[٣].

رغم أن كعب الأحبار لا يعتبر من أعلام ذلك العصر –العصر الأموي- إلا أن تأثيره كان باقيا على من تتلمذ على يديه من علماء ذلك العصر، أمثال تبيع ابن امرأة كعب الأحبار[٤] وكان عالمًا قد قرأ الكتب وسمع من كعب علما كثيرا، "فقد سأله ابن عباس: عن قول كعب في السحاب؟ فقال: سمعت كعبا يقول: إن السحاب غربال المطر، ولولا السحاب لأفسد المطر ما يقع عليه. قال: صدقت وأنا سمعته. قال: وسمعت كعبا يذكر أن الأرض تنبت العام نبتا وقابل غيره؟ قال: نعم، قال: وسمعت كعبا يقول إن البذر ينزل مع المطر فيخرج في الأرض قال: نعم صدقت وأنا قد سمعته"[٥].

---

[١] ابن خلدون،عبد الرحمن بن محمد:تاريخ ابن خلدون – العبر وديوان المبدأ والخبر تحقيق: أبو صهيب الكرمي،مرجع سابق، ص:٢٢٣.

[٢] كعب بن مانع الحميري اليماني العلامة الحبر، كان يهوديا فأسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، قدم المدينة من اليمن في أيام عمر رضي الله عنه، حضر مجالس أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وكان يحدثهم عن الكتب الإسرائيلية، سكن الشام وكان يغزو مع الصحابة، توفي بحمص في آخر خلافة عثمان بن عفان (الذهبي :سير أعلام النبلاء ، مرجع سابق، ٤٨٩/٣).

[٣] ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء اسماعيل الدمشقي: تفسير ابن كثير ،مرجع سابق، ١٣٠/٣.

[٤] هو تبيع بن عامر أبو عبيدة ويقال: أبو حمير ويقال: أبو غطيف، يعد في الطبقة الثانية من تابعي أهل الشام وكان يقص عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ،مرجع سابق، ٢٨/١١).

[٥] ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ،مرجع سابق، ٣١/١١.

والجدير بالذكر أن التفسير في ذلك العصر كان جزءًا من الحديث وفرعا من فروعه، "فقـد كان التفسير في ذلك العصر تفسيرا لآيات مبعثرة غير مرتبه حسب ترتيب السور والآيـات فالطريقة المنظمة في تفسير القرآن لم تحدث إلا في العصر العباسي"[١].

٣. علم الحديث:

والحديث يلي القران الكريم في الأهمية كونه المصدر الثاني من مصـادر التشـريع **ويـراد بالحديث النبوي الشريف :**

"ما أضيف إلى النبي صلى الله علية وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة "[٢].

لقد امتاز الحديث في الشام بعدة مميزات كان أهمها :-

أ. قلة الإسناد:

لم تكن الحاجة في بداية الأمر تدعو إلى الإسناد "وذلك للثقة المتبادلة بيت التابعين هناك، وأن الوضع للحديث كان ضعيفا فيها بعكس العراق ، لذا لم ير أهل الشام ما يدعوهم إلى الإسناد "[٣]

ولكن هذا الأمر لم يستمر طويلا وخصوصا أن الوضع والكذب على رسول الله صـلى الله عليه وسلم زاد وقد عاب الزهري عليهم ذلك ، فقد روي عنه أنه قال " يـا أهـل الشام مالي أرى أحاديثكم ليس لها أزِمةٌ ولا خطم؟ قال الوليـد : تمسـك أصـحابنا بالأسانيد من يومئذ "[٤]

ب. قلة الأحاديث المتعلقة بالسياسة والبلاد:

" تميز إقليم الشام بصفة خاصة زمن الدولة الأموية بالتأثر بالسياسة السائدة، لذا فـان الأحاديـث النبوية التي كانت تنقص من بني أمية أو تروي أن رايات سودا ستأتي من خرسان فتقضي علـيهم وأمثال ذلك كانت تروى خارج الشام أو لأن أهل الشام كانوا موالين للخليفة الأمـوي ، وإمـا خوفا منه"[٥].

---

[١] حسن، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، مرجع سابق، ص:٥٠٣.

[٢] ________،______ :الموسوعة العربية العالمية ، مرجع سابق-حرف الحاء-، ٩٦/٩.

[٣] الزرو:،خليل داوود:الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني للهجرة، مرجع سابق ، ص:٦٥.

[٤] ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ،٣٣٣/٥٥.

[٥] الزرو:،خليل داوود:الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني للهجرة، مرجع سابق ، ص:٧٠.

تدوين الحديث

اختلف العلماء في بداية الأمر في كتابة الحديث لأسباب عديدة وقد أشرنا إلى ذلك سابقًا[١]، ثم ظهرت عدة أسباب جعلت الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يقف موقفًا عظيما من هذا الأمر، فقد دعا رضي الله عنه إلى جمع وتدوين الحديث، خوفًا مـن دروس العلـم وذهاب أهله وحملته، فقد روي عنه أنه قال لأحد ولاته: "انظر ما كان من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم فاكتبه فإني خفت دروس العلم وذهاب أهله "[٢]، "فالخوف من دروس العلم بوفاة الرواة هو السبب الأول في التدوين أما السبب الثاني استبعاد الموضوع"[٣] ، وقـد كلف هذا الأمر الإمام الزهري فقد قال الزهري "أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمـع السـنن فجمعناها دفترا دفترا فبعث إلى كل أرض عليها سلطان دفترا"[٤].

فمن ذلك يتبين لنا دور الشام وعلمائها وعلى رأسهم الزهري في جمع وتـدوين أحاديـث الرسول صلى الله عليه وسلم وتعاونهم مع الخليفة عمر بن عبد العزيز في ذلك ،فيعود الفضل بعد الله إليهم والى الجهود العظيمة التي بذلوها في حفظ سنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

ومن الرواد الكبار الذين اعتبروا أئمة الناس في الحديث في تلك الفترة في الشام الأوزاعـي فيذكر السيوطي " أن أئمة الناس في الحديث في زمانهم أربعة : مالك بن أنس[٥] بالحجـاز ، والأوزاعي بالشام ، وسفيان الثوري بالكوفة ، وحماد بن زيد بالبصرة"[٦]

وكذلك الإمام الزهري كما أسلفنا ، فقد قال عنه عمر بن عبد العزيـز " علـيكم بـابن شهاب هذا ، فإنكم لاتلقون أحدا أعلم بالسنة الماضية منه "[٧].

---

[١] انظر ص:٩٨-٩٩.

[٢] السوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر:تدريب الراوي في شرح تقريب النووي ،مرجع سابق، ص:٤٠.

[٣] الزرو:،خليل داوود:الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني للهجرة، مرجع سابق ، ص:٧٦.

[٤] القرطبي، أبي عمر يوسف ابن عبد البر النمري:جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله ،مرجع سابق،٧٦/١.

[٥] هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي المدني إمام دار الهجرة، أحد الأئمة والأعلام، كان يفتي بالمدينة توفي عام١٧٩هجرية (خلكان، أبي العباس شمي الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر:وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مرجـع سابق،٢٨٤/٣).

[٦] السوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر:تدريب الراوي في شرح تقريب النووي ، مرجع سابق، ط١، تحقيق:نظر محمد الفاريابي، مكتبة الكوثر، الرياض ، ١٤١٤هـ، ٤٨١/٢.

[٧] ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ،٣٤٤/٥٥.

وعن أبي داود الطيالسي أنه قال: وجدنا الحديث عند أربعة : الزهري ، وقتادة، والأعمش، وأبي إسحاق ، وكان الزهري أعلمهم بالإسناد "[١].

٣. علم الفقه :

الفقه: "العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية"[٢].

لقد زادت أهمية الفقه في عصر بني أمية وذلك بسبب اتساع رقعة البلاد الإسلامية ودخـول الكثيرين إلى الإسلام من أصحاب الديانات الأخرى فاحتاج المسلمون إلى الفقه لاسـتنباط الأحكام الشرعية لما يستجد من أمور في حيا م العملية.

"قد عكف المسلمون على دراسة القران الكريم ، والسنة النبوية ، وهما مصـدرا التشـريع وافنوا حيا م في تحصيل معانيها ، فمنها أخذ الفقه الذي هو مدار الأحكام الشرعية "[٣].

وقد انتشر الفقهاء من الصحابة والتابعين يجوبون مناطق العالم الإسلامي يفقّهـون النـاس ويعلمو م الأحكام ويقضون بينهم ، ولقد احتضنت الشام الكثير مـن هـؤلاء الفقهـاء خصوصا وأ ا تشتمل على الكثير من أصحاب الديانات الأخرى الذين دخلوا إلى الإسـلام وامتزجوا بثقافا م معهم فكان من أثر ذلك " أن وقع تحت أعين المسـلمين أنـواع مـن المدنيات المختلفة وأنواع من الديانات المختلفة وأنواع من الأنظمة المختلفة . كل هذا جعل المسلمين وغير المسلمين يتساءلون : ما حكم الإسلام فيها؟"[٤].

لقد تميزت الشام باحتوائها على الكثير من الصحابة الفقهاء ومن أبرز فقهاء الشـام مـن الصحابة :

- معاذ بن جبل قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم "أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل"[٥].

ومن أبرز فقهاء الشام من التابعين :

---

[١] السوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر:تدريب الراوي في شرح تقريب النووي ، مرجع سابق، ٣٧٢/١.

[٢] ________،______ :الموسوعة العربية العالمية ، مرجع سابق،–حرف الألف مادة:الإسلام-، ٥٧/٢.

[٣] نمنقاني،سامي اسماعيل:التربية والتعليم في بلاد التي تم فتحها في عهد عمر بن الخطاب ، رسـالة ماجسـتير، كليـة التربية،جامعـة أم القرى،مكة المكرمة، ص:٢٧٧.

[٤] أمين، أحمد:فجر الإسلام ، مرجع سابق، ص:٢٢٦ .

[٥] الفيروزأبادي الشيرازي، جمال الدين أبو إسحاق إبراهيم بن علي:طبقات الفقهاء ، ص:١٤، المكتبة العربية.

• " أبو إدريس الخولاني قال عنه الزهري: كان من فقهاء أهل الشام"[١] ، "شهر بن حوشب الاشعري"[٢]، "ورجاء بن حيوه قال عنه مطر: ما رأيت شاميا أفقه من رجاء بن حيوه"[٣] ،و قبيصة بن ذؤيب،و عبد الملك بن مروان و عمر بن عبد العزيز[٤].

" لقد ظهر في زمن الصحابة والتابعين من العلماء ممن كانوا يفتون برأيهم معتمدين في ذلك على الكتاب والسنة وعلى النقيض من ذلك فقد وجد منهم من كان يكره الفتيا برأيه "[٥].

وأبرز من مثل النوع الأول في الشام الإمام الزهري وأبرز من مثل النوع الثـاني في الشـام مكحول " فعن سعيد بن عبد العزيز قال : كانوا يقولون : الحديث حـديث الزهـري ، والرأي رأي مكحول "[٦].

تقول ملكة " كان ما جمعه ابن شهاب الزهري من حديث الرسول صلى الله عليه وسـلم والصحابة يكفيه مؤونة اللجوء إلى الرأي "[٧]،فقد قال عنه عمر بن عبد العزيـز " إنكـم لا تلقون أحدا أعلم بالسنة الماضية من ابن شهاب"[٨].

ومن أسباب كره الإمام الزهري للرأي " فهو خشية الاختلاف بين الأمة"[٩].

أما مكحول فقد كان يفتي مجتهدا برأيه " فقد طلب مكحول الحديث في مصـر والحجـاز والعراق والشام، وبالإضافة إلى ذلك اختلف في الكوفة طوال ستة أشهر إلى شريح القاضي لا يسأله شيئا ، بل يستمع إليه يقضي في الأحوال التي تعرض عليه. وهكذا تدرب علـى إعمال الفكر وإصدار الأحكام الشخصية"[١٠].

---

[١] الفيروزأبادي الشيرازي، جمال الدين أبو إسحاق إبراهيم بن علي:طبقات الفقهاء ، ص:٥٢.

[٢] المرجع السابق، ص:٥٢.

[٣] المرجع السابق، ص:٥٢.

[٤] ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر:إعلام الموقعين عن رب العالمين ، تحقيق: محمد محي الـدين عبدالحميـد، دار الفكر ، بيروت.

[٥] المصنف، عبدالرحمن أحمد حفظ الدين:الحركة العلمية في العصر الأموي في المشرق الإسلامي ، رسالة ماجستير، كلية الآداب ، قسـم التاريخ، شعبة التاريخ الإسلامي، جامعة صنعاء، ١٤٢١هـ ، ص:٢٠٦.

[٦] ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق، ٢١٦/٦٠.

[٧] ملكة ، أبيض : التربية والثقافة العربية – الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى ، مرجع سابق ، ص:٢٩٩.

[٨] ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق، ٣٤٤/٥٥.

[٩] الزرو:،خليل داوود:الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني للهجرة، مرجع سابق ، ص:٩٦.

[١٠] ملكة ، أبيض : التربية والثقافة العربية – الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى ، مرجع سابق ، ص:٣٠٠.

وبناء على ما تقدم نجد أن الشام اتخذت مذهبا وسطا بين مذهب الحجاز في الحديث الـتي تعتمد على السنة ، ومذهب العراق الذي يعتمد على الرأي والقياس"[١].

فقد جمعت الشام الكثير من الفقهاء الذين تتلمذوا على كان المدرستين ، وقد شهدت الشام كثيرا من الفقهاء الذين كان لهم أثر واضح في تطور الفقه الإسـلامي في ذلـك العصـر وانتعاشه وعلى رأسهم الخليفة عمر بن عبد العزيز ، فعندما تولى الخلافة أمر بنشر الفقه فقد أرسل إلى ولاته أن يأمروا الفقهاء بتعليم الناس ، فقد كتب إلى بعض ولاته " أما بعد فمر أهل الفقه والعلم من عندك فلينشروا ما علمهم الله في مجالسهم ومساجدهم"[٢].

"وتعتبر فترة حكمه على قصرها – من سنة ٩٩- ١٠١ هـ ، فترة ازدهار للفقه الاسلامي في الشام خاصة وغيرها من الأقطار الإسلامية "[٣].

وقد ارتبط تعليم الفقه بالقضاء والفتوى " لذلك كان تعليم الفقه يتم عن طريق حضـور المتعلم الس القضاء والفتوى التي تعقد في المساجد والتي لم تكن منفصلة عن مجالس التعليم بل كانت جزءا منها "[٤]، فقد كان مكحول يقول " اختلفت إلى شريح ستة أشهر أسمع مـا يقضي به "[٥]،فقد كان يكتفي بالسماع إلى أحكامه.

ولقد شهدت مساجد الشام الكثير من القضاء أمثال أبي إدريس الخولاني الذي كان علـى القضاء زمن عبد الملك بن مروان[٦].

وممن تصدر للفتيا في الشام مكحول يقول عنه سعيد بن عبد العزيز " جلس مكحول وعطاء بن أبي رباح يفتيا في الناس فكان لمكحول الفضل عليه حتى بلغا جزء الصيد ، فكان عطـاء كان أنفذ منه في ذلك "[٧]، عن سعيد قال:"لم يكن في زمان مكحول أبصر بالفتيا منه وكان لا يفتي حتى يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله هذا رأي والرأي يخطأ ويصيب"[٨].

---

[١] عبد العزيز، محمد الحسيني: الحياة العلمية في الدولة الإسلامية ، مرجع سابق، ص:١١٩.

[٢] القرطبي، أبي عمر يوسف ابن عبد البر النمري:جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله ،مرجع سابق، ١٢٤/١.

[٣] الزرو:،خليل داوود:الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني للهجرة، مرجع سابق ، ص:٩٥.

[٤] السفياني، صالحة بنت حاي بن يحى:التعليم في المساجد في القرن الأول الهجري مرجع سابق ، ص:٢٧٨.

[٥] الذهبي :سير أعلام النبلاء ، مرجع سابق ،١٦١/٥.

[٦] ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق، ١٦٥/٢٦.

[٧] المرجع السابق، ٢١٦/٦٠.

[٨]الفيروزأبادي الشيرازي، جمال الدين أبو إسحاق إبراهيم بن علي:طبقات الفقهاء ، مرجع سابق، ص:٥٣.

وكذلك الإمام الأوزاعي وهو يعد من فقهاء تابعي التابعين في الشام وأبرزهم الذي كانت له حلقة في مسجد دمشق ثم بمسجد بيروت أجاب فيها عن سبعين ألف مسـألة[١] ،وقـد وجدت بعض المصنفات لبعض فقهاء الشام في ذلك العصر أمثال :
مكحول الذي كان له كتابان: كتاب السنن في الفقه ، وكتاب المسائل في الفقه ،[٢] وكذلك وكذلك الأوزاعي كان له كتابان في الفقه هما: السنن في الفقه ، والمسائل في الفقه[٣].

---

[١] الذهبي :سير أعلام النبلاء ، مرجع سابق ،١١١/٧.
[٢] النديم، أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحق: الفهرست ، تحقيق: رضا- تجدد ، حقوق الطبع للمحقق، ص:٢٨٣.
[٣] المرجع السابق ، ص:٢٨٤.

ثانياً: العلوم التاريخية:

"بعد ظهور الإسلام بدأ الاهتمام بالتاريخ ودراسته نتيجة عوامل عدة، منها النظرة الجدية إلى الماضي، الاهتمام بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته، والعناية بأخبار الأمة ونشاط القبائل في الفتوح"[١].

١. السير و المغازي:

اهتم أهل الشام بالسير و المغازي اهتماما بالغا حتى أصبحت تتصدر بلاد المسلمين في هـذا العلم.

قال ابن عينيه " من أراد المناسك فعليه بأهل مكة، ومن أراد مواقيت الصلاة فعليـه بأهـل المدينة، ومن أراد السِيره فعليه بأهل الشام"[٢]، لأن ابن تيمية يرى أن أهل الشام يأتون بعـد أهل المدينة في هذا العلم وعلل ذلك بقوله: "فأهل المدينة أعلم ا ولأ ا كانت عندهم وأهل الشام كانوا أهل غزو وجهاد فكان لهم من العلم بالجهاد والسير ما ليس لغيرهم"[٣].

فسبب شهرة الشام بالمغازي هو أ م أهل جهاد بسبب الفتوحات والغزوات التي حصلت في بلدا م وشاركوا فيها.

وذكرت ملكة أيضا أن سبب تميز الشام في هذا ا ال "أن أهل الشام كان بعضهم يهتم قبل الإسلام بالقصص الديني اليهودي أو المسيحي، والبعض الآخر بأخبار ملوك اليمن، وكـان آخرون يهتمون بأيام العرب وأنسا م، وعندما اعتنق هؤلاء الإسلام، انصرفوا إلى تـداول الأخبار والسير المتعلقة بالإسلام كالمغازي والفتوح وسيرة النبي"[٤]، ويعتبر هذا الأمر طبيعـي لأهمية هذه الفترة في حياة الأمة الإسلامية، فالمسلم مأمور باتباع سنة المصطفى صـلى الله عليه وسلم، قال تعـالى﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾سورة الأحزاب آية رقم٢١.، فلكي يعرف المسلم سنة

---

[١] الدوري، عبد العزيز : التربية العربية الإسلامية (المؤسسات والممارسات)، مدخل تاريخي ، مرجع سابق، ١٨/١.

[٢] ابن عساكر: علي ابن حسن : ذيب تاريخ مدينة دمشق ، هذبه: عبد القادر بدران، مرجع سابق ، ٧١/١.

[٣] ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم:مقدمة في أصول التفسير، تحقيق: عـدنان زرزور ،ط١ ، دار القـرآن الكـريم، الكويـت، ١٣٩١هـ، ص:٦٠.

[٤] أبيض، ملكة : التربية والثقافة العربية – الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى ، مرجع سابق ، ص:٤٥٧.

النبي صلى الله عليه وسلم لا بد أن يعرف هديه في حياته الخاصة وفي مغازيه وفي تعامله مع أصحابه ومع المخالفين له ليتعرف على الأحكام الشرعية إذ إنّ سيرته منهج عملي وسوابق تاريخيه في كيفية تطبيق التشريع الإسلامي، وفي منهج الدعوة إلى الله، وطريقة بناء المجتمع الإسلامي وتأسيس الدولة الإسلامية، ولتحقيق هذه الحاجة بدأ العمل في جمع أخبار السيرة النبوية و المغازي وتدوينها"[١].

ومن الذين أثروا تأثيرا كبيرا في الناحية التاريخية من سيرة و مغازي في هذه الفترة في الشام الإمام الزهري "فإنه حجازي وشامي في نفس الوقت، وهذان البلدان قد حازا السبق في مجال المغازي والسير، وقد جمع كل ما يستطيع من علم أهل المدينة وقدم به إلى الشام، وكان يجمع أقوالاً متعددة للحوادث التي جرت زمن الرسول ويدون هذه الأقوال على اختلافها"[٢]، وكذلك أبو إدريس الخولاني فلقد اشتهر بشدة في حفظه وإتقانه حتى كأن السامع له يظن أنه شهد هذه المغازي، فقد روي عن خالد بن يزيد بن أبي مالك[3] عن أبيه قال: "كنا نجلس إلى أبي إدريس الخولاني فتحدث يوما عن بعض مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استوعب الغزاة، فقال له رجل من ناحية المجلس: أحضرت هذه الغزوة؟ قال. فقال: لا، فقال الرجل: لقد حضرتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولأنت أحفظ لها مني"[٤]

ومن اشتهر أيضا بالمغازي الوليد بن مسلم "فقد قيل لأبي زرعة الرازي: الوليد أفقه أم وكيع؟ فقال: الوليد بأمر المغازي، ووكيع بحديث العراقيين"[٥].

٢. علم الأنساب والأخبار

لقد اهتم المسلمون بعلم الأنساب والأخبار فقد كان موجودا قبل الإسلام ولما جاء الإسلام حث على طلب هذه العلوم ومعرفتها "فقد كانت وراء تعلّمه دوافع شرعية مثل أحكام

---

[١] السلمي،محمد صامل العلياني:داراسات منهجية – منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، ط١،دار طيبة للنشر، الرياض، ١٤٠٦هـ ، ص:٢٧٧– ٢٧٨.

[٢] الزرو،،خليل داوود:الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني للهجرة، مرجع سابق ، ص:٢٠٢.

[3] يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك هانئ الهمداني الدمشقي، ولد سنة٦٠، كان أحد الفقهاء مع مكحول، قضى لهشام بن عبد الملك، وقد ندبه عمر بن عبد العزيز ليفقه بني نمير ويقرأهم، مات سنة١٣٠هجرية (الذهبي :سير أعلام النبلاء ، مرجع سابق ،٤٣٧/٣).

[٤] ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق، ١٦٣/٢٦.

[٥] الذهبي :سير أعلام النبلاء ، مرجع سابق ،٢١٤/٩.

المواريث والزكاة، ومعرفة الأرحام والأقارب لغرض برهم وصلتهم، وحاجات عملية عند ما دونت الدواوين وخاصة ديوان الجند وديوان العطاء فقد كان توزيع الجند في الجهاد والفتوح تتبع التوزيع القبلي"[١].

ولقد اهتم المسلمون بعلم الأنساب لمعرفة نسب الرسول صلى الله عليه وسلم ثم أقرب الناس إليه للعطاء ولقد ضمت الشام الكثير ممن اشتهروا بهذا الفن أمثال الإمام الزهري فقد قال عنه الليث بن سعد "وإن حدث عن الأنساب قلت: لا يحسن إلا هذا"[٢].

ولقد اهتم خلفاء بني أمية بأنساب العرب وأخبارها ويظهر ذلك في استقدامهم للكثير من العلماء من خارج الشام إلى الشام ليسمعوا منهم وليعلموا أبناءهم أمثال دغفل بن حنظله فقد روي "أنه وفد على معاوية بن أبي سفيان فسأله عن أنساب الناس ثم أمره أن يعلم أبناءه"[٣].

فلقد جعل خلفاء بني أمية تعليم هذا الفن منهجا متبعا في تأديب وتعليم أبنائهم فقد أوصى هشام بن عبد الملك مؤدب ابنه سليمان الكلبي بذلك حيث قال له: "خذ بعلم نسبه في العرب حتى لا يخفى عليه منه قليلٍ ولا كثيرٍ"[٤].

وممن اشتهر بمعرفة أيام العرب وأخبار عبيد بن شرية الجرهمي[٥]، "وقد وفد على معاوية بن سفيان في الشام، فسأله عن أخبار المتقدمة ومن الملوك والعرب والعجم وسبب تبليل الألسنة وأمر افتراق الناس في البلاد، فأجابه بما أمر من الكتب كتاب الأمثال، كتاب الملوك وأخبار الماضين"[٦].

---

[١] السلمي،محمد صامل العلياني:دراسات منهجية – منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، مرجع سابق ، ص:٢٧٨.

[٢] ابن عساكر ، علي ابن الحسن :تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق،٤٣٧/٨.

[٣] ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق، ٢٩٢/١٧.

[٤] السجستاني،أبي الحاتم:المعمرون والوصايا ، تحقيق:عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦١م، ص:١٣٨.

[٥] عبيد بن شريه الجرهمي أول من صنف الكتب من العرب، من الحكماء الخطباء في الجاهلية، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم واستحضره معاوية من صنعاء إلى دمشق عاش إلى أيام عبد الملك بن مروان توفي سنة٦٧هجرية (الزركلي، خير الدين: الأعلام ،مرجع سابق، ١٨٩/٤).

[٦] ابن النديم، أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحق: الفهرست ، مرجع سابق ، ص:١٠٢.

"وكذلك علاقة بن كرشم الكلابي من بني عامر بن كلاب، كان عارفـاً بأيـام العـرب وأحاديثها وهو أحد من أخذت عنه المآثر وقد أدخله يزيد بن معاوية بين سماره وله كتـاب الأمثال"[١].

"ولقد رحل اهتمام بعض الخلفاء الأمويين المتأخرين بعلم الأخبار والأنساب، بأن يقومـوا بجمع تلك العلوم في ديوان خاص ا، للاحتفاظ بذلك للأجيال القادمة، لتوارثه والاستفادة منه فقد جمع الوليد بن يزيد بن عبد الملك ديوان العرب وأشعارها وأخبارها وأنسا ا"[٢].

[١] ابن النديم، أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحق: الفهرست ، مرجع سابق ، ص:١٠٢.
[٢] المرجع السابق ، ص:١٠٣.

ثالثاً: العلوم اللغوية

وتشتمل على علم النحو وعلم الشعر والأدب وعلم الكتابة.

١. علم النحو واللغة:

زادت الحاجة إلى تعلّم العربية في المناطق المفتوحة مثل الشام التي أخذ يظهر فيهـا اللحـن نتيجة لاختلاط العرب فيها بالشعوب الأخرى.

"فحتم على المسلمين ضرورة تعلم الإعراب و لإصلاح ما اختلّ و فسد من كلام العـرب نتيجة الاختلاط المتواصل في الحياة المعيشية بين العرب و غيرهم ، و دخول الكثير منهم بين الحين و الآخر في الدين الإسلامي و ما يترتب على ذلك من تعليمهم الإسلام بلغته الـذي نزل ا و هي اللغة العربية "[1].

ففهم القرآن الكريم ، و الحديث النبوي الشريف لا يقوم إلا بمعرفة ألفاظها التي جاءت ا و هي اللغة العربية الفصيحة فقد كان المعلمون يلّحون على سلامة اللغة أثناء تدريسها

" قال الوليد بن مسلم : سمعت الأوزاعي يقول : " أعربوا الحديث فإن القوم كانوا عرباً .

و قد قيل للأوزاعي : يا أبا عمرو : الرجل يسمع الحديث عن النبي صلى الله عليه و سـلم فيه لحن يقيمه على عربيته ؟ قال : نعم ، إن رسول الله صلى الله عليه و سلم لا يـتكلم إلا بعربي .

قال الوليد بن مسلم : سمعت الأوزاعي يقول : لا بـأس بإصـلاح اللحـن و الخطـأ في الحديث"[2].

و كانت سلامة اللغة و فهمها تعلي من م لة صاحبها في العلم و هذا مادفع الخليفة عبـد الملك بن مروان على تشجيع الإمام الزهري و مكافأته

"فعن الزهري قال : دخلت على عبد الملك فانتسبت فقال : قرأت القرآن ، قلت : نعـم ، قال : بإعرابه و ماينبغي فيه من وجوهه و علله ؟ قلت : نعم ، فأمر لي بجائزة"[3].

---

[1] المصنف، عبدالرحمن أحمد حفظ الدين:الحركة العلمية في العصر الأموي في المشرق الإسلامي ، مرجع سابق، ص:٢١٢.

[2] الذهبي :سير أعلام النبلاء ، مرجع سابق ،١١٥/٧.

[3] ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ،٣٠٢/٥٥.

فلقد اهتم خلفاء بني أمية بالنحو و كانوا يكرهون اللحن في القول و يعدونه عيباً يقدح في م لة صاحبها، كيف لا و هي دولة عربية خالصة متعصبة للعرب ، فقد قال عبـد الملـك لروح بن زنباع[1] :

"يا أبا قزعه ، قد غلبني الوليد باللحن ، و سأظهر العشية كآبة ، فسألني عنها و دعني و الوليد ، فلما أُذن بالعشاء أظهر كآبة و عنـده الوليد و سليمان و روح ، فقال له روح : ماهذه الكآبة يا أمير المؤمنين، لا يسوءك الله و لا يريك مكروها ، قال : ذكرت مافي عنقي من هـذه الأمة ، و إلى من أصير أمرها بعدي، فقال له روح : يغفر الله لك يا أمير المؤمنين ، فأين أنت عن الوليد سيد شباب العرب ، قال : يا أبا قزعه ، لا ينبغي أن يلي العرب إلا من يتكلّم بكلامها ، فقام الوليد فدخل م له و جمع إليه أصحاب النحو"[2].

يظهر من هذه الحادثة حرص عبد الملك تعليم ولده النحو بطريقة غير مباشرة فقـد لفـت انتباهه على ضرورة هذا العلم فشجعه على طلبها.

فقد كان خلفاء بني أمية يجلبون لأبنائهم المؤدبين لتعليمهم النحو فقد أمر معاويـة بـن أبي سفيان دغفل بن حنظله بذلك فقال له : "اذهب إلى يزيد فعلمه العربية"[3].

و كذلك عبد الملك بن مروان اهتم بتعليم أبنائه اللغة العربية فقد قال لمؤدب أبنائه إسماعيل بن أبي المهاجر ، "يا إسماعيل علّم ولدي ، فإني معطيك أو مثيبك ، فقال إسماعيل : يا أمـير المؤمنين و كيف ذلك ؟ و حدثتني أم الدرداء عن أبي الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : "من أخذ على تعليم القرآن قوسا قلده الله قوساً من نار يوم القيامة" قال عبـد الملك : يا إسماعيل ، إني لا أعطيك أو أثيبك على القرآن ، إنما أعطيك أو أثيبـك علـى النحو"[4].

---

[1] روح بن زنباع بن روح بن سلامة، الأمير الشريف، أبو زرعة الجُذَامي الفلسطيني سيد قومه، وكان شبه الوزير للخليفة عبد الملك روى عن أبيه وعن تميم الداري وعبادة بن الصامت، له دار بدمشق ولي جند فلسطين ليزيد توفي سنة٨٤(الذهبي :سير أعلام النبلاء ، مرجـع سابق ،٢٥٢/٤).

[2] ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ،١٦٨/٦٣.

[3] المرجع السابق ،٢٩٢/١٧.

[4] المرجع السابق ،٤٣٧/٨.

فلقد تعلّم أهل الشام اللغة العربية منذ دخول الإسلام فيها و لاسيما و أنه يوجد في الشـام الكثير من العرب الذين سكنوها منذ القدم.

يقول : أحمد أمين " لما فتح الإسلام هذه البلاد و نشر لغته و تعاليمه فيها ، أخـذ عـرب الشام يتعلمون لغة قريش ، و بدأ أهل الشام أنفسهم يتعلمو ا و يتكلمون ا مـع لغتـهم الآرامية أو اليونانية "[١].

إذاً فقد تميزت الشام بوجود أكثرية عربية.

" مما جعلت تعلم العربية يعتمد بالدرجة الأولى على التنشئة العائلية و الاختلاط بالأوسـاط العظيمة من جهة ، و على دراسة القرآن من جهة أخرى"[٢].

٢. الشعر والأدب:

"يشغل الشعر بالنسبة لعلوم العربية وآدا ا نفس المكانة التي يشغلها الحديث في مجال العلـوم الدينية ، فقد ساعد اهتمام الأمويين بالشعر على انصراف الكثيرين إلى قول الشعر وحفظـه وروايته"[٣].

"فقد استرد الشعر قيمته في العصر الأموي لعدة أسباب :

أ. تشجيع الخلفاء والأمراء للشعر والشعراء لأغراض سياسية وقومية وإغـداق الأمـوال علـيهم وتقريبهم

ب. الـ اع الحربي بين العلويين والأمويين والخوارج والزبيريين فعمد كل فريق إلى الشعر يؤيد دعواه ويجلب له الأنصار ويهاجم خصومه ويفند مزاعمه فنشأ ، الشعر السياسي.

ج. الترف"[٤]، والذي كان سببه امتلاء خزائن الدولـة بـالخيرات نتيجـة الفتوحـات الإسلامية.

كل هذه الأمور وغيرها ساعدت على تطور الشعر وازدهاره في عصر بني أمية، ومن أشهر شعراء الشام عدي بن الرقاع[١] والطرماح بن حكيم[٢] والوليد بن يزيد.

---

[١] أمين، أحمد:فجر الإسلام ، مرجع سابق، ص:١٧٥.

[٢] أبيض، ملكة : التربية والثقافة العربية – الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى ، مرجع سابق ، ص:٤٥٥.

[٣] أبيض، ملكة ، مرجع سابق ، ص:٤٥٤.

[٤] الرفاعي، أنور:الإسلام في حضارته ونظمه، دار الفكر، دمشق،١٤٢٢هـ ، ص:٥٧٥.

إلا أن هناك رأي أخر يرى عدم اهتمام الشام بالشعر وهذا ما ذهب إليه شـوقي ضـيف بقوله: "أن الشعر في بلاد الشام خلال عصر بني أمية لا يقاس بما نظم في خرسان والعـراق والحجاز وأن هذا التطور والازدهار في الشعر كان في غير الشام"[٣].

وهذا أيضا ما أشار إليه الزيات وعلله بقوله:

" أن الشام كان بنجوة من الثورات النفسية والأزمات السياسية، لخضـوعه لبني أمية وإخلاصه لهم وانصرافه إلى تأديبهم، فلا هـو مضـطرب العواطـف كالحجاز، ولا هو مضطرب الأهواء كالعراق وقد أمن الخلفاء جانبهم فتركـوه لشأنه دون أن يثيروا عصبيته لخلاف، أو يهيجوا طماعيته لمغنم، فبقي الشعر من جراء ذلك راكدا في نفوس أهله لا يبعثه باعث ولا يتوفر على دراسته وروايتـه باحث. وأكثر ما كان فيه من ذلك إنما كان يفد إليه من العراق والحجـاز مـع الشعراء الذين يجذ م سخاء القصر أو دهاؤه، والأدباء الذين يطلبهم الخلفاء من البصرة كلما أعضلتهم مسألة في اللغة والنحو والأدب"[٤].

ويعني من ذلك قوله أن الشعر في الشام اتخذ صورتين:

الأولى:أن يفد الشعراء بشعرهم على دمشق ينشدونه الخلفاء[٥]، فإن الخلفاء الأمـويين قـد جعلوا الشعر في خدمة سياستهم وشجعوا الشعراء وأجزلوا لهم العطاء، ومن شعراء التكسب والعطاء: الأخطل والفرزدق وجرير[*].

الثانية:"أن تحدث في الشام حوادث تقتضي نظم الشعر مثل الحوادث التي نشبت بين القبائل القيسية وبين القبائل اليمنية في الشام"[٦].

---

[١] هو عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع، من عامله، شاعر كبير من أهل دمشق، يكنى أبا داوود كان معاصرا لجرير مهاجيا لـه مقدما عند بني أمية مادحا لهم، مات بدمشق عام٩٥هجرية(الزركلي، خير الدين: الأعلام ،مرجع سابق، ٢٣١/٤).

[٢] الطرماح بن حكيم بن الحكم، من طيء شاعر إسلامي فحل ولد ونشأ في الشام، كان هجاءًا معاصرا للكميت صديقًا له، كان قحطانيا عصبيا له، توفي سنة١٢٥هجرية (الزركلي، خير الدين: الأعلام ،مرجع سابق، ٢٢٥/٣).

[٣] ضيف، شوقي:التطور والتجديد في الشعر الأموي ، ط٨، دار المعارف، القاهرة، ت:د، ص:٤٧.

[٤] الزيات، أحمد حسن: تاريخ الأدب العربي ،ط٢٦، دار الثقافة ، بيروت، ص:١٠٩.

[٥] ضيف، شوقي:التطور والتجديد في الشعر الأموي ،مرجع سابق، ص:٤٧.

[*] راجع قصور الخلفاء ، في الفصل الثالث (مؤسسات التعليم في الشام في العصر الأموي).

[٦] ضيف، شوقي:التطور والتجديد في الشعر الأموي ، مرجع سابق، ص:٤٧.

ومما يؤيد ذلك ما روي "عن معاوية بن إبراهيم قال: رأيتهما[١] في مسجد دمشق ، والفرزدق في عصابة من خندق ، والناس عنق على جرير ، قيس وموالي بني أمية وهم يسلّمون عليه يا أبا حرزه كيف كنت في مسيرك و وذلك لمديحه قيساً في العجم:

فيجمعنا والغر أولاد سارة   أب لا نبالي بعده من تعذرا"[٢].

ومن شعراء الأحزاب في ذلك العصر:

أ. عمران بن حطان[٣]، من شعراء الخوارج.
ب. الكميت بن زيد الأسدي[٤]، من شعراء الشيعة.
ج. عبيد الله بن قيس الرقيات[٥]، من موالي الزبير.[٦]

٣. الكتابة:

يقول القلقشندي في تعريفه للكتابة:

"صناعة روحانية تظهر بآلة جثمانية دالة على المراد بتوسط نظمها، وقد فسر معنى الروحانية فيها بالألفاظ التي يتخللها الكاتب في أوهامه ويصور منه ضم بعضها إلى بعض صورة باطنة قائمة في نفسه. والجثمانية بالخط الذي يخطه القلم وتقيد به تلك الصورة وتصير بعد أن كانت صورة معقولة بطانة صورة محسوسة ظاهرة، وفسر الآلة بالقلم"[٧].

---

[١] أي جرير والفرزدق

[٢] ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ،٦٤/١١.

[٣] عمران بن حطان بن ظبيان السدودي الشيباني الوائلي، وهو من الصفرية خطيبهم وشاعرهم من أهل البصرة، طلبه الحجاج، فهرب إلى الشام ، فطلبه عبد الملك بن مروان، فرحل إلى عمان ، فكتب الحجاج إلى أهلها بالقبض عليه، فلجأ إلى قوم من الأسد، فمات عندهم ، وهو القائل: حتى متى لا نرى عدلاً نعيش به   ولا نرى لدعاة الحق أعوانا (الزركلي، خير الدين: الأعلام ، مرجع سابق ، ٧٠/٥).

[٤] هو الكميت بن زيد بن خنيس الأسدي، من أهل الكوفة اشتهر في العصر الأموي، وكان عالمًا بآداب العرب ولغا ا وأخبارها وأنسا ا، وأنسا ا، منحازا إلى بني هاشم، كثير المدح لهم، متعصبا للمضرية على القحطانية وأشهر شعره، الهاشميات وهي عدة قصائد في مدح الهاشميين (الزركلي، خير الدين: الأعلام ، مرجع سابق ، ٢٣٣/٥).

[٥] عبيد الله بن قيس بن شريح بن مالك من بني عامر بن لؤي، شاعر قريش في العصر الأموي، كان مقيما في المدينة، وخرج مع مصعب بن الزبير على عبد الملك بن مروان، ثم انصرف إلى الكوفة بعد مقتل ابني الزبير مصعب وعبد الله، فأقام سنة وقصد الشام فلجأ إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فسأل عبد الملك في أمره فأمنه، فأقام إلى أن توفي (الزركلي، خير الدين: الأعلام ، مرجع سابق ،١٩٦/٤).

[٦] ______،______: الموجز في الأدب العربي وتاريخ، (وضع لجنة من الأساتذة بالأقطار العربية) ،دار المعارف، لبنان،١٩٦٢م،ص:٩٣.

[٧] القلقشندي، أبي العباس أحمد:صبح الأعشى ، المطبعة الأميرية ، القاهرة، ١٣٣١هـ ، ٥١/١.

ولقد اهتم المسلمون بهذا الفن في ذلك العصر لعدة أسباب[١]:

أ. ضبط أحوال الناس، كمناشير الجند، وتواقيع العمال، وإدارات أرباب الصلات، في سائر الأعمال.

ب. رسم المصحف الكريم الموجود بين الدفتين في أيدي الناس، ولولا ذلك لاختلف فيه ودخل الغلط وتداخل الوهم قلوب الناس.

هذا ولقد كان في الشام كتاتيب لتعليم الكتابة لأبناء المسلمين فقد روي عن أم الدرداء أنها كانت تعلم الصبيان الكتابة عن طريق الحكم والأمثال[٢].

ومما ساعد على تطور الكتابة في الشام في العصر الأموي ظهور ديوان الإنشاء والرسائل والذي أوجد نوعا من النثر لم يكن للعرب به عهد، وهذا ما يسمى بالنثر الفني، ويقصدون به تلك الرسائل التي كانت تحرر باسم الخليفة وتصدر إلى ولاته وعماله في الأقاليم.

وقد بدأ هذا النوع من النثر في هذا العصر ونما، حتى ظهر في أخر عهد الدولة الأموية عبد الحميد الكاتب[٣] الذي يعد بحق مؤسس الكتابة الفنية وواضع أصولها وقواعدها.

"فقد كانت الكتابة قبل عبد الحميد حديثًا مكتوبا لا ترجع إلى نظام ولا تحور إلى فن ولا تعد في الصناعات الشريفة، فلما تقلدها كانت الحال داعية والنفوس مهيأة إلى فن الكتابة جديد"[٤]، ومما يدل على ذلك رسالته المشهورة والتي أوصى فيها معاشر الكتاب بعدة وصايا وصايا جاء منها "تنافسوا يا معشر الكتاب في صنوف الآداب وتفقهوا في الدين وابدءوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض، ثم العربية فإنها ثقاف ألسنتكم، ثم أجيدوا الخط فإنه حلية كتبكم، وارووا الأشعار واعرفوا غريبها ومعانيها، وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها، فإن ذلك معين لكم على ما تسمو إليه هممكم......"[٥]، فلقد اشتملت هذه الرسالة على عدة أمور يجب أن يتحلى بها الكاتب وهي المعرفة التامة بعلوم الدين من قرآن

---

[١] النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرق في فنون الأدب، مطابع كستا توماس وشركاه، القاهرة،ت:د، ٢/٧.

[٢] ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ،تراجم النساء مرجع سابق ،ص:٤٢٢.

[٣] عبد الحميد بن يحى بن سعد أبو يحى الكاتب، كان كاتبا لمروان بن محمد وهو صاحب الرسائل والبلاغات، مات سنة ١٣٤هـ في زمن زمن العباسين (ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق ،١٦٣/٢٦).

[٤] الزياد، أحمد حسن: تاريخ الأدب العربي ، مرجع سابق، ص:١٩٨.

[٥] صفوت، أحمد زكي:جمهرة رسائل العرب في العصور العربية الزاهرة ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ٥٣٥/٢.

وفقه وفرائض ويكون بدراية تامة بعلوم اللغة وأن يحسن الخط في الكتابة، ويكون على دراية بالأشعار ومعانيها.

ولقد تطور هذا الفن ونما في عصر بني أمية، ومن أشهر كتاب الشام: عبد الحميد بن يحي[١]، الزبير بن المنذر[٢]، وأبو العلاء[٣].

ولكي تكتمل الكتابة لابد أن يتوفر لها أدوات، ومن الأدوات التي كانت تستخدم في ذلك الزمن القلم، والمحبرة وهي ضرورية لعملية الكتابة فقد روي عن الإمام الزهري قوله "من خرج من بيته بلا محبره فقد نوى الصدقة من نيته"[٤]، والمداد وسمي بذلك لأنه يمد القلم أي يعينه على الكتابة[٥]، وكانوا يكتبون على الألواح والرقاع والعسب[٦]، ويدل على ذلك قول الزهري "(قُبض الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن في العسب) وأجمع رأي الصحابة رضي الله عنهم على كتابة القرآن في الرق لطول بقائه، ولأنه الموجود عندهم حينئذ، وبقي الناس على ذلك إلى أن ولي الرشيد الخلافة"[٧].

وقد أشار عبد ربه بن سليمان باستخدام الألواح بالكتابة بقوله "كتبت لي أم الدرداء في لوحي فيما كانت تعلمني الكتابة[٨].

فيدل ذلك على أن الكتابة على الألواح كانت مشهورة في ذلك العصر.

---

[١] أبو غالب عبد الحميد بن يحي بن سعد، مولى بني عامر بن لؤي بن غالب الكاتب البليغ المشهور، وبه يضرب المثل في البلاغة، وكان في الكتابة في كل فن من العلم والأدب، وهو من أهل الشام، وكان أول معلم صبية يتنقل في البلدان (خلكان، أبي العباس شمي الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر:وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مرجع سابق، ٣٩٤/٢).

[٢] هو الزبير بن المنذر بن عمرو كاتب الوليد بن يزيد (ابن عساكر: علي ابن حسن : تهذيب تاريخ مدينة دمشق ، هذبه: عبد القادر بدران، مرجع سابق ، ٣٧١/٥).

[٣] سالم بن عبد الله ويقال أبو العلاء، مولى هشام بن عبد الملك وكاتبه، كان على ديوان الرسائل لهشام وللوليد بن يزيد، م له بدمشق في سوق أم حكيم، كان أستاذ عبد الحميد بن يحي في الكتابة (ابن عساكر: علي ابن حسن : تهذيب تاريخ مدينة دمشق ، هذبه: عبد القادر بدران، مرجع سابق ، ٥٧/٦).

[٤] السمعاني ، ابي سعيد عبد الكريم بن محمد : أدب الإملاء والإستملاء ،مرجع سابق، ص:١٥٥.

[٥] القلقشندي، أبي العباس أحمد:صبح الأعشى ، مرجع سابق، ٤٥٨/٢.

[٦] الجريد من النخل (الفيروزابادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب : القاموس المحيط ، مرجع سابق ،١٠٤/١).

[٧] القلقشندي، أبي العباس أحمد:صبح الأعشى ، مرجغ سابق، ٤٧٥/٢.

[٨] ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ،تراجم النساء مرجع سابق ،ص:٤٢٨.

وهذا أيضا يظهر لنا من خلال قول أبو الزناد حيث قال: "كنا نطوف مع الزهري على العلماء ومعه الألواح والصحف يكتب كلما سمع"[1]، فقد استخدم الإمام الزهري الألواح والصحف للكتابة.

---

[1] الذهبي، محمد بن أحمد: تذكرة الحفاظ ، مرجع سابق، ١٠٣/١.

رابعًا: العلوم العقلية

وهي العلوم التي تعتمد على التجربة، وإقامة البراهين والأدلة العقلية، مع صحتها مثل علـم الطب، وعلم الكيمياء، وعلم الفلك، وعلم الحساب، وعلم الجغرافيا، وعلم الكلام، وعلـم الهندسة المعمارية.

١. علم الطب:

يعتبر الطب من أهم العلوم الدنيوية وذلك لحاجة الإنسان إليه فقد حث الإسلام على طلب كل علم فيه صلاح للإسلام والمسلمين.

وقد عرف ابن خلدون الطب بقوله : "هي صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية بعد أن يبين المـرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها"[١].

ولأهمية الطب اهتم المسلمون به وزاد اهتمامهم به في العصر الأموي ويرجع ذلك بسـبب الفتوحات الإسلامية واختلاط المسلمين بغيرهم من اليهود والنصارى ممن كان لهم السبق في هذا ا ال فأخذوا عنهم وترجموا كتبهم واستعانوا م.

ولقد شجع الخلفاء الأطباء على الحضور لدمشق لأ ا عاصمة الدولة ومقر الخلافة وأغـدقوا عليهم الأموال لترجمة المؤلفات الطبية إلى اللغة العربية وكلفّوهم مزاولة مهنة الطـب فيهـا واتخذوا بعضهم أطباء لهم ،"فقد كان ابن أثال طبيب معاوية بن أبي سفيان وقد كان طبيباً متقدما من الأطباء المتميزين في دمشق ، نصراني المذهب وقد اصطفاه معاوية بن أبي سفيان لنفسه وأحسن إليه وكان كثير المحادثة معه ليلاً و اراً وكان ابن أثال خبيرا بالأدوية المفردة والمركبة "[٢].

وكذلك "أبو الحكم كان طبيبا نصرانيا عالما بأنواع العلاج والأدوية ، وكان يستطّبه معاوية بن أبي سفيان ، وعمر أبو الحكم هذا عمرا طويلا حتى تجاوز المائة سنة، وأنه كان عند عبد

---

[١] ابن خلدون،عبد الرحمن بن محمد:تاريخ ابن خلدون – العبر وديوان المبدأ والخبر تحقيق: أبو صهيب الكرمي،مرجع سابق، ص:٢٥٩.

[٢] ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي:عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ط١، المطبعة الوهبية، ١٣٩٩هـ ،١/١١٦.

الملك بن مروان في علته التي مات بها وأخبره إنه متى شرب الماء مات حتى تبرأ علته فأحتمى عن الماء يومين وبعض الثالث ثم دعاء بالماء فشربه فقضى من ساعته"[١].

ولم يقف المسلمون عند هذا الحد من الاستعانة بالأطباء غير المسلمين من غير العرب في علاجهم بل عملوا على تعلّم هذا الفن حتى يستطيعوا أن يبدعوا فيه ، فقاموا بترجمة كتب الطب إلى العربية وكان أول من بدأ بترجمة المؤلفات اليونانية إلى العربية خالد بن يزيد[٢].

ولقد تطور هذا العلم وازدهر في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز وذلك بنقله تدريس الطب من الإسكندرية إلى أنطاكية وحران وذلك على يد الطبيب عبدالملك بن اجبير والذي كان يدرس الطب في الإسكندرية وقد أسلم على يد عمر بن عبد العزيز وكان عمر يستطيب ابن ايجر[٣] ويعتمد عليه في صناعة الطب[٤] .

وقد قام الخليفة عمر بن عبد العزيز أيضا "بإخراج كتاب (أهرن بن أعين) من خزائن الكتب الذي ترجمه ماسرجويه[٥] الى العربية فوضعه في مصلاه واستخار الله في إخراجه للمسلمين للانتفاع به ، فلما تم له ذلك أربعين صباحا أخرجه إلى الناس وبثه في أيديهم "[٦].

وفعلُ عمر بن عبدالعزيز هذا يدل على حرصه رضي الله عنه على تعليم المسلمين ما ينفعهم، شرط أن لا يكون في هذا العلم ما يخالف عقيدتهم خصوصا وان هذا العلم وجد عند غير المسلمين .

"ولم يقف المسلمون عند هذا الحد بل قاموا ببناء المستشفيات فقد بني أول بيمارستان في عهد الوليد بن عبد الملك"[١].

---

[١] ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي:عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، مرجع سابق، ١١٩/١.

[٢] خير الله، أمير أسعد:الطب العربي ، المطبعة الأميريكانية، بيروت، ١٩٤٦م، ص:٣١.

[٣] عبد الملك بن أيجر الكناني، كان طبيبا عالمًا ماهرا وكان في أول أمره مقيما في الإسكندرية لأنه كان المتولي بالتدريس بها، أسلم على يد عمر بن عبد العزيز قبل أن يصبح خليفة للمسلمين، فلما أفضت إلى عمر الخلافة نقل التدريس إلى أنطاكية وحران (ابن أصيبعة، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي:عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، مرجع سابق، ١١٦/١).

[٤] ابن أصيبعة، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي:عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، مرجع سابق، ١١٩/١.

[٥] كان يهودي المذهب سريانيا، وكان في أيام بني أمية، تولى تسير كتاب أهرن بن أعين إلى العربية.

[٦] ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي:عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، مرجع سابق، ١٦٣/١.

وكان الهدف منه علاج المرضى الذين يعانون من مختلف الأمراض آنذاك وتقديم المساعدة لهم[1].

٢. علم الكيمياء:

كان علم الكيمياء ملاصقًا بعلم الطب آنذاك "فالكيمياء كان يمثل صاحب أدوية لأنه كان يحضر الطبيب أنواع العقاقير التي يحتاجها الطبيب"[2]، وكانت تعرف بعلم الصنعة، وأول من اشتهر بهذا الفن بالشام من المسلمين خالد بن يزيد بن معاوية، "فقد ارتبط علم الكيمياء منذ القرن الأول هجري بهذا العالم الذي عاش في الشام"[3]، فقد كان هذا العالم "من أعلم قريش بفنون العلم، وله كلام في صنعة الكيمياء والطب، كان بصيرا بهذين العلمين متقنا لهما، وله رسائل وكتب دالة على معرفته وبراعته"[4].

ومن كتبه "كتاب الحرارات، كتاب الصحيفة الكبير، كتاب الصحيفة الصغير، كتاب وصيته إلى ابنه في الصنعة"[5]، ويقال أنه أخذ الصنعة عن رجل من الرهبان يقال له مريانس[6].

ومن الإنجازات التي قام بها تحلية مياه البحر وكان ذلك في عصر عبد الملك بن مروان، "فقد تذاكروا الماء بحضرة عبد الملك بن مروان فقال خالد: منه ما يكون من السماء، ومنه ما يستقيه الغيم من البحر فيعذبه الرعد والبرق، فأما ما يكون من البحر فلا يكون له نبات، وأما النبات فإنه ما يكون من ماء السماء، ثم قال: إن شئتم أعذبت لكم ماء البحر فأتى بقلال من ماء ثم وصف كيف يصنع به حتى يعذب"[7]، ولقد علل خالد سبب تعلمه لهذه العلوم وهو خدمة الإسلام والمسلمين وحتى لا يكونوا عالة على غيرهم من الأمم فقد قيل له:"لقد فعلت أكثر شغلك في طلب الصنعة، فقال خالد: ما أطلب بذاك إلا أن أغني أصحابي وأخواني، إني طمعت في الخلافة فاختزلت دوني، فلم أجد منها عوضا إلا أن أبلغ

---

[1] خير الله، أمير أسعد:الطب العربي ، مرجع سابق، ص:٣١.
[2] المصنف، عبدالرحمن أحمد حفظ الدين:الحركة العلمية في العصر الأموي في المشرق الإسلامي ، مرجع سابق، ص:٢٣٩.
[3] الزرو:،خليل داوود:الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني للهجرة، مرجع سابق ، ص:١٧٧.
[4] ابن خلكان، أبي العباس شمي الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر:وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،٤/٢.
[5] ابن النديم، أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحق: الفهرست ، مرجع سابق ، ص:٤١٩.
[6] ابن خلكان، أبي العباس شمي الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر:وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مرجع سابق، ٤/٢.
[7] ابن عساكر: علي ابن حسن : تهذيب تاريخ مدينة دمشق ، هذبه: عبد القادر بدران، مرجع سابق ، ١٢٢/٥-١٢٣.

آخر هذه الصناعة، فلا أحوج أحدا عرفني يوما أو عرفته، إلى أن يقف بباب سلطان رغبة أو رهبة"[١].

٣. علم الحساب:

عرف المسلمون علم الحساب بأنه "علم يتعرف منه كيفية مزاولـة الأعـداد، لاسـتخراج المجهولات الحسابية من الجمع والتفريق، والتناسب والضرب والقسمة"[٢].

ويعد علم الحساب من العلوم الضرورية في حياة الإنسان لذلك عده (الغزالي) من العلـوم المحمودة وذلك لأنه "علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا"[٣]، فهو ضـروري في ضـبط المعاملات وحفظ الأموال، وقضاء الديون، وقسمة الزكاة بين الشركاء وغيرها ويحتاج إليه في علوم الفلك، قال تعالى ﴿ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَ ﴾(سورة يـونس، آية٥)، وقيل يحتاج إليه في جميع العلوم[٤] هذا بالإضافة إلى أهمية تقسيم الأموال على الورثة، فهو علم ملازم للفرائض.

ولقد ساعد على تطور هذا العلم وازدهاره في عصر بني أمية تعـدد الـدواوين في الدولـة واحتياج بعضها إلى الحساب في إدارة شؤونها مثل ديوان الخراج، وديوان الجنـد، وذلـك بإحصاء كل ما يدخل إليها ومن ثم تقسيمها على مستحقيها.

ويظهر لنا ذلك من خلال رسالة عبد الحميد الكاتب الذي كان على ديوان الرسائل مخاطبا معشر الكتاب في زمانه بقوله: "تنافسوا يا معشر الكتاب في صـنوف الآداب وتفقهـوا في الدين.......... ولا تضيعوا النظر في الحساب فإنه قوام كتاب الخراج"[5]، فقد أشار عبـد الحميد إلى الأمور التي يجب أن يتحلى بها الكتاب الذين يكونون على ديوان الرسائل ونهاهم عن تضييع أوقاتهم في النظر في علم الحساب وقد بين السبب في ذلك وهو أن هـذا العلـم

---

[١] ابن النديم، أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحق: الفهرست ، مرجع سابق ، ص:٤١٩.

[٢] زاده، طاش كبرى: مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، مرجع سابق، ٣٦٨/١.

[٣] الغزالي ، أبي حامد : إحياء علوم الدين ،مرجع سابق، ٢٨/١.

[٤] المرجع السابق، ٣٦٨/١.

[5] صفوت، أحمد زكي:جمهرة رسائل العرب في العصور العربية الزاهرة ، مرجع سابق، ٥٣٥/٢.

يختص بكتاب الخراج، وجاء هذا النهي منه لا للتقليل من أهمية الحساب والدليل على ذلك هو أنه جعله أساسا لكتاب الخراج، بل لأنه رأى عدم ضروريته في كتابة الرسائل.

وأخيرا يجب الإشارة إلى أن الحساب من العلوم التي برع فيها المسـلمون وأضـافوا إليهـا إضافات كانت من جملة أسباب تطور هذا العلم في العصر الحديث.

٤. علم الجغرافيا:

ولقد عرف المسلمون الجغرافيا بأ ا "علم يتعرف منه أحوال الأقاليم السبعة الواقعة في الربع المسكون من الكرة الأرضية، وعروض البلدان الواقعة فيه، وأطوالها، وكـذا عـدد مـدـا وجبالها، وبراريها وبحارها وأ ارها، إلى غير ذلك من أحوال الربع المعمور"[١].

ولقد اهتم المسلمون بعلم الجغرافيا في ذلك العصر لأسباب عديدة منها:[٢]

أ. الحج، الذي يعد فريضة على كل مسلم مستطيع، فالمسلمون على اختلاف بلادهـم يحجون مكة للنسك، فيحتاجون إلى معرفة الطرق المؤدية إليها.

ب. طلب العلم، فكان المسلمون يرحلون في طلب العلم من مكان إلى آخر رغبة منـهم في الالتقاء بالعلماء والأدباء في أماكن إقامتهم.

ج. وضع الخراج على الأقاليم التي فتحت، لمعرفة مساحتها ومعرفة عامرها وغامرهـا، وأنواع غلا ا، لما في ذلك من مصلحة لبيت مال المسلمين، هذا بالإضافة إلى معرفة الطرق التجارية الموصلة إلى البلاد الإسلامية والبلاد ا اورة، لتسهيل انتقال التجـار والمسافرين خصوصا وقد كانت الشام في ذلك العصر مركزا تجاريا مهما.

وأدى اختلاط المسلمين العرب بغيرهم من الأمم الأخرى في الشام إلى رغبتهم في الاطـلاع على المعارف الجغرافية عندهم والسفر إلى ديارهم ولقد حث سبحانه وتعالى على ذلـك في قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾سورة الحجرات، آية ١٣، فقام علماء المسلمين يتنقلون من مكان إلى آخر واصفين تلك البلدان وما فيها من جبال وأ ار وعادات

---

[١] فروخ، عمر: تاريخ العلوم عند العرب، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩٠هـ، ص:١٩٢.

[٢] شلبي، أبوزيد: تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي ، مرجع سابق، ص:٣٦٦.

وتقاليد وأعراف "فلقد اتسعت معرفة المسلمين بأقسام الأرض وصفا ا لاتساع فتوحهم في ذلك العصر"[١].

والجدير بالذكر أن علم الجغرافيا لم يكن تخصصا مستقلاً في ذاته في تلك الفترة بـل كـان يذكر غالبا مع العلوم التاريخية، فقد كان معاوية بن أبي سفيان يستمع إلى أخبـار العـرب والعجم وحرو م ومن جملة هذه الأخبار وصف البحار والأ ار والمساكن والأماكن[٢].

٥. الهندسة المعمارية:

هو علم يختص بتصميم المباني والمنشآت[٣]، وهي من أهم ا الات التي تفوق فيها الأمويـون فلقد زخر عصرهم بحركة عمرانية واسعة مثل ما زخر عصرهم بالفتوحات، فخلفـوا لنـا كثيرا من الأبنية والمنشآت الدينية والمدنية، كالمساجد والقصور والبيوت والحصون والقلاع، ويعود السبب في ذلك إلى عدة أمور منها:

أ. اختلاط العرب بغيرهم من الشعوب الآخرى واطلاعهم على الفنون المعمارية "فلقد شاهد المسلمون العمائر المسيحية الرائعة في الشام من قصور وكنائس فكـان مـن الطبيعي أن يتأثروا بأساليبها عندما بدأوا يقيمون لأنفسهم منشآت دينيـة ومدنيـة وحربية، تصارع في عظمتها منشآت البيزنطيين"[٤]، فالاسلام لا يمنع التقليد الواعي الهادف وهذا ما فعلة أسلافنا فقلدوا تلك الحضارات مع حفاظهم علـى هويتـهم الإسلامية، فسادوا وقادوا تحت راية الإسلام وتحت ضوابطه فلا تنـهض الأمـة إذا تخلفت عن غيرها في ركب الحضارة.

ب. ظهور الترف، فلقد امتلأت خزائن الدولة بالكثير من الأموال والخـيرات ويعـود الفضل في ذلك بعد الله إلى كثرة الفتوحات الإسلامية وامتدادها.

ج. امتازت الشام عن غيرها من المناطق الآخرى ذا الفن وكان لها السبق فيه وذلـك لكو ا أكثر المناطق أمنا وأكثرها استقرارا من الناحية السياسية هـذا بالإضـافة إلى

---

[١] فروخ، عمر: تاريخ العلوم عند العرب، مرجع سابق، ص:١٩٢.

[٢] المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر ،مرجع سابق، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ٤٠/٣.

[٣] ________،______ :الموسوعة العربية العالمية ، مرجع سابق، ٥٤٤/١٦.

[٤] طقوش، محمد سهيل: تاريخ الدولة الأموية ، مرجع سابق ، ص:٤٣٢.

كو ا مركز الخلافة ومقر الرئاسة، فلقد عاش خلفاء بني أمية فيها، فأحاطوها بنوع من العظمة والجمال متمثلاً في قصورهم ومساجدهم، "واتبع الخلفاء الأمويون نظاما يتمثل في التزام أقاليم العالم الإسلامي بتقديم الصناع والفنانين ومواد الصناعة أو البناء إلى مركز الخلافة"[١].

استعان الأمويون بمهرة الصناع والمهندسين من غير العرب واستفادوا من خـبرا م وذلـك لتقدمهم في ذلك ا ال "فلقد بعث الوليد إلى ملك الروم يطلب منه صناعا في الرخام وغير ذلك، ليستعين م على عمارة المسجد الأموي"[٢]، واستفادت الهندسة المعماريـة في ذلـك الوقت "من التقاليد القيمة القديمة التي كانت سائدة حين ذاك من ساسانية وبيزنطيـة"[٣]، إلا أن ذلك الأمر لم يمنعها من الاحتفاظ بالهوية العربية الإسلامية، فأخذوا منـهم مـا يتفـق والعقيدة الإسلامية، وابتكرت لنفسها عناصر معمارية وفنيه خاصة ـا "فلقـد كانـت زخارفهم مستمدة من المناظر الطبيعية والأشكال الهندسية والنباتية، وتحاشوا التماثيل والصور ا سمة، لأ ا محرمة عليهم، حتى لا يتشبهوا بعبدة الأوثان"[٤].

هذا وتمثلت الهندسة المعمارية زمن بني أمية ببناء المساجد والقصور، ويعد المسجد مـن أول وأهم المباني التي أولاها بني أمية عنايتهم وذلك باعتبارها مركزا للحياة في جميع جوانبها من سياسية واقتصادية واجتماعية ودينية، ومنها على سبيل المثال:

أ. مسجد قبة الصخرة:

فقد بنى عبد الملك مسجد قبة الصخرة ببيت المقدس ويعتبر "أقدم عمـل في الهندسـة المعمارية الإسلامية"[٥].

يقول ابن كثير في وصفه لقبة الصخرة "لم يكن يومئذ على وجه الأرض بناء أحسن ولا أ ى من قبة صخرة بيت المقدس"[٦]، فقد أولاه عبد الملك بن مروان عناية خاصة فجمع

---

[١] ــــــــــ،ــــــــ :الموسوعة العربية العالمية ، مرجع سابق، ٥٧٥/١٦.

[٢] ابن كثير، أبي الفداء:البداية والنهاية، إعداد:يوسف الشيخ ومحمد البقاعي، مرجع سابق، ٩٦/٩.

[٣] ــــــــــ،ــــــــ :الموسوعة العربية العالمية ، مرجع سابق،٥٧١/١٦.

[٤] شلبي، أبوزيد: تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي ، مرجع سابق، ص:٢٥٠.

[٥] الزرو:،خليل داوود:الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني للهجرة، مرجع سابق ، ص:١٨٨.

[٦] ابن كثير، أبي الفداء:البداية والنهاية، إعداد:يوسف الشيخ ومحمد البقاعي، مرجع سابق، ٢٢٤/٨.

الصناع من أطراف البلاد وأرسلهم إلى بيت المقدس، وأنفق عليه الأموال الكثيرة "فبنوا القبة فجاءت من أحسن البناء، وفرشت بالرخام الملون، وجعل فيها من قناديل الـذهب والفضة والسلاسل شيئًا كثيرا، وقد كان فيها من الفصوص والجواهر والفسيفساء غـير ذلك شيء كثير"[١].

هذا وامتازت قبة الصخرة بشكلها الفريد وهي عبارة عن "بنـاء حجـري مثمن الشكل، قوامه مثمن خارجي من الحوائط يليه مثمن داخلي مـن الأعمدة والأكتاف وداخل هذا المثمن دائرة من الأعمـدة والأكتـاف أيضا، وفوق الدائرة قبة مرفوعة على اسطوانة فيها ١٦ نافذة، والقبـة مصنوعة من الخشب يغطيها من الخارج طبقة من الرصاص ومن الداخل طبقة من المصيص، وضلع المثمن الخارجي طوله نحو ٢٠.٥ متر وارتفاعه نحو تسعة أمتار وفي الجزء العلوي من كل ضلع في هذا المـثمن أربعـة أبواب، وفي وسط هذا البناء الصخرة المقدسة"[٢].

ب. الجامع الأموي

ولقد بناه الوليد بن عبد الملك، ويعد الوليد من أكثر خلفاء بني أمية في البناء والعمران، فعصره من أزهى عصور بني أمية وأبركها، فقد روي "أن الناس إذا التقوا في زمانه يسأل بعضهم بعضا عن الأبنية والعمارات"[٣]، ويعد الجامع الأموي من أعظم مفـاخره، قـال توفيق أحمد "هذا الجامع من أبدع ما أخرجته العمارة الإسلامية"[٤].

ولقد استعمل الوليد في بناء هذا المسجد خلقًا كثيرا من الصناع والمهندسين والفعلـة، وكان المستحث على عمارته أخوه سليمان بن عبد الملك[٥].

ويتألف المسجد "من صحن كبير مستطيل الشكل وإيوان رئيسي طوله ١٣٦مترا وعمقه ٣٧مترا، وفي هذا الإيوان ثلاثة أورقة موازيـة للقبـة

---

[١] ابن كثير، أبي الفداء ، مرجع سابق، ٢٤٢/٨.

[٢] عبد الجواد، توفيق أحمد: تاريخ العمارة والفنون الإسلامية، دار الكتب، ١٩٧٠م،٧٩/٣.

[٣] علي، محمد كرد: خطط الشام، مرجع سابق، ١٥٣/١.

[٤] عبد الجواد، توفيق أحمد: تاريخ العمارة والفنون الإسلامية، مرجع سابق،٨١/٣.

[٥] ابن كثير، أبي الفداء:البداية والنهاية، إعداد:يوسف الشيخ ومحمد البقاعي، مرجع سابق، ٩٦/٩.

ومحمولة على أعمدة رخامية وفوقها أقواس أصغر منها، ارتفـاع هـذه الأروقة بأقواسها الكبرى والصغرى حوالي ١٥مترا، ولهـذه الأروقـة أسقف خشبية على هيئة الجمالون، ويحيط بالصحن أروقة أخرى تحددها أقواس محملة على دعائم بعضها مدبب وبعضها علـى شـكل نعـل الفرس"[١]

افتخرت الشام بهذا البناء العظيم، فقد روي عن الوليد بن عبد الملك أنه قال عندما انتهى من بنائه "يا أهل دمشق: إنكم تفخرون على الناس بأربع، بهوائكم ومائكم وفـاكهتكم وحماماتكم، فأحببت أن أزيدكم خامسة وهي هذا الجامع"[٢].

ولقد ساعد فن الهندسة المعمارية في ظهور علم آخر وهو علم الخط، وذلك للكتابة علـى المساجد وتزينيها بآيات القرآن الكريم "كان في قبلة جامع دمشق ثلاث صـفائح مذهبـة بلازورد، في كل منها [بسم الله الرحمن الرحيم الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولانوم]"[٣].

ومن المهندسين العرب الذين ظهروا زمن بني أمية ووفد إلى الشام المهندس عمـر الـوادي وكان زمن الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك[٤].

ومن خلال ما تقدم يتضح لنا أن الدولة الأموية في الشام استطاعت أن تحقق إرثًا معماريـا عظيما وتقدما حضاريا زاخرا بهرت به غيرها من الأمم في ذلك العصر، فقد روي

"أنه قدم جماعة من بلاد الروم رسلاً من عند ملكهم، فلما رأوا مـا بهر عقولهم من حسن الجامع، صعق كبيرهم وخر مغشيا عليه فلما تماثل سألوه عما عرض له ،فقال: ما كنت أظن أن ينبي المسلمون مثل هـذا البناء، وكنت أعتقد أن مدتهم أقصر من هذا، فلما بلغ ذلك عمر بـن عبد العزيز وكان قد هم بتجريد المسجد مـن الـذهب والفسيفسـاء

---

[١] عبد الجواد، توفيق أحمد: تاريخ العمارة والفنون الإسلامية، مرجع سابق، ٣/ ٨٠.

[٢] ابن كثير، أبي الفداء:البداية والنهاية، إعداد:يوسف الشيخ ومحمد البقاعي، مرجع سابق، ٩٦/٩.

[٣] المرجع السابق، ٩٦/٩.

[٤] الزرو:،خليل داوود:الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني للهجرة، مرجع سابق ، ص:١٩٥.

والرخام ورده لبيت مال المسلمين قال: أوا أنّ الغيظ أهلك الكفار دعوه!"[١].

فلقد استطاع المسلمون في ذلك العصر أن يتقدموا على غيرهم من الأمم، حتى في العلوم التي كان لهم فيها السبق فلقد استفادوا منهم وتفوقوا عليهم، فحري بنا في عصرنا الحاضر أن نحذوا حذوهم وأن نستفيد من علم الغرب ونطوعه على ما يوافق قيمنا ومبادئنا حتى نستطيع أن نتقدم علميا وفكريا وحضاريا.

٦. علم الترجمة:

تشير المصادر إلى أن أول نقل حدث كان في الشام في العصر الأموي وكان ذلك على يد خالد بن يزيد بن معاوية فقد قام بترجمة كتب الطب والكيمياء[٢].

ولقد كان الباعث من ظهور الترجمة في ذلك العصر عدة أمور منها[٣]:

أ. احتكاك العرب بغيرهم من الأمم، فلقد اطلع العرب على ثقافات جديدة فأحبوا أن يوسعوا بهذه الثقافات آفاقهم الفكرية.

ب. حاجة العرب إلى علوم ليست عندهم مما كانوا يحتاجون إليه في الطب وفي معرفة الحساب والتوقيت بضبط أوقات الصلاة وتعيين أشهر الصوم والحج وأول السنة.

ج. رعاية الخلفاء للنقل والنقلة، فلقد شجع الخلفاء عملية الترجمة وأولوها اهتماما كبيرا فعربت الدواوين زمن عبد الملك بن مروان، وكان أول ديوان نقل للعربية ديوان الشام[٤]، "وذلك أن رجلاً من كتاب الروم احتاج إن يكتب شيئًا فلم يجد ماءً فبال في الدواة، فبلغ ذلك عبد الملك فأدبه وأمر سليمان بن سعد بنقل الديوان"[٥].

وأشهر من نقل :

---

[١] ابن كثير، أبي الفداء:البداية والنهاية، إعداد:يوسف الشيخ ومحمد البقاعي، مرجع سابق، ٩٦/٩.

[٢] علي، محمد كرد: خطط الشام، مرجع سابق، ٢٣/٤.

[٣] فروخ، عمر: تاريخ العلوم عند العرب، مرجع سابق، ص:١١٢.

[٤] ابن النديم، أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحق: الفهرست ، مرجع سابق ، ص:٣٠٣.

[٥] البلاذري، أبي العباس أحمد بن يحي بن جابر: فتوح البلدان ، مرجع سابق، ص:٢٧١.

- ماسرجويه ، الذي قام بترجمة كتاب (أهرن بن أعين) في الطب ونقلـه إلى العربية[١]، وتم إخراجه للناس زمن عمر بن عبد العزيز وذلك لينتفع المسـلمون به في حيا م.
- اصطفن القديم، والذي قام بنقل كتب الصنعة وغيرها لخالد بن يزيـد بـن معاوية[٢].
- سليمان بن سعد، والذي قام بنقل ديوان الشام إلى العربية[٣].

ويظهر لنا أن حركة النقل والترجمة في العصر الأموي لم تكن واسعة "فقد كان يقـوم ـا بعض الأفراد من الخاصة أو بعض الأطباء من الأعاجم الذين وجدوا أنفسهم في محيط عربي لا تصلح فيه إلا البضاعة العربية أو المعربة"[٤]، إلا أن هذا العصر يعد هو النواة التي سـاعدت على التوسع في حركة الترجمة في العصر العباسي.

٧. علم الفلك

أطلق المسلمون على علم الفلك أسماء شتى، فقد اشتهر عندهم باسم علم الهيئة، علم النجوم، علم صناعة النجوم[٥].

وتعريف علم الفلك هو: "العلم الذي يعني بدراسة النجوم والكواكب والأجسام الأخـرى التي يتكون منها الكون"[٦].

وهذا أيضا ما أشار إليه حسن موسى في تعليمه لعلم الفلك بقوله: "هو العلم الذي يتجـوه إلى السماء ليدرس ما فيها من أجرام سماوية تبدو للناظر إليها بالعين ا ردة، أو باسـتخدام الأجهزة المقربة"[٧].

---

[١] ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي:عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، مرجع سابق، ١٦٣/١.

[٢] النديم، أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحق: الفهرست ، مرجع سابق ، ص:٣٠٤.

[٣] البلاذري، أبي العباس أحمد بن يحي بن جابر: فتوح البلدان ، مرجع سابق، ص:٢٧١.

[٤] الرفاعي ،سعد سعيد جابر :مصادر وأساليب تمويل التعليم في العصور الإسلامية الأولى ، مرجع سابق، ص:٥٢٩.

[٥] ________،_____ :الموسوعة العربية العالمية ، مرجع سابق، ٥٠٤/١٦.

[٦] المرجع السابق، ٤٦٦/١٧.

[٧] موسى، على حسن :علم الفلك في التراث العربي ، ط١، دار الفلك، دمشق، ٢٠٠١م، ص:١٩.

وعرفها كبرى زادة بقوله: "علم الهيئة هو علم يعرف منه أحوال الأجرام البسيطة، العلويـة والسفلية وأشكالها وأوضاعها ومقاديرها وأبعادها"[١].
فمن خلال التعريفات السابقة يتضح لنا أن علم الفلك أو علم الهيئة هو العلم الذي يختص بدراسة الكواكب والأجرام السماوية وكل ما يتعلق ا.
ولقد اهتم العرب بعلم الفلك منذ القدم وذلك لتحديد المواقع في أسفارهم ورحلا م البرية والبحرية، قال تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ (سورة الأنعام، آية رقم٩٧)، فقد جعل الله النجوم، هداية للخلق إلى السبيل، التي يحتاجون إلى سلوكها لمصالحهم وتجارا م وأسفارهم[٢].
قادت هذه الآية وأمثالها من آيات القرآن الكريم علماء المسلمين إلى علم الفلك فاستقطب هذا الفن عنايتهم واهتمامهم يقول السعدي "دلت هذه الآية ونحوها، على مشروعية تعلم سير الكواكب ومحالها، وذلك لأنه لا تتم الهداية ولا تكمن إلا بذلك"[٣]، خصوصا في معرفة معرفة الاتجاهات وطرق المواصلات "فالاهتداء بالنجوم في ظلمات البر والبحر يحتاج إلى علم بمسالكها ودورا ا ومواقعها ومدارا ا"[٤]، هذا بالإضافة إلى حاجة المسلمين إلى تحديد أوقات أوقات الصلاة والصيام والأعياد، وتحديد اتجاه القبلة، فقلد عده بعض العلماء من فروض الكفاية[٥].
وتطور علم الفلك في العصر الأموي وفي الشام بالتحديد ويرجع السبب في ذلك هو انفتاح المسلمين على علوم الأمم الأخرى وحضارا ا ونقل العديد من الكتب الفلكية إلى العربيـة، فأول كتاب ترجم في علم الفلك كان في العصر الأموي قبل زوال الدولة الأمويـة بسـبع

---
[١] زاده، طاش كبرى: مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، مرجع سابق، ٣٤٨/١.
[٢] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ط٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٨هـ، ص:٢٨٨.
[٣] المرجع السابق، ٢٨.
[٤] قطب، سيد: في ظلال القرآن ، ط١٧، دار الشروق، القاهرة، ١٤١٢هـ، ١١٥٩/٢.
[٥] الكتاني، عبد الحي :نظام الحكومة النبوية –التراتيب الإدارية- ، الناشر حسن جعنا، بيروت، ت:د،٣١٣/٢.

سنين، وهو كتاب (عرض مفتاح النجوم) لهرمس[١]، إلا أن بعض الروايات تفيد أن أول من ترجم كتب النجوم هو خالد بن يزيد[٢]، وأول مرصد أقيم في العالم الإسلامي كان في عصر بني أمية، وكان ذلك في دمشق[٣].

هذا ولقد شجع خلفاء بني أمية على تعلم هذا الفن فقد أدخله معاوية بـن أبي سـفيان في منهجه في تأديب أبنائه فلقد قال لدغفل بن حنظلة عندما اختبر علمه "اذهب إلى يزيد فعلّمه العربية وأنساب قريش والنجوم"[٤]، وتشير هذه الرواية على أن دراسة علم الفلـك كانـت موجودة منذ عصر معاوية بن أبي سفيان، وإن كان تعلمه في نطاق ضيق، ويخـتص بفئـة معينة، هذا ولقد توارث خلفاء بني أمية هذا المنهج في تعليمهم لأبنائهم ويظهر ذلـك مـن خلال وصية هشام بن عبد الملك لمؤدب ابنه سليمان الكلبي بقوله "خذه بعلـم نسـبه في العرب حتى لا يخفى عليه منه قليل ولا كثير وعلمه منازل القمر......."[٥].

وعلم الفلك كعلم قائم وفق منهج علمي وقواعد ثابتة لم يؤسس إلا في العصر العباسي وهذا ما أشارت إليه أكثر المصادر[٦].

٨. علم الكلام:

يعرف ابن خلدون علم الكلام بأنه "علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة"[٧].

نشأته:

إن هذا العلم لم يظهر في الشام إلا في نهاية العصر الأموي، ويعود السبب في نشأته إلى عدة أسباب منها:

---

١ ـــــــــ،ـــــــ :الموسوعة العربية العالمية ، مرجع سابق، ٥٠٥/١٦.

٢ الجاحظ ، أبي عثمان عمرو :البيان والتبيين ،مرجع سابق ، ٢٦٧/١.

٣ ـــــــــ،ـــــــ :الموسوعة العربية العالمية ، مرجع سابق،٥١٠/١٦.

٤ ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ،مرجع سابق، ٢٩٢/١١.

٥ السجستاني ، أبي حاتم :المعمرون والوصايا ، مرجع سابق ، ص:١٣٧.

٦ فروخ، عمر: تاريخ العلوم عند العرب، مرجع سابق، ص:١٦١.

٧ ابن خلدون،عبد الرحمن بن محمد:تاريخ ابن خلدون – العبر وديوان المبدأ والخبر تحقيق: أبو صهيب الكرمي،مرجع سابق، ص:٢٢٣.

أ. احتكاك المسلمين بغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى: "فقد كـان في الشـام نصارى كثيرون احتفظوا بدينهم، ودخل كثير منهم في الإسلام، وكان من هـؤلاء مثقفون بالثقافة النصرانية، وقامت المساجد بجانب الكنائس، فسـرعان مـا كـان الاحتكاك بين الإسلام والنصرانية وكان بينهما جدل وحوار وخصومة"[١]، روى ابن عساكر مجادلة حصلت بين خالد بن يزيد ورجل نصراني، قال النصراني لخالد بـن يزيد "ألستم تزعمون في كتابكم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبولون. فقـال خالد: نعم نقول ذلك، قال: فإن لهذا مثلاً في الدنيا ماهو؟ قال خالد: مثل الصبي في بطن أمه يأتيه رزق الرحمن بكرة وعشيا، ولا يبول ولا يتغوط......."[٢]، فقـد أراد النصراني من هذه ا ادلة أن يختبر خالد بن يزيد ويتعرف على علمه.

هذا سبب احتكاك المسلمين بغيرهم إلى ظهور الكلام في القضـاء والقـدر أو الجـبر والاختيار، والكلام في صفات الله، فقاموا بتأويل بعض نصوص الـدين وشـككوا في العقيدة وذهبوا بتأويلا م مذاهب بعيدة عن مذهب السلف.

ب. الخلاف السياسي: تأثر علم الكلام بال اع السياسي القائم في ذلك العصـر، وإن أبـرز مسألة سياسية ذات خطر نشأ حولها الخلاف بين المسلمين هي مسألة الإمامة أو الخلافة، يقول أبو الوفا "إن الخلافات السياسية الحادثة في صدر الإسلام ارتبطت في الدين وعقائده ارتباطًا وثيقًا، وترتب عليها انقسام المسلمين إلى فرق متباينة خائضة في البحث في العقائد على نحو جـدلي خلافي، فكان هذا من أهم العوامل التي عجلت بظهور علم العقائد، أو علم الكلام عند المسلمين"[٣].

ج. حركة الترجمة: تعتبر الترجمة من أهم العوامل التي ساعدت علـى تطـور هـذا العلـم وانتشاره، "فلقد أدى اطلاع المتكلمين من المسلمين على المنطق اليوناني والفلسفة اليونانية إثر نقلها إلى العربية"[٤] إلى التأثر ببعض أفكارهم ومبادئهم. ويعتبر خالد بن يزيد هو أول من ترجم في هذا ا ال[٥].

---

[١] أمين، أحمد: فجر الإسلام ، مرجع سابق، ص:١٧٦.

[٢] ابن عساكر: ذيب تاريخ مدينة دمشق، مرجع سابق، ١١٧/٥٥.

[٣] التفتازاني، أبو الوفا الغنيمي: علم الكلام وبعض مشكلاته ، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٩هـ، ص:١٩.

[٤] التفتازاني، أبو الوفا الغنيمي ، المرجع السابق، ص:٢٣.

[٥] علي، محمد كرد: خطط الشام، مرجع سابق، ٢٣/٤.

إلا أن البعض يرى أن حركة الترجمة لم تؤثر في علم الكـلام إلا في العصـر العباسـي بتشجيع من بعض الخلفاء العباسيين مثل المنصور والرشيد والمأمون[١].

وتشير الكثير من المصادر على بداية ظهور لفظ (كلام) في الشام في ذلك العصر، ومن ذلك ما روي:

"من أن إياس بن معاوية وغيلان اجتمعا عند عمر بن عبد العزيز فقال عمر: أنتما مختلفان، وقد اجتمعتما فتناظرا معا، فقال إياس: يا أمير المؤمنين إن غيلان صاحب كلام، وأنا صاحب اختصار، فإما أن يسألني ويختصر، أو أسأله وأختصر، فقال غيلان: سل. فقال إياس: أخبرني ما أفضل شيء خلقه الله عـز وجل، فقال: العقل. قال: أخبرني عن العقل، مقسوم أو مقتسـم؟ فأمسـك غيلان. فقال له: أجب، فقال: لا جواب عندي. فقال إياس: قد تبين لك أمره يا أمير المؤمنين: إن الله تبارك وتعالى يهب العقول لمن يشاء فمن قسم له منـها شيئًا ذاده عن المعصية، ومن تركه ور"[٢].

فقد أراد عمر بن عبد العزيز ذا الحوار أن يقيم الحجة على غيلان والذي كانـت لديـه بعض الآراء التي يخالف فيها أهل السنة والجماعة، وقد ورد خلال هذه المحاورة لفظ (كلام) فهذا يدل على أ ا كانت شائعة ولو لم يكن هذا الانتشار بالمعنى الشامل لعلـم الكـلام، والذي تطور وازدهر في عصر الدولة العباسية.

---

[١] التفتازاني، أبو الوفا الغنيمي: علم الكلام وبعض مشكلاته ، مرجع سابق، ص:٢٣.

[٢] ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق ،مرجع سابق، ١٠/١٦.

ملخص الفصل الخامس :

من خلال هذا الفصل يمكن الاستنتاج بأن الحياة العلمية في الشام في العصر الأموي كانت تتميز بالطابع الديني من منطلق أن طلب العلم فريضة من فرائض الإسلام، لنهوض الأمة وقوة بنيانها، فكانت العلوم جميعها في خدمة الدين وأهدافه، فقد ابتدأ المسلمون يهتمون بالتعليم أولاً ليقرؤوا القرآن فشهدت المساجد حلقات لتعليم القرآن حفظًا وتفسيرا وإلى جانب الاهتمام بالقرآن جاء الاهتمام بالسنة النبوية والسير باعتبارها المصدر الثاني من مصادر التشريع، فالسنة موضحة ومبينة للقرآن الكريم والسيرة كانت بمثابة التطبيق العملي في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان اهتمامهم بالعلوم الطبيعية والهندسة المعمارية لتقوية كيان الأمة وحتى لا تكون عالة على غيرها من الأمم، فالدين الإسلامي لم يمنع بل يحث على الاستزادة من العلوم الأخرى التي يكون في تعلمها صلاح للأمة وعزها تحت ضوابط شرعية.

فحري بنا في هذا العصر أن نأخذ بأسباب النهوض والتقدم لنكون قادةً للعالم تحت راية الإسلام.

فإسلامنا دين العلم والمعرفة فعلى كل مسلم أن يساهم في بناء الأمة بقدر جهده وتخصصه فلا مجال للادعاء بأن تخصصه لا علاقة له بالدين.

الفصــــل السادس

تمويل التعليم في الشام في العصر الأموي

تمويل التعليم في الشام في العصر الأموي

تمهيد

إن تمويل التعليم في الشام في العصر الأموي لم يكن واضح المعالم، فلم تكن هناك سياسة تحكمه، فإنه وعلى الرغم من مساهمات الحكام في نفقات التعليم إلا أ ا كانت ضئيلة، بالقياس إلى مساهمات الأفراد، مما يجعل التعليم يتصف بالصفة الشعبية في الغالب وهذا لا يعني أنه لم يكن للدولة دور في تمويل التعليم بل لقد ساهم التمويل الحكومي في نشر العلم وتعلمه وإن لم يكن في صورة منظمة أو تحت آلية معينة، فلقد تعددت أوجه إنفاق الدولة على التعليم واختلفت أشكاله فمنها ما كان عن طريق الإنفاق على تأديب أبنائهم وقام خلفاء بني أمية بتعيين المؤدبين وتخصيص أجر لهم مقابل ذلك، وكانت تختلف هذه الأجور من خليفة لآخر ومن معلمٍ لآخر، هذا بالإضافة إلى العطايا التي كان يقدمها الخلفاء للفقهاء والعلماء تشجيعا لهم وإعانتهم على التفرغ لهذه المهنة العظيمة فقربوا إليهم الشعراء والأدباء وأغدقوا عليهم الهبات والجوائز فساعد هذا الأمر إلى انشغال الكثيرين منهم إلى الاهتمام بالشعر وقوله، هذا ولقد حظيت مؤسسات التعليم في الشام في ذلك العصر بنصيب وافر من قبل الدولة فقام خلفاء بني أمية ببناء المساجد والجوامع و يئتها لطلاب العلم مثل الجامع الأموي بدمشق وإعادة بناء المسجد الأقصى وتوسعته وكذلك قاموا ببناء بعض الكتاتيب لتعليم أبناء المسلمين الفقراء الذين لا يقدرون على الانضمام إلى المكاتب الخاصة.

هذا وعمد خلفاء بني أمية على نشر العلم وتيسيره للناس وكان ذلك بقيامهم بالإشراف على ترجمة كثير من العلوم والفنون إلى العربية ليستفيد عامة المسلمين منها والعمل على تدوين السنة النبوية الشريفة التي ساعدت بدورها إلى تطور الحركة العلمية وازدهارها في ذلك العصر.

أثمرت دعوة الإسلام إلى التعليم والتعلم في نفوس المسلمين الأوائل، فقاموا بالتعليم وحرصوا عليه بدافع من أنفسهم وعدوا ذلك عبادة يثيبهم الله عليها وامتثالا لما كلفهم به الله سبحانه وتعالى، فقام الكثير منهم بالتعليم تطوعا ولم يكن يقبل أخذ الأجر ، هذا بالإضافة إلى

مساعد م لطلبة العلم وتشجيعهم على التزود منه وتقديم المساعدات والإعانات لهم، هـذا كله جعل منهم مصدرا مهما من مصادر تمويل التعليم في ذلك العصر.

ولقد ساعد الطلاب على تمويل التعليم وذلك بقيامهم بالنفقة على أنفسهم وتحمل تكاليف التعليم، أما من كان لا يستطيع تحمل نفقات تعلمه فإنه كان يجمع بين الدراسة والعمل، أو على الهبات والصدقات التي كان يقدمها أهل الخير شعورا منهم بالمسؤولية اتجاه نشر هـذا العلم وتعلمه راجين بذلك ثواب الدنيا والآخرة قاصدين به وجه الله تعالى ، وهذا العمـل جعل منهم مصدرا مهما من مصادر تمويل التعليم بالإضافة إلى الأوقاف والـتي خـدمت العملية التعليمية خدمة عظيمة وذلك في كو ا مصدرا تمويليا ثابتا، فإليها يرجع الفضل بعد الله فيما وصل إليه ا تمع الإسلامي في ذلك العصر من تقدم في ا ال العلمي.

وسوف يتم من خلال هذا الفصل دراسة هذه المصادر بشيء من التفصيل بحول الله تعالى.

أولا: الإنفاق الحكومي

لم تكن في ذلك العصر آلية خاصة تحكم الإنفاق الحكومي على التعليم "فعلى الرغم من مساهمات الحكام في نفقات التعليم إلا إنها كانت ضئيلة بالقياس إلى مساهمات الأفراد مما يجعل التعليم يتصف بالصفة الشعبية في الغالب "[١]، فالدولة لم تتبن نظاما واضحا لتمويل التعليم وإدارته .

فلم يكن هناك إلا بعض العطايا والجوائز التي كان يعطيها الخلفاء للعلماء وطلاب العلم وتتفاوت في مقدارها من شخص لآخر ومن خليفة لآخر .

إذاً فالتمويل الحكومي لم يكن مقننا ومنظما بالنسبة للتعليم ولعل ذلك يرجع **لعدة أسباب :**

١. اعتبار العلم وطلبه واجبا دينيا خصوصاً وأن العلوم المنتشرة في ذلك العصر كانت علوما دينيةً بحته فقد كان الخلفاء "يرون أنه يجب على الفرد القيام به من منطلق إيماني يدفعه لذلك ولعل هذا ما يبرر الصبغة الشعبية التي اصطبغ بها التعليم "[٢].

٢. أن العلماء في ذلك العصر كانوا يرون عدم جواز أخذ أجرٍ على التعليم وخاصة تعليم القران الكريم مستندين بذلك على أحاديث جاءت عن الرسول صلى الله عليه وسلم تنهي عن أخذ الأجر على القران الكريم ومنها قوله صلى الله عليه وسلم عن عبادة ابن الصامت رضي الله عنه وأرضاه أنه قال :

> "علّمت أناساً من أهل الصفة الكتاب والقرآن فأهدى إليّ رجل منهم قوسا فقلت ليس بمال وأرمي بها في سبيل الله عز وجل ؟ لأتين رسول الله صلى الله عليه وسلم فلأسألنه، فأتيته فقلت يا رسول الله رجلٌ أهدى إليّ قوسا ممن كنت أعلّمه الكتاب والقرآن وليست بمال وأرمي عنها في سبيل الله قال: إن كنت تحّب أن تطوق من نارٍ فاقبلها"[٣].

---

[١] عبد العال ، حسن :التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، الشركة المتحدة ، القاهرة ، مرجع سابق ،ص:١٧٧.

[٢] الرفاعي ،سعد سعيد جابر :مصادر وأساليب تمويل التعليم في العصور الإسلامية الأولى ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ص:٧٥.

[٣] أبو داوود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي :سنن أبي داوود ،ط١، دار الحديث ، بيروت ، لبنان ،١٣٩١، ٧٠١/٣.

١. وهناك عدة شواهد على ذلك ومنها :

أ. فعن إسماعيل بن عبد الله قال:

"قال لي عبد الملك بن مروان :يا إسماعيل علم ولدي فأني معطيـك أو مثيبك قال إسماعيل : يا أمير المؤمنين وكيف ذلك ؟ وحدثتني أم الدرداء عـن أبي الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من أخذ على تعليم القرآن قوساً قلّده الله قوساً من نار يوم القيامة قال عبد الملك: يا إسماعيل إني لسـت أعطيك أو أثيبك على القران إنما أعطيك أو أثيبك على النحو "[١].

فقد رفض إسماعيل أخذ أجر على تعليم القرآن وقبِل ما كان دون ذلك كعلم النحو.

ب."عن الضحاك بن قيس أنه كان على دمشق فجاءه المؤذن فسلم عليه ، وقال المؤذن : إني لأحبك في الله عز وجل ، فقال له الضحاك : ولكني أبغضك لله ، قـال : ولمَ تبغضني أصلحك الله ؟ فقال : لأنك تتزاهى بتأذينك وتأخذ أجراً على تعليمـك ـ وكان معلّم كتاب"[٢]، فقد أنكر الضحاك على المؤذن قبوله الأجر على التعليم وعد ذلك الأمر غير جائز.

إلا أن هناك رأي آخر يرى جواز أخذ الأجرة على التعليم ويدلنا على ذلك صنيع عمر بـن عبد العزيز عندما بعث يزيد بن أبي مالك الدمشقي والحارث بن يمجد الأشـعري يفقهـان الناس في البدو وأجرى عليهما رزقًا. فأما يزيد فقبل وأما الحارث فأبى أن يقبل فكتـب إلى عمر بن عبد العزيز بذلك، فكتب عمر "إنا لا نعلم بما صنع يزيد بأسا، وأكثر الله فينا مثـل الحارث بن يمجد"[٣].

---

[١] ابن عساكر ، علي ابن الحسن :تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق،٤٣٧/٨.

[٢] المرجع السابق،٢٩٠/٢٤.

[٣] ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي:سيرة عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد، مرجع سابق، ص:٦٩.

٢. مجالات الإنفاق على التعليم في الدولة الأموية :

اتخذ إنفاق الدولة على التعليم عدة أشكال منها :

أ. النفقة على تأديب أولاد الخلفاء:

اهتم خلفاء بني أمية - كما رأينا سابقا - بتربية أبنائهم تربية تخولهم للخلافة ومن منطلق هذا الاهتمام قاموا بجلب المؤدبين لتفقيه أبنائهم وعملوا على إكرام هؤلاء المؤدبين وتوفير كل وسائل الراحة لهم حتى يتفرغوا لأبناء الخليفة فأغدقوا عليهم العطايا والأجور وقاموا بتسديد الديون عنهم بل وخصصوا لهم أماكن يسكنون فيها في قصورهم وكل ذلك حتى يتفرغوا للتعليم والتأديب ولا يشغلهم شيء عن ذلك وقد كانت تتفاوت أجورهم من خليفة لآخر بل كان البعض يرفض أن يأخذ أجراً على تعليم القرآن كما حدث مع إسماعيل بن المهاجر مؤدب أولاد عبد الملك بن مروان حيث قال عنه عبد الملك : عندما رفض اخذ الأجر على التعليم " إني لست أعطيك أو أثيبك على القرآن ، إنما أعطيك أو أثيبك على النحو "[١].

ومن المؤدبين أيضاً الذين كانوا لا يأخذون على تعليم القران الكريم أجراً عبد الواحد بن قيس مؤدب ولد يزيد بن عبد الملك حيث قال " إني لست آخذ منك على القرآن شيئًا إنما آخذ منك على آدابي"[٢].

وقد اعتاد بعض الخلفاء على أن يسمي الأجر للمؤدب بعد أن يوصيه فهذا هشام بن عبد الملك أوصى لمؤدب ولده سليمان الكلبي ألف دينار كل شهر "[٣].

وكانت تتفاوت أجور المؤدبين من شخص لآخر فهذا حماد الراوية المؤدب فقد أعطاه هشام بن عبد الملك خمسمائة دينار وحملاً مهريا يسير عليه اثنتي عشرة ليلة "[٤].

---

[١] ابن عساكر ، علي ابن الحسن :تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق،٤٣٧/٨.

[٢] الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري ، حوادث ووفيات ١٢١-١٤٠هـ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٣، ١٤١٩هـ ،ص:١٦٩.

[٣] ابن عساكر ، علي ابن الحسن :تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق،٣٣٢/٢٢.

[٤] الأصفهاني، أبي فرج علي بن الحسين: الأغاني ، مطابع كوستاتسوماس وشركاه، القاهرة ،٧٥/٦.

وقد كان المؤدبون يحتلون مكانه كبيره فبالإضافة إلى العطايا والأجور كان بعـض الخلفـاء يعمد إلى تسديد ديو م وإكرامهم مثل ما فعل هشام بن عبد الملك مع الإمام الزهري حيث قضى عنه أربعة آلاف دينار "[١].فهم بذلك يهيؤون لهم المناخ المناسـب ليتفرغـوا لتعلـيم أبنائهم.

ب. أجور ومكافآت العلماء والفقهاء

اهتم خلفاء بني أميه بالعلماء والفقهاء وقربوهم وقاموا بإكرامهم وكانوا يستشيرو م في كثير من شؤو م وكانوا يجزلون لهم العطايا والصلات ويكافئو م بالجوائز والهبات " سئل عطاء بن مسلم الخرساني : من أين معاشك ؟ فقال: " من صلة الإخوان وجوائز السلطان"[٢].

وما فعله عبد الملك بن مروان مع الإمام الزهري عندما أجابه عن مسألة سأله إياها فأمر له بجائزة ، ورزق يجري ، وشراء دار له وقال له : " اذهب فاطلب العلم ولا تتشاغل عنه فاني أري لك عيناً حافظة، وقلباً ذكياً"[٣].

وقد اتخذت هذه الهبات والعطايا عدة أشكال فمنها ما كان مباشراً مكافأة واجر على التعليم ومنها ماكان غير مباشر كنوع من المساعدات . وبما أن بعض العلماء كان يرفض الأجر إلا أنه كان يقبل المساعدات غير المباشرة فقد قبل الزهري من الخليفة عبد الملك بن مروان أن يسدد عنه دين والده حيث قال عبد الملك : كم دين أبيك ؟ قال : كذا وكذا ، قال : قـد قضى الله دين أبيك "[٤].

وروي أن الوليد امتحن شخصاً في قراءة القرآن وقضى عنه دينه مكافأة له على حفظه وقال له :" نقضي دينك وأنت أهل لذلك"[٥].

تقول ملكة " إن هناك فئات عديدة من ا تمع الإسلامي في القرن الأول الهجري كانـت تتمتع بعطاء يساعدها على الانصراف لأمور التعليم "[٦].

---

[١] ابن عساكر ، علي ابن الحسن :تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق،٣٧٣/٥٥.

[٢] المرجع السابق،٤٣٤/٤٠.

[٣] المرجع السابق،٣٠٣/٥٥.

[٤] المرجع السابق،٣٠٢/٥٥.

[٥] الأندلسي،أبي عمرو أحمد بن محمد بن عبدربه :العقد الفريد ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ،١٣٨١هـ ،ط٢ ، ٤٢٤/٤.

[٦] أبيض ، ملكة : التربية والثقافة العربية – الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى،مرجع سابق ، ص:٣٣٤.

فعن إبراهيم بن أبي عبلة قال " كان الوليد يعطي قصاع الفضة أقسمها على قـراء بيـت المقدس "[١].

ولقد اهتم الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز بالعلم والعلماء اهتماما بالغاً في خلافته "فقـد أدى عمر واجبه في نشر التعليم خير أداء ، ونظراً لأن العطاء كان قد أوقـف عـن غـير المحاربين ، طلب من ولاته أن يعطوا العلماء من بيـت المـال لينصـرفوا إلى التعلـيم في المساجد"[٢].

كان ذلك واضحاً في وصاياه إلى ولاته وعماله في جميع أرجاء الدولة الإسلامية فقد أمر والى حمص بقوله "انظر إلى القوم الذين نصبوا أنفسهم للفقه ، وحبسوها في المسجد عن طلـب العلم فأعط كل واحد منهم مائه دينار ، يستعينوا ا على ماهم عليه من بيت مال المسلمين ، حين يأتيك كتابي هذا وإن خير الخير أعجله والسلام عليك"[٣].

وإن هذا الفعل ليس مستغرباً من خليفة عالم كان طول حياته يطلب العلم وينشـره فهـو أدري من غيره بحال طالب العلم وكيف أن طلب العلم يحتاج إلى مؤونة وتفـرغ . وروى عنه أيضا قوله لأحد ولاته " مر لأهل الصلاح من بيت المال بما يغنيهم ، لئلا يشغلهم شيء عن تلاوة القرآن وما حملوا من الأحاديث "[٤].

وقد كان العطاء يختلف من خليفة إلى آخر فلم يكن ثابتاً " فقد كان يزيد بن عبد الملـك[5] يجري على رجاء بن حيوة ثلاثين دينارا في كل شهر فلما ولى هشام الخلافة قال : ما هـذا برأي ، فقطعها ، فرأى هشام أباه في النوم، فعاتبه في ذلك ، فأجراها "[٦].

فنحن نرى من خلال هذه الشواهد اهتمام الدولة بالتعليم ونشره والعمل على توفير الجـو الملائم لطلبته وعلمائه وقد تعمل على توفير الجو الملائم لصاحب هذا العلم ليتفرغ لـه دون

---

[١] الذهبي شمس الدين محمد :سير أعلام النبلاء ، مرجع سابق، ٣٤٨/٤.

[٢] أبيض ، ملكة : التربية والثقافة العربية – الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى،مرجع سابق ، ص:١٤٠.

[٣] ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي :سيرة عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد ، مرجع سابق ،ص:٨٦.

[٤] الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ، مرجع سابق ،ص:٩٢.

[5] يزيد بن عبد الملك بن مروان أبو خالد من ملوك الدولة الأموية في الشام ولد في دمشق، ولي الخلافـة بعـد عمـر بـن عبـدالعزيز سنة١٠١هجرية، وكانت مدة خلافته ٤سنين وشهرا (الزركلي، خير الدين: الأعلام ،مرجع سابق، ١٨٥/٨).

[٦] الذهبي شمس الدين محمد :سير أعلام النبلاء ، مرجع سابق،٥٥٩/٤.

سواه فقد بدا ذلك واضحاً من وصية هشام بن عبد الملك لمؤدب ولده بقوله " وإذا أعطيتم فأعطوا حملة القرآن وحملة العلم وأهل الفضل "[١].

وعلى الرغم من هذه العطايا والهبات فقد كان الخلفاء يجرون الأجر مقابل التعليم خاصة وأن العلماء منهم من يقبل ومنهم من يتورع ويرى أنه لا يحق له أخذ الأجر على تعليم القرآن ويتضح لنا ذلك من صنيع عمر بن عبد العزيز عندما بعث يزيد بن أبي مالك الدمشقي والحارث بن يمجد الأشعري يفقهان الناس في البدو وأجرى عليهما رزقاً . فأما يزيد فقبل ، وأما الحارث فأبى أن يقبل ، فكتب إلى عمر بن عبد العزيز بذلك ، فكتب عمر "إنا لا نعلم بما صنع يزيد بأساً ، وأكثر الله فينا مثل الحارث بن يمجد "[٢].

ولما انتشرت الفتنه وظهرت كثير من الفرق والمذاهب كان لابد للدولة أن تحكم قبضتها وسيطر ا وبما أن القصص اتخذ في ذلك العصر البعد السياسي فقامت الدولة الاموية باستغلاله في صالحها وأصبح القصص وظيفة رسمية يأخذ عليها صاحبها رزقاً وراتباً من الدولة تصرف له في الشهر أو السنة وأصبح في كل مسجد قاص يقص فيها " فقد ولى معاوية رجلاً على القصص ، فإذا سلم من صلاة الصبح جلس وذكر الله عز جل وحمده، ومجده، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، ودعى للخليفة ولأهل ولايته وحشمه وجنوده ، ودعا على أهل حربه وعلى المشركين كافة "[٣].

"ويذكر أن عمر بن عبد العزيز أمر رجلا أن يقص بالناس وجعل له دينارين فلما قدم هشام بن عبد الملك جعل له ستة دنانير في السنة "[٤].

ج. هبات الخلفاء للشعراء والأدباء

اهتم بنو أمية بالشعر والشعراء وأغدقوا عليهم الهبات والجوائز "وساعد اهتمام الأمويين بالشعر على انصراف الكثيرين إلى قول الشعر وحفظه وروايته "[٥].

---

[١] السجستاني ، أبي حاتم :المعمرون والوصايا ، مرجع سابق ، ص:١٣٧.

[٢] الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي :سيرة عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد ، مرجع سابق ،ص:٦٩.

[٣] أمين ، أحمد : فجر الإسلام ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٧هـ ، ص:١٥١.

[٤] ابن شبه، أبو زيد عمرو: تاريخ المدينة المنورة ، تحقيق:فهيم محمد شلتوت ، تم طبعه ونشره على نفقة السيد حبيب محمود أحمد،١/١٥.

[٥] أبيض ، ملكة : التربية والثقافة العربية – الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى،مرجع سابق ، ص:٤٥٤.

فقد كان بلاط بني أمية يزخر بالشعراء والأدباء من داخل الشام وخارجها يتسـابقون إلى قول الشعر ويتنافسون فيه فقد وجد الشعراء استقبالا وترحيبا من قبل الخلفاء في مجالسـهم حتى بلغ اهتمام بني أمية بالشعر إلى درجة أ م كانوا يوصون مؤدبي أبنائهم أن يعلمـو م الشعر ومن ذلك قول عبد الملك لمؤدب ولده " علمهم الشعر يمجدوا وينجدوا"[١].

فقد كان عبد الملك بن مروان يجزل عطاء الأخطل ويفضله في الشعر على غيره[٢].

وكذلك الوليد "استقبل الشعراء واستمع إليهم وأجازهم بسخاء "[٣].

وقد كافأ الوليد الشاعر حمادا الراوية عندما أعجب بمعرفته بالشعر ودرايته ا فقد قيـل "أن الوليد سأله : لم سميت الراوية؟ قال: لأني أروي لكل شاعر تعرفه ، وكل شاعر تعترف إنك يا أمير المؤمنين لاتعرفه ، وأنشدك على كل حرف من حروف المعجم مئة قصيدة للجاهلية ، فيقال : إنه وكل به من يستنشده حتى سرد ألفين وتسعمائة قصيده ، فأمر له بمائـة ألـف درهم ، وقيل أن هشام بن عبد الملك أعطاه مئة ألف "[٤].

وقد كان الخلفاء يضعون الجوائز لأفضل الشعراء ويختبرون أداءهم وكانت تعقد مناظرات في ذلك فيحكى أنه "دخل رجل من بني عذره على عبد الملك يمدحه وعنده الشعراء الثلاثـة جرير والفرزدق والأخطل فسأله عبد الملك عن أهجى بيت قالته العرب وعن أمدح بيـت وأرق ماقالته العرب فقال أ ا كلها لجرير ولم يكن هذا الأعرابي يعرف الشعراء الثلاثة فقال جرير : جائزتي يا أمير المؤمنين له وكانت جائزة جرير أربعة آلاف درهم وتوابعهـا مـن حملان وكسوة فقال عبد الملك وله مثلها من بيت المال وخرج الأعرابي وفي يده ثمانية آلاف درهم ورزمة ثياب "[٥].

---

[١] ابن عساكر ، علي ابن الحسن :تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق،١٤٨/٣٧.

[٢] الذهبي شمس الدين محمد :سير أعلام النبلاء ، مرجع سابق، ٥٨٩/٤.

[٣] ابن عساكر ، علي ابن الحسن :تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق،٢١٢/١٨.

[٤] الذهبي شمس الدين محمد :سير أعلام النبلاء ، مرجع سابق، ١٥٨/٧.

[٥] ابن كثير ، أبي الفداء :البداية والنهاية ، إعداد: يوسف الشيخ ومحمد البقاعي ، دار الكتبة العلمية ، بـيروت ، ط٢ ،١٤١٨هـ ـ ، ٢١٩/٩.

وقد كان بعض الخلفاء يكلف غيره في سماع الشعر والمكافأة عليه ويدل على ذلك مافعلـه مروان بن محمد حيث" كلف عريف في مقره في حران وكان هـذا العريـف يسـتمع إلى الشعراء ويجازي المحسن منهم "[١].

وقد اهتمت الدولة الامويه بالشعراء واحتضنتهم وذلك لما للشعر من تأثير في نفوس النـاس خاصة وأن الدولة كانت تعاني من الثورات والأحزاب المعادية كالشيعة والخوارج والزبيريين فجرد الخلفاء سلاح الشعر باعتباره أقوى وسائل الدعاية ضد خصوم الدولة"[٢].

فظهر لذلك شعراء السياسة الذين كانوا يدافعون عن الدولة الأموية ويناصرو ا فقام الخلفاء بالتالي على تأليف قلوب الشعراء بالجوائز والهدايا ليناصرو م في دولتهم

ولقد دلت النصوص الكثيرة من خلال الصلات لأولئك الأدباء والشعراء أ ا كانت من بيت المال بالاضافه إلى ما يقدمه الخلفاء لهم من أموالهم الخاصة[٣].

د. النفقة على المؤسسات التربوية

١. الإنفاق على المساجد :

يعد المسجد من أهم وأكبر المؤسسات التعليمية في العصر الأموي ولقد حظي باهتمام بـالغ من قبل الدولة الأموية وخصوصاً في الشام حيث بنيت عدة جوامع ومساجد **ومنها علـى سبيل المثال :**

أ. المسجد الأقصى وقبة الصخرة

لقد اهتم خلفاء بني أمية ببيت المقدس اهتماما بالغاً ويظهر ذلك من خلال ما فعله عبد الملك بن مروان من بنائه لمسجد وقبة الصخرة يقول ابن كثير " لما أراد عبد الملك عمـارة بيـت المقدس وجه بالأموال ، والعمال ، ووكل بالعمل رجاء بن حيوه ويزيد بن سلام مـولاة ، وجمع الصناع من أطراف البلاد وأرسلهم إلى بيت المقدس ، وأرسل إليه بالأموال الكـثيرة الجزيلة ، وأمر رجاء بن حيوه ويزيد أن يفرغا الأموال إفراغا ولا يتوقفا فيه ، فبثوا النفقات

---

[١] أبيض ، ملكة : التربية والثقافة العربية – الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى،مرجع سابق ، ص:١٥٦.

[٢] العواجي ، حسين هادي محمد : النفقات المالية للدولة الإسلامية في العصر الأموي، رسالة ماجستير ، كلية الدعوة وأصـول الـدين ، الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، ص:١٣٦.

[٣] العواجي ، حسين هادي محمد : النفقات المالية للدولة الإسلامية في العصر الأموي، مرجع سابق، ص:١٣٨.

وأكثروا "[١]، ولقد أُنفقت على بنائها أموال كثيرة حتى قيل " إن عبد الملك بن مروان أوقف على نفقتها ـ أي قبة الصخرة ـ ونفقة عمارة المسجد الأقصى خراج مصر سبعة أعوام"[٢].

ب. الجامع الأموي بدمشق

ويعتبر من أشهر وأروع المساجد التي بناها الأمويون ، فإنه لما فتح المسلمون دمشق بنوا مسجدهم وهو عبارة عن نصف كنيسة (مريحنا) يقول ابن كثير " فاخذوا ـ أي المسلمين ـ نصف هذه الكنيسة الشرقي وجعله أبو عبيدة مسجدا يصلي فيه المسلمون"[٣]، فبذلك كان يشارك المسلمون النصارى في كنيستهم "ولقد حاول معاوية بن أبي سفيان أن يقنع نصارى دمشق بالتنازل عن نصيبهم لضمه إلى المسجد ، فأبوا ذلك فأمسك عن طلبه وعاود عبد الملك بن مروان مطالبتهم بهذا الشطر لإدخاله في الجامع وبذل لهم مالا فأبوا أن يسلموه إليه"[٤]، ثم لما جاء الوليد بن عبد الملك عزم على إدخال الكنيسة في المسجد وذلك " لأن بعض المسلمين كان يتأذى بسماع قراءة النصارى للإنجيل ، ورفع أصواتهم في صلواتهم، فأحب أن يبعدهم عن المسلمين ، وأن يضيف ذلك المكان إلى هذا فيصير كله معبدا للمسلمين ويتسع المسجد لكثرة المسلمين"[٥]، ولقد توصل معهم على اتفاق قام من خلاله ببناء هذا الجامع وتشييده " فقد جمع الخليفة الوليد بن عبد الملك لبنائه أمهر الصناع والمهندسين في العالم من فارس والهند وبلاد الروم والمغرب ، وأنفق على عمارته خراج الشام سبع سنوات "[٦]، وتقول بعض الروايات إن الوليد أنفق عليها من ماله "فقد قيل للوليد إن الناس يقولون أنفق أمير المؤمنين بيوت الأموال في غير حقها ، فنودي في الناس الصلاة جامعة : فقال يا أهل دمشق . والله ما أنفقت في بناء هذا المسجد شيئًا من بيوت المال ، وإنما هذا كله من مالي ، لم أرزأكم من أموالكم شيئاً "[٧]، ولقد كان الجامع الأموي بعد

---

[١] ابن كثير ، أبي الفداء :البداية والنهاية ، إعداد: يوسف الشيخ ومحمد البقاعي ، مرجع سابق ، ٢٢٤/٨.

[٢] عبده ، عبد الله كامل موسى: الأمويون وأثارهم المعمارية في الشام والعراق والحجاز واليمن ومصر وأفريقيه ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ط١ ،١٤٢٣هـ ، ص:٥٤.

[٣] ابن كثير ، أبي الفداء :البداية والنهاية ، إعداد: يوسف الشيخ ومحمد البقاعي ، مرجع سابق ، ١٢٤/٩.

[٤] طهبوب ، صلاح : العصر الأموي ، مرجع سابق ، ص:٢١٠.

[٥] ابن كثير ، أبي الفداء :البداية والنهاية ، إعداد: يوسف الشيخ ومحمد البقاعي ، مرجع سابق ، ١٢٥/٩.

[٦] عبده ، عبد الله كامل موسى: الأمويون وأثارهم المعمارية في الشام والعراق والحجاز واليمن ومصر وأفريقيه ، مرجع سابق، ص:٦٤.

[٧] ابن كثير ، أبي الفداء :البداية والنهاية ، إعداد: يوسف الشيخ ومحمد البقاعي ، مرجع سابق ، ١٢٨/٩.

الانتهاء من بنائه مفخرة للمسلمين في ذلك العصر حتى عدوه من عجائب الدنيا وذلك لحسنه وجماله ولقد انتشرت وازدهرت حلقات العلم فيه حتى أن أحد الشعراء قال في ذلك:

وأرضه برخام قد فرشت ينفسح الطرف في مواضعها

مجالس العلم فيه مونقة ينشرح الصدر في مجامعها[١].

ج. جامع حلب

بني هذا الجامع في خلافة سليمان بن عبد الملك " ولقد تأنق في بنائه ليضاهي به جامع دمشق الذي بناه الوليد بن عبد الملك "[٢]، ولقد بناه سليمان أسوة بمن قبله وعني به عناية فائقة فقد جمله وحسنه وبلغ فيه الغاية من الفخامة والزخرفة .

د. **جامع حمص**

أمر ببنائه خالد بن الوليد عندما كان أميرا على حمص وكان له أربعمائة عبد يعملون ، فلما فرغوا منه أعتقهم " [٣]، ولقد بنى الأمويون في كل مدينة من مدن الشام المساجد والجوامع وأنفقوا على بنائها من بيت مال المسلمين.

بدأ في العصر الأموي تدخل الدولة في التعليم في المساجد فأصبح الحكام يقرون الدروس ، ويقومون بتعيين العلماء ، بل اتسع دور الحكام حتى بدأوا يشيدون المساجد ويقفون الأوقاف عليها للنهوض بالحركة التعليمية فيها.

وظهر هذا التدخل واضحاً منذ عصر معاوية بن أبي سفيان عندما قام بتعيين القُصاص الذين يقصون على الناس في المساجد وذكرنا سابقًا السبب الرئيسي من ذلك.

فقد أصبح القصص في عصر بني أمية وظيفة رسمية يعين ويعزل القاص من قبل الخليفة ويدل على ذلك ما فعله عبد الملك بن مروان عندما عزل أبا إدريس عن القصص وأقره على القضاء فقال : أبو إدريس: عزلتموني عن رغبتي وتركتموني في رهبتي - أي القضاء-[٤]، كما

---

[١] ابن كثير ، أبي الفداء ، المرجع السابق ، ١٣١/٩.

[٢] عبده ، عبد الله كامل موسى: الأمويون وأثارهم المعمارية في الشام والعراق والحجاز واليمن ومصر وأفريقيه ، مرجع سابق، ص:١٠٦.

[٣] ابن كثير ، أبي الفداء :البداية والنهاية ، إعداد: يوسف الشيخ ومحمد البقاعي ، مرجع سابق ، ٧١/٩.

[٤] ابن عساكر ، علي ابن الحسن :تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق،١٦٥/٢٦.

كما نصب عمر بن عبد العزيز ، عاصم بن عمر لتدريس مغـازي رسـول الله في جـامع دمشق[١].

وكان لابد لهؤلاء من عطايا تساعدهم على أن يقوموا بما كُلفوا به تقول ملكه " فلا نملـك معلومات عن وضعهم المادي . ولكننا نتوقع أن تكون لهم مرتبات ، شأ م في ذلك شـأن القضاة وأهل الفتوى وسائر العمال في الدولة ، وأن معظمهم كان يتقبلها"[٢].

ومما يدعم هذا القول ما فعله عمر بن عبد العزيز عندما أمر واليه بحمص بقوله " انظـر إلى القوم الذين نصبوا أنفسهم للفقه ، وحبسوها في المسجد على طلب العلم ، فـأعطي كـل واحدا منهم مئة دينار ، يستعينون ا على ما هم عليه من بيت مال المسلمين "[٣].

وطلب الوليد بن عبد الملك من عبد الله بن عامر اليحصوبي أن يتخذ مكانه لتعليم القران في الجامع بين الجنانه والقنطرة[٤] "[٥]، فقد اهتم الخليفة الوليد بتعليم القران في المساجد.

ويظهر أيضا إشراف الدولة على التعليم من خلال وصية عمر بن عبد العزيز لجعفر بن برقان بقوله : فمر أهل الفقه والعلم من عندك فلينشروا ما علمهم الله في مجالسهم ومسـاجدهم والسلام "[٦].

إن الإنفاق على المساجد اتخذ أشكالا عديدة من قبل الدولة الأموية منها الإنفاق على بنـاء المساجد وتوسيع وإصلاح بعضها و يئتها للمصلين وطلاب العلم وكذلك بتعيين المعلمـين والقصاص والقراء وإجراء الأرزاق عليهم .

٢. الإنفاق على الكتاتيب

ونقصد بذلك الكتاتيب العامة أو كما تسمى - **مكاتب السبيل** - والتي كانـت تقيمهـا الدولة وتشرف عليها بعكس المكاتب الخاصة التي يقيمها المعلمون.

---

[١] ابن سعد : الطبقات الكبرى – القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم ، تحقيق : زياد محمد منصور ،'حياء التـراث الإسـلامي ، المدينة ، ط١ ، ١٤٠٣هـ ، ص:١٢٨.

[٢] أبيض ، ملكة : التربية والثقافة العربية – الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى،مرجع سابق ، ص:٣٣٦.

[٣] الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي :سيرة عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد ، مرجع سابق ،ص:٨٦.

[٤] الجنان: سميت بذلك لما يليه من الجنان وهي البساتين، والقنطرة: المقصود ا القنطرة الغربية قرب الباب الصغير.

[٥] ابن عساكر ، علي ابن الحسن :تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق،٢٨٠/٢٩.

[٦] ابن عبد البر ، أبي عمرو يوسف : جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله ،دار الكتب العلمية ، بيروت ،ت:د،١٢٤/١.

ولقد أبدى خلفاء بني أمية اهتماما بالغاً ذا النوع من المكاتب وذلك لتعليم أبناء المسـلمين الفقراء والمعوزين الذين لا يقدرون على الانضمام إلى المكاتب الخاصة . ومما يـدل علـى إشراف الدولة على تلك الكتاتيب أن الوليد بن عبد الملك جاءه رجل وسأله قضـاء دينـه فقال له الوليد : نعم إن كنت مستحقًا لذلك ثم قال له اقراءت القرآن ؟ قال: لا ، فقـال : الوليد لصاحب الكتاب ضم إليك هذا فلا يفارقك حتى يقرأ القرآن "[١].

"ولقد تعهد الوليد بن عبد الملك بالأيتام وكفلهم ورتب لهم مؤدبين ورتب لهـؤلاء الأرزاق المنتظمة "[٢].

"كما أن يزيد بن عبد الملك أمر بحمل رجل جاهل إلى الكتاب ليتعلم فيه القرآن"[٣].

فهذه النصوص " تؤكد إشراف الدولة على الكتاتيب من بيت مال المسلمين لأ ـا لأولاد المسلمين عامة والتعليم من مسؤولية الدولة "[٤].

ه. الإنفاق على تدوين العلوم

لقد كان عصر بني أميه هو بداية عصر التدوين وأكبر حدث ظهر في هذا ا ال هو تـدوين الحديث الشريف وقد كان بإشراف الدولة على يد الخليفة عمر بن عبد العزيز الـذي أدرك ضرورة ذلك العمل **لعدة أسباب** :

أ. زوال أسباب الكراهية للكتابة ، فأصبح التمييز بين القرآن والحديث أمرا معروفًا .
ب. الخشية من ضياع الحديث لسبب موت كثير من حفاظ الحديث ورواته.
ج. ضعف ملكة الحفظ وإهمال الحفظ بمرور الوقت .
د. ظهور الوضع وكثرة الابتداع بسبب الخلافات السياسية والمذهبية[5].

---

[١] الطبري ، أبي جعفر محمد بن جرير : تاريخ الملوك والأمم ، طبع على نفقة السيد محمد الخطيب وشركاه ،ط٨،٩٧/١.

[٢] الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري ، حوادث ووفيات ٨١-١٠٠هـ ،ص:٥٠٠.

[٣] العواجي ، حسين هادي محمد : النفقات المالية للدولة الإسلامية في العصر الأموي، مرجع سابق ، ص:٥٢٢.

[٤] العواجي ، حسين هادي محمد ، مرجع سابق ، ص:٥٢٢.

[5] محاسنة ،محمد حسين : أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين،مرجع سابق ، ص٧١.

وكان أكثر من ساهم في كتابة الحديث وتدوينه الإمام الزهري، فقد اختاره الخليفة بحكم إقامته في دمشق عاصمة الخلافة و قال الزهري في ذلك "فكتبناها - أي الأحاديث - دفترا دفترا فبعث إلى كل أرض له عليها سلطان دفتراً "[١].

هذا بالاضافه إلى استقباله العلماء في دمشق لسماع الأحاديث التي يعرفو ا وتدوين بعض الأحاديث عنهم "[٢].

دخل على عمر بن عبد العزيز أبو برده ابن أبي موسى الأشعري[٣] فقال له عمر حدثنا بأحاديث أتتك عن رسول الله ، فحدثه ، فدعا عمر بن عبد العزيز بقرطاس ودواة ، فكتب حديثًا وسجل اسم المحدث "[٤].

ولقد كتب الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى كل الأمصار بقوله: "انظروا حديث رسول الله فاجمعوه "[٥]،" ولا شك أن عملية تدوين الحديث بصفة رسمية من قبل الدولة كانت مكلفة مالياً وإن النفقة عليها من بيت المال تحتاج إلى أوراق وأحبار وأقلام وأجور العلماء القائمين على هذه العملية ، خاصة وأن الورق الذي كتب عليه كان هو ورق البردي وكان غالي الثمن لا يستطيع الأفراد العاديون الحصول عليه ولا يستعمل إلا من قبل المسئولين والإداريين الخاضعين للدولة"[٦].

وكانت تتحمل الدولة أيضا نفقات قدوم هؤلاء العلماء إلى الشام من بيت مال المسلمين ويدل على ذلك قصة أبي سلاّم الحبشي مع عمر بن عبد العزيز : "حيث بعث إليه عمر فحمل على البريد. فلما قدم على عمر قال: يا أمير المؤمنين ، لقد شق علي محمل البريد، ولقد أشفقُت على رحلي ، فقال عمر : ما أردنا بك المشقة يا أبا سلاّم ، ولكن بلغني عنك حديث ثوبان مولى رسول الله في الحوض فأحببت أن أشافهك به ، فروى أبو سلام

---

[١] ابن عبد البر ، أبي عمرو يوسف : جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله ، مرجع سابق ،٧٦/١.

[٢] أبيض ، ملكة : التربية والثقافة العربية – الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى،مرجع سابق ، ص:١٣١.

[٣] أبو برده ابن أبي موسى الأشعري، الإمام الفقيه كان قاض الكوفة للحجاج ثم عزله بأخيه أبي بكر، كوفيّ تابعي ثقه، كثير الحديث، توفي سنة١٠٣هجرية (الذهبي :سير أعلام النبلاء ، مرجع سابق ،٣٤٦/٤).

[٤] ابن عساكر ، علي ابن الحسن :تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق، ١٣٤/٢٥.

[٥] المرجع السابق، ٤٤/٦٦.

[٦] العواجي ، حسين هادي محمد : النفقات المالية للدولة الإسلامية في العصر الأموي، مرجع سابق، ص:٥٠٩.

الحديث"[١]، والشاهد من ذلك هو أن عمر بن عبد العزيز حمل أبا سلام على حمـل البريـد الذي ينفق عليه من بيت مال المسلمين .

هذا بالنسبة للحديث ولقد ظهر تدوين للعلوم الأخرى وكان متواضعا وخاصاً بالخلفاء فقط ولمكتبا م فقد طلب معاوية بن أبي سفيان من عبيد بن شرية الجرهمي أن يكتب لـه عـن تاريخ العرب فكتب له كتابا اسماه كتاب الملوك وإخبار الماضين[٢] ، واهتم بعض خلفاء بني أمية بتدوين مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وممن كتب في المغازي ابن شهاب[٣].

و. الإنفاق على الترجمة

لقد شجع الأمويون الترجمة ولقد ظهرت بوادرها في ذلك العصر ويعتبر المؤرخون أن العصر الأموي كان هو البذرة الأولى لازدهار وظهور الترجمة في العصر العباسـي فقـد مهـدت وسهلت السبيل له وأكبر دليل على ذلك أن أول من قام بترجمة كتب الطب والكيمياء هو خالد بن يزيد[٤] وحدث في عهد عبد الملك بن مروان تعريب الدواوين[5] وفي عهد عمر بـن عبد العزيز استقدم الأطباء غير العرب وأمر عمر بترجمة كتبهم فقد قام الطبيب ماسـرجويه بترجمة كتاب أهرن القس في الطب وقام عمر بن عبد العزيز بإخراجه إلى المسلمين لينتفعوا به، بعد أن استخار الله في إخراجه[٦] "وكان الإنفاق على الترجمة وما تسـتلزمه مـن أوراق وأقلام وأحبار في العصر الأموي من بيت المال فضلاً عن المكافأت الـتي يتحصـل عليهـا المترجمون من الخلفاء "[٧].

---

[١] ابن عساكر ، علي ابن الحسن :تاريخ مدينة دمشق مرجع سابق، ٢٦٤/٦٠،.

[٢] أبيض ، ملكة : التربية والثقافة العربية – الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى،مرجع سابق ، ص:٣٣.

[٣] أمين ، أحمد :فجر الإسلام ، مرجع سابق ، ص:١٥٠.

[٤] الجاحظ ، أبو عثمان عمرو :البيان والتبيين ،مرجع سابق ، ٢٦٧/١.

[5] ابن الأثير ، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني: الكامل في التاريخ، تحقيق: علي شيري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١، ١٤٢٥هـ، ١٥٠/٤.

[٦] أمين ، أحمد :فجر الإسلام ، مرجع سابق ، ص:١٥٤.

[٧] العواجي ، حسين هادي محمد : النفقات المالية للدولة الإسلامية في العصر الأموي، مرجع سابق ، ص:515.

ثانياً : إنفاق العلماء

لقد أسهم العلماء بتمويل التعليم مساهمة كبيرة في العصر الأموي وقد اتخذ تمويلهم للعلم وطلابه عدة **أشكال منها** :

١. **العمل التطوعي :**

فقد تحدثنا سابقاً عن موقف بعض العلماء الذين رفضوا أخذ أجر على تعليمهم واحتسبوه لوجه الله تعالى : " فقد كانوا ينظرون إلى العمل في التعليم نظرة تعبدية خالصة ، حيث كان العلماء يؤدون أعمالهم في صدر الإسلام طلباً للثواب من الله فلم تدفع لهم الدولة مرتبات "[١].

وكانوا يطبقون حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في نشر العلم وأن من كتمه يتعرض للوعيد الشديد قال صلى الله عليه :" من سأل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة"[٢].

فقد شهدت مساجد الشام الكثير من حلقات العلم التي تحوي علماء نذروا أنفسهم للتعليم التطوعي إحتساباً للأجر والثواب وخاصة العلوم الدينية

فقد كان بعض العلماء يرفضون الأجر حتى من الدولة ويدلنا على ذلك " ما فعله يزيد بن أبي مالك الدمشقي عندما أرسله عمر بن عبد العزيز إلى البدو ليفقه الناس وأجرى عليه الرزق ولكن لم يقبل "[٣].

وتعدى الأمر إلى رفض بعض العلماء قبول حتى الهدايا من الطلاب مقابل التعليم فقد رفض الإمام الأوزاعي هدية من رجل جاء يسمع حديثه ، وقال : " إن شئت قبلت هديتك ولم تسمع مني حرفاً وإن شئت فاقبض هديتك واسمع"[٤].

وهذا "عطاء يجلس مع المساكين يعلمهم ، ويروي لهم الحديث "[١]، فقد كان علماء السلف لا يريدون جزاءً إلا من الله سبحانه وتعالى .

---

[١] احمد ، سعد مرسي و سعيد إسماعيل علي: تاريخ التربية والتعليم ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٤م ،ص:١٢٠.

[٢] أبو داوود، سليمان بن الأشعث السجستاني:سنن أبي داوود ،مرجع سابق، باب كراهية منع العلم، رقم الحديث:٣٦٥٨، ٦٨/٤.

[٣] الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي :سيرة عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد ، مرجع سابق ،ص:٦٩.

[٤] الذهبي شمس الدين محمد :سير أعلام النبلاء ، مرجع سابق، ١٣٢/٧.

وبما أن بعض العلماء كان يقوم بالتعليم التطوعي فإنه بذلك يحتاج إلى مصدر آخر لكسب رزقه وكان ذلك عن طريق العمل بالإضافة إلى التعليم تقول ملكة " إن معظم العلماء كانوا يعانون من عدم استقرار مواردهم المالية ، ومن التبعة للأصدقاء أو السلطان والتخلص من هذه الظروف فضل بعضهم كسب قوته بالعمل في مجالات التجارة أو الحرف ، كما نصحوا طلابهم بإتباع ذلك "[2].

فقد قال أبو قلابه لأحد طلابه " إياك وأبواب السلطان .. والزم سوقك فإن أعظم العافية الغنى عن الناس "[3] والمقصد من ذلك هو أن يستغني المرء عن أموال الناس ، ولهذا فقد مارس الكثير من العلماء المهن التي تؤمن لهم العيش وتساعدهم على التعليم والتعفف عما في يدي الناس فقد كان القاسم بن مخيمرة[4] تاجراً بدمشق ، فقد روي عنه أنه " دخل على عمر بن عبد العزيز ففرض له وأمر له بغلام فقال : الحمد لله الذي أغناني عن التجارة "[5].

إذاً فقد برز العلماء كمصدر من مصادر تمويل التعليم من خلال العمل التطوعي ومن خلال إنفاق الموسرين منهم على طلبة العلم ، ومن خلال جمع الأموال من الخلفاء وتوزيعها على طلابهم.

٢. إنفاق العلماء على طلبة العلم:

لقد كان للمعلمين دور بارز في تمويل التعليم فالإضافة إلى عملهم التطوعي وتورعهم عن أخذ أجر من الدولة أو من الطلاب عمد البعض منهم إلى الإنفاق على طلبة العلم ومساعدتهم.

---

[1] ابن عساكر ، علي ابن الحسن :تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق،٤٣١/٤٠.

[2] أبيض ، ملكة : التربية والثقافة العربية – الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى،مرجع سابق ، ص:٣٤٠.

[3] ابن عساكر ، علي ابن الحسن :تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق،٣٠٤/٢٨.

[4] القاسم بن مخيمرة أبو عروة الهمداني الكوفي ، كان معلماً أصله كوفي ثم صار إلى الشام وسكن دمشق ، توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز سنة مئة (ابن عساكر ، علي ابن الحسن :تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق،٢٠٩/٤٩).

[5] المرجع السابق،٢٠٦/٤٩.

قال أحد طلبة الزهري " إن حديثك ليعجبني ، ولكن ليست معي نفقة فأتبعك، قـال : اتبعني أحدثك وأنفق عليك "[١].

" فروى عنه أنه كان يخرج للأعراب يفقهم ويطعمهم وجاءه أعرابي وقد نفذ ما في يده، فمد الزهري يده إلى عمامة – عقيل – فأخذها من رأسه وأعطاها الرجل وقال : يـا عقيل أعطيك خيراً منها "[٢].

كما أسهم العلماء في مساعدة طلا م من خلال تلقي الأموال من الحكـام وتوزيعهـا عليهم " فروي عن مكحول أنه كان يقبل أعطيات السلطان ثم يقوم بقسمتها بينه وبين طلبته فأُعطي مرة عشرة آلاف دينار ، فوزع القسم الأكبر منها بين طلابه فكان يعطي الرجل منهم خمسين ديناراً ثمن الفرس "[٣].

وكان العلماء يشركون طلبتهم طعامهم وشرا م عند تحديثهم فقد كان ابن شهاب إذا أبي أحد من أصحاب الحديث أن يأكل طعامه حلف أن لا يحدثه عشرة أيام "[٤].

فلقد ضرب علماء ذلك العصر أروع الأمثلة في الكرم وتفقد تلاميذهم و البذل لهم بمـا يملكون من مال وطعام في سبيل إتخاذ الفرصة لهم لطلب العلم حتى عدوهم مثل أبنائهم، فعن سعيد بن عبد العزيز قال : "كنا عند مكحول كبعض ولده"[٥].

---

[١] ابن عساكر ، علي ابن الحسن :تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق،٣٧٩/٥٥.
[٢] المرجع السابق،٣٧٨/٥٥.
[٣] المرجع السابق،٢٢٤/٦٠.
[٤] المرجع السابق،٣٧٩/٥٥.
[٥] المرجع السابق،١٩٨/٢١.

ثالثاً : إنفاق الطلاب

" لقد أدى حرص الطلبة على طلب العلم إلى بروزهم كمصدر من مصادر تمويل التعليم، وقد برز إسهام الطلاب في تمويل التعليم من خلال أشكال متعددة مثل : الجمع بين الدراسة والعمل في إحدى المهن للإنفاق على أنفسهم ، أو من خلال إنفاق الطلاب على أنفسهم من الأموال التي ورثوها "[١].

فلقد كان طالب العلم في تلك الفترة يتحمل عبء ومسئولية تلقيه التعليم فقد كان يتحمل جميع تكاليف تعليمه وأجور معلميه ورحلته في طلب العلم فقد كان بعض الطلاب ميسوري الحال يستطيعون تكفل نفقات تعليمهم من مالهم الخاص فقد كان أبناء الأمراء والخلفاء وأصحاب النفوذ يدفعون تكاليف مؤدبيهم من مالهم الخاص وهذا خالد بن يزيد الذي درس الطب والكيمياء على حسابه الخاص.

وكان بعضهم ينفق على نفسه من مال تركه له والده أو أحد ورثته فعن إسماعيل بن عياش قال : " ورثت من أبي أربعة آلاف دينار فأنفقتها في طلب العلم "[٢].

وهذا بالنسبة للموسرين من طلبة العلم أما غيرهم فقد كان يضطر إلى العمل لكي ينفق على تعليمه وقد رأينا كيف نصح أبو قلابة أحد طلابه بالعمل يقوله " وألزم سوقك فإن أعظم العافية الغني عن الناس "[٣].

" فقد كان الكثير من طلاب العلم يمارسون مهنة أخرى يعيشون منها وينفقون على طلب العلم إذ لا يتعارض العمل وطلب العلم ويرى ابن حجر على أن الطالب لا يغفل عن النظر في أمر معيشته ليستعين على طلب العلم وغيره "[٤].

---

[١] الرفاعي ،سعد سعيد جابر :مصادر وأساليب تمويل التعليم في العصور الإسلامية الأولى ، مرجع سابق، ص:١٦٣.
[٢] الذهبي شمس الدين محمد :سير أعلام النبلاء ، مرجع سابق، ٣١٥/٨.
[٣] ابن عساكر ، علي ابن الحسن :تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق،٣٠٤/٢٨.
[٤] الرفاعي ،سعد سعيد جابر :مصادر وأساليب تمويل التعليم في العصور الإسلامية الأولى ، مرجع سابق، ص:٨٢.

رابعًا: الإنفاق من الهبات والإعانات

تعريف الهبات والإعانات:

وتعرف الهبة:" بأ ا تمليك عين على غير عوض معلوم في الحياة وتطلق علـى الشـيء الموهوب وتطلق على أعم من ذلك"[1].

ويراد بالهبة :" التبرع والتفضل على الغير سواء كان بمال أو بغيره "[2].

ولقد لعبت الهبات والصدقات دوراً في مجال تمويل التعليم وذلك لأن التمويل الحكومي لم يكن منظماً وكافياً بالنسبة للتعليم وكان متواضعاً نوعاً ما عما في العصور التي تليـه فقد كانت أجور المعلمين غير ثابتة وغير كافية أحياناً وقد كان كثير مـن العلمـاء لا يقلبها تورعاً ولكن الهبات كانت تلقي قبولاً منهم لأ ا نوع من الهدية وقد قبل الرسول صلى الله عليه وسلم الهدية فقبولها لم يكن موضع خلاف بينهم فهم يتفقون على قبولها.

وقد كانت بعض الهبات تعطي من قبل الدولة وقد أشرنا إلى ذلك سابقاً وكانت تعطي من بيت مال المسلمين وأحياناً من مال الخليفة الخاص

ولم تقتصر على الخلفاء بل تعد ا إلى أهل الخير من عامة الناس والموسرين منهم.

فقد سئل عطاء عن مصدر معاشه فقال " من صلة الإخوان وجوائز السلطان "[3].

فقد كان عطاء أهل الخير لا ينقطع في سبيل نشر العلم وتعلمه وخصوصاً بقرن هو من خير القرون فقد كان الموسرين يتسابقون في هذا ا ال.

فلم تكن الهبات خاصة بالمعلمين بل تعدته إلى طلاب العلم فقد كان أهل الخير يتعهدون برعاية ونفقة من يرون أن له رغبة ونجابة في التعليم فعن الأوزاعي قال : " مات أبي وأنا صغير ، فذهبت ألعب مع الغلمان ، فمر بنا فلان – وذكر شيخاً جليلاً من العـرب –

---

[1] الصنعاني، محمد بن اسماعيل الأمير اليمني: سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام ،ط٤، دار الكتاب العـربي ، بـيروت ، ١٤٠٧هـ،١٨٩/٣.

[2] سابق ،سيد : فقه السنة،ط١، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩١هـ ، ٥٣٥/٣.

[3] ابن عساكر ، علي ابن الحسن :تاريخ مدينة دمشق ، مرجع سابق،٤٣٤/٤٠.

ففر الصبيان حين رأوه ، وثبت أنا ، فقال : ابن من أنت ؟ فأخبرته فقال : يا ابن أخي ! يرحم الله أباك . فذهب بي إلى بيته فكنت معه حتى بلغت ، فألحقني في الديوان "[١].

إذاً فقد كانت الهبات مصدراً رئيسياً من مصادر تمويل التعليم ولكن لعدم ثباتها وإستمراريتها "جعل الاعتماد عليها أمراً في غاية الصعوبة ، نظراً لعدم وجود نظام واضح أو آلية معينة تحكمها إلا ما تجود به النفوس وهو الشيء الذي يتفاوت من شخص لآخر ومن وقت لآخر لذات الشخص"[٢].

---

[١] الذهبي شمس الدين محمد :سير أعلام النبلاء ، مرجع سابق، ١١٠/٧.

[٢] الرفاعي ،سعد سعيد جابر :مصادر وأساليب تمويل التعليم في العصور الإسلامية الأولى ، مرجع سابق، ص:٨٩.

خامساً: الإنـفاق من الوقف :

١. تعريف الإنفاق من الوقف:

ويعرف بأنه :"حبس مالك ماله المنتفع به مع بقاء عينه عن التصرفات برقبتـه ، وتسـبيل منفعته على شيء من أنواع القرب ابتغاء وجه الله "[١].

٢. حكم الإنفاق من الوقف:

مستحب وقد ثبت بالسنة بأحاديث كثيرة.

ولقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على الوقف فقال : " إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له"[٢].

فهو أفضل الصدقات التي حث الله عليها لأنه صدقة دائمة ثابتة وهذا الفضل المترتب عليه إذا كان وقفاً شرعياً مقصوداً به وجه الله تعالى، موجهة مصارفه إلى وجوه البر والإحسان مـن بناء المساجد ، والإعانة على علم نافع ، والدعوة إلى الله أو المشاريع الخيرة ، وصـرفه إلى ذوي القربى والفقراء والمساكين ، ومساعدة أهل الخير والصلاح على طاعة الله تعالى "[٣].

ولقد انتشر الوقف الخيري في عصر بني أمية حتى أ م جعلوا ديوان مستقل للوقف.

" فلقد استطاع الوقف خلال التاريخ الإسلامي أن يتحمل المسؤولية في إقامة نظام تعليمـي فكان عصر العلم والعلماء الزاهر واحداً من منتجات نظام الوقف في تاريخنا الإسـلامي "[٤]، "وإن جميع المساجد في الإسلام تأخذ حكم الوقف"[٥].

" وقد كان رواد المسجد ، وبالذات طلبة العلم منهم من أكثر شرائح ا تمع استفادة مـن ريـع الأوقاف، فالمساجد التي يتعلمون فيها ، وجميع مرافقها ، ومعظم خدما ا كانت من نوع الوقف الخيري ، مما وفر على طلبة العلم دفع رسوم لقاء دخولهم إليها واستفاد م من خدما ا "[١].

---

[١] البسام ، عبد الله بن عبد الرحمن : توضيح الأحكام من بلوغ المرام، مرجع سابق، ٢٥٠/٤.

[٢] مسلم: صحيح مسلم بشرح النووي ،كتاب الوصية ، ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ، مرجع سابق، ٨٥/١١.

[٣] البسام ، عبد الله بن عبد الرحمن : توضيح الأحكام من بلوغ المرام، مرجع سابق، ٢٥٠/٤.

[٤] قحف ، منذر : السياسة المالية دورها وضوابطها في الإقتصاد الإسلامي ، دار الفكر ، دمشق ، ط١ ، ١٤١٩هـ ، ص:٦٦.

[٥] قحف ، منذر :السياسة الإقتصادية في إطار النظام الإسلامي ، (الدور الإقتصادي للوقف في التصور الإسلامي) ، المعهـد الإسـلامي للبحوث والتدريب ، البنك الإسلامي للتنمية ، جدة ، ١٤١٨هـ ، ص:٤٢٠.

◄ ملخص الفصل السادس :

كان لنظرة الإسلام للعلم والمعرفة الأثر الكبير على تمويل التعليم، إذ أوجدت هذه النظـرة دافعا دينيا قويا في نفوس المسلمين يحركهم لطلب العلم وتحصيله، بل وأسهمت هذه النظرية في روح المسؤولية الجماعية اتجاه تمويل التعليم مما أوجد عددا هائلاً من العلمـاء والمعلمـين الذين يسعون لنشر العلم والمعرفة وتيسير نشره لمن يطلبه، فالبرغم من مساهمات الخلفـاء في نفقات التعليم إلا أ ا كانت ضئيلة بالقياس إلى مساهمات الأفراد فلقد برز العلماء كمصدر من مصادر التمويل من خلال عملهم التطوعي بفتح منازلهم لطلاب العلم هذا بالإضافة إلى تقديم المساعدات والإعانات لهم والنفقة عليهم، وأدى حرص الطلبة على طلب العلـم إلى بروزهم كمصدر من مصادر التعليم وذلك من خلال جمعهم بين الدراسة والعمل، أو مـن خلال تقديم المساعدات لزملائهم.

هذا وقد ظهرت مصادر أخرى لتمويل التعليم متمثلة في الوقف والهبات والتبرعـات الـتي يقدمها أهل الخير لإنجاح العملية التعليمية.

إن تنوع هذه المصادر يدل على روح المسؤولية التي شعر ا ذلك الجيل فلم يكونوا يعتمدون على ما تقدمه لهم الدولة لذلك ازدهر التعليم في عصرهم وتطورت الحركة العلمية وشهدت نشاطًا واضحا فيجب علينا العمل على تفعيل هذه النظرة الإيجابية للعلم والعمل في مجتمعاتنا وتوجيه ا تمع بواجبه الديني اتجاه التعليم ودعوته للإسهام في تمويله مـن خـلال وسـائل الإعلام ومجالس الآباء.

فالنجاح الذي حققه ذلك الجيل في ذلك العصر يعود الفضل فيه إلى الله سبحانه وتعالى أولاً ثم الحس الجماعي والشعور بالمسؤولية تجاه التعليم وتمويله.

---

[١] السفياني ، صالحة بنت حاي يحى: التعليم في المساجد في القرن الأول الهجري، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة أم القرى ،مكـة المكرمة ، ص:١٦٢.

الخاتمة والنتائج والتوصيات والمقترحات

الخاتمة والنتائج والتوصيات والمقترحات

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد:

فقد تناول هذا البحث موضوع التعليم في الشام في العصر الأموي وشملت مفرداتـه: الأحوال العامة في الشام في العصر الأموي، ومؤسسا ا التعليمية، والوسائل والطرق المتبعـة في التدريس، والمواد الدراسية التي تدرس في تلك المؤسسات، ثم تمويل التعليم في الشام.

وقد بذلت الباحثة جهدها في إخراج هذا البحث، مع محاولتها الالتزام بالمنهج العلمي في تناولها لهذا الموضوع، ولكن العمل البشري يظل اجتهادا قابلاً للصـحة والخطـأ، فـإن أحسنت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي، هذا ونسأل الله التوفيق والسداد.

وقد توصلت الباحثة في اية هذا البحث إلى عدة نتائج وتوصيات وهي:

النتائج

٨. أن الطابع الديني هو الطابع الذي امتاز به التعليم في الشام في العصر الأمـوي، وأن القرآن الكريم كان هو المحور الذي نشأت حوله أكثر العلوم.

٩. أن المنجزات التي تمت في عهد الأمويين وضعت أساسا متينا لازدهار التعليم وتطوره ظهر وبرز في العصر العباسي وما بعده.

١٠. يعتبر الأمويون وخصوصا في الشام من الرواد الأوائل في أخذهم العلوم مـن الثقافات الأخرى، والاستفادة منها وترجمتها.

١١. تعددت مؤسسات التعليم في الشام في العصر الأموي، ولكن كان المسـجد هو أهم تلك المؤسسات وأقواها على الإطلاق.

١٢. أن الشام في ذلك العصر زخر بثلة من العلماء والأدباء والمؤرخين الذين نهضوا بالحركة العلمية وأثروا بجهودهم وعطائهم ونتائجهم العلوم، وكان لهم دور بارز ومتميز في خدمة هذه العلوم.

١٣. لقد ساعد على تطور التعليم في الشام في العصر الأموي عدة عوامل منها الاستقرار السياسي والازدهار الاقتصادي وبعدها نسبيا عن تأثير الفرق والمذاهب الدينية التي كانت منتشرة في ذلك العصر.

١٤. كثرة الطرق والأساليب التربوية التي استخدمها العلماء في الشام في العصر الأموي.

١٥. التمويل وتنوع مصادره كانت من عوامل ازدهار التعليم وتقدمه.

١٦. أن أمة الإسلام في ذلك العصر كانت هي القائدة ركب البشرية، لأنها كانت مؤهلة لهذه المسؤولية فكريا وتربويا وعسكريا وسياسيا، فسادت أفكارها وعقيدتها وثقافتها ونظمها التربوية كثيرا من أرجاء المعمورة.

١٧. يتضح من هذه الدراسة أن الحياة العلمية في الدولة الأموية في الشام نمت على أيدي رجالها مدفوعة بحث الإسلام عليها وعكوف المسلمين على الأخذ من معينها وبما توفر من أسباب التطور والنماء.

التوصيات

من التوصيات التي توصي به الباحثة في هذا البحث ما يلي :

١. إعادة ربط المسلمين بماضيهم، ومعرفة الجهود الكبيرة التي بذلها أسلافنا في مجال التربية والتعليم والتي وصلت إلينا وتركت أثرا بارزا.

٢. التعرف العلمي الموضوعي على تراثنا العلمي الإسلامي، للوصول إلى رؤية واضحة بمبادئ التربية والتعليم وأساليبها والاستفادة منها في العملية التربوية.

٣. دراسة علماء ذلك العصر في الشام دراسة تحليلية وافية للإفادة من دورهم في عملية التربية والتعليم، أمثال الإمام الزهري، الإمام الأوزاعي والعالم خالد بن يزيد.

٤. إعادة تفعيل دور المسجد التعليمي.

٥. تكثيف العلوم الدينية وخصوصا القرآن في المناهج التربوية حتى يتخرج لدينا علمـاء ومهندسون وأطباء لم يفصلوا دينهم عن دنياهم، ولديهم إلمام بالعلوم الإسلامية كما كان الأمر في أسلافنا.

٦. الاهتمام بتمويل التعليم وزيادة نسبة المخصصات على التعليم والبحث العلمي.

٧. الاهتمام بتنوع أساليب وطرق التعليم في مناهجنا الدراسية.

٨. تضمين المناهج الدراسية لبعض النماذج من العلماء في العصر الأموي ليقتدي بهـم الطلاب.

المقترحات

على ضوء ما تقدم تقترح الباحثة، إعداد دراسات علمية حول الجوانب التالية :

١. إجراء دراسة حول الجامع الأموي ودوره التربوي في الشام في العصر الأموي.

٢. إجراء دراسة حول دور مجالس الخلفاء في إثراء الحركة التعليمية في الشـام في العصـر الأموي.

٣. إجراء دراسة حول إسهامات منازل العلماء في التعليم في العصر الأموي في الشام.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع والرسائل

أولاً- المصادر :

١. القرآن الكريم
٢. ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي:الكامل في التاريخ ، تحقيق: علي شيري ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ.
٣. ابن أصيبعة، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي:عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، المطبعة الوهيبية، ط١، ١٣٩٩هـ.
٤. ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم:مقدمة في أصول التفسير، تحقيق: عدنان زرزور ، دار القرآن الكريم، الكويت، ط١، ١٣٩١هـ.
٥. ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد:رحلة ابن جبير، ملتزم بالطبع عبد الحميد أحمد حنفي، مصر ، ط١، ت:د.
٦. ابن الجزري،أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي:النشر في القراءات العشر ، تصحيح: علي محمد الضباع، مطبعة مصطفى محمد، مصر، ت:د.
٧. ـــــــــــــــــــــــ،ـــــ :غاية النهاية في طبقات القراء ، مكتبة الخانجي، مصر، ط١ ، ١٣٥١هـ.
٨. ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج: سيرة عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد ، دار الفجر للتراث، القاهرة، ١٤٢٠هـ،ط١.
٩. ابن حنبل، أبي عبد الله أحمد : مسند الإمام أحمد بن حنبل ، بيت الأفكار الدولية ، الرياض ، ١٤١٩هـ.
١٠. ابن خلدون،عبد الرحمن بن محمد:تاريخ ابن خلدون – العبر وديوان المبتدأ والخبر تحقيق: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الأردن، ت:د.
١١. ابن سعد، محمد :الطبقات الكبرى ، إحياء التراث الإسلامي، المدينة، ط١، ١٤٠٣هـ.

١٢. ابن عبد ربه، أبي عمرو أحمد بن محمد: العقد الفريد ، شرحه أحمد أمـين، أحمـد الزين، إبراهيم الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٧٥هـ.

١٣. ابن عساكر ، أبو القاسم علي ابن الحسن بن هبه الله الشافعي :تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق :محب الدين أبي سعيد عمر بن عرامة العمروى ، دار الفكر للطباعـة ، بـيروت ،١٤١٨هـ.

١٤. ــــ،ـــــــ: ذيب تاريخ مدينة دمشق، هذبه: عبد القادر بـدران، دار السيرة، بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ.

١٥. ابن فارس، أحمد: مجمل اللغة، تحقيق: عبد المحسن سلطان،مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ، ط١.

١٦. ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر:إعلام الموقعين عـن رب العالمين ، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، دار الفكر ، بيروت، ت:د.

١٧. ابن كثير، أبي الفداء: البداية والنهاية، دار الكتب العلمية، لبنـان، بـيروت، ط٢، ١٤١٨هـ.

١٨. ابن منظور، محمد بن مكرم : لسان العرب ، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ.

١٩. ابن النديم، أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحق: الفهرست، تحقيق: رضا-تجـدد، حقوق الطبع للمحقق.

٢٠. الأشبيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح: المستطرف في كل فن مستظرف ، دار إحياء التراث العربي، ت:د.

٢١. الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين:كتاب الأغاني ،مطبعـة كوسـتا تومـاس وشركاه ، القاهرة، مصور من طبعة دار الكتب، ت:د.

٢٢. أبو داوود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي :سنن أي داوود ،دار الحديث ، بيروت ، لبنان ، ط١ ،١٣٩١هـ.

٢٣. البخاري، أبو عبد الله محمد اساعيل:صحيح البخاري ، عالم الكتب، بيروت، ط٥، ١٤٠٦هـ.

٢٤. البغدادي،أبو بكر أحمد بن علي: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ.

٢٥. ـــــــ، ـــــــــــ :الرحلة في طلب الحديث ، حققه نور الدين عتر ، مكتبة الحرم المكي ،١٣٩٥هـ ،ط١.

٢٦. ـــــــ، ـــــــــــ :تقييد العلم ، حققه يوسف العش ، دار إحياء السنة النبوية ، ط٢ ،١٩٧٤م.

٢٧. البلاذري، أبي العباس أحمد بن يحي بن جابر: فتوح البلدان ، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، المعارف، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٢٨. الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر :البيان والتبين ، شرحه: على بو ملحم، دار الهلال، بيروت، ٢٠٠٢م.

٢٩. الحموي، ياقوت : معجم البلدان ، دار الفكر، بيروت، ت:د.

٣٠. خلكان، أبي العباس شمي الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر:وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

٣١. الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٣ ، ١٤١٩هـ .

٣٢. ـــــ، ـــــــــــــــ: تذكرة الحفاظ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، ط٢، ١٣٣٣هـ.

٣٣. الرامهرمزي ، الحسن بن عبد الرحمن :المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ، تحقيق: محمد عجاج الخطيب ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩١هـ ،ط١.

٣٤. زاده، طاش كبرى: مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

٣٥. السجستاني ، أبي الحاتم : المعمرون والوصايا ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركائه ، ١٩٦١م.

٣٦. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ١٤١٨هـ.

٣٧. السمعاني، أبي سعد عبد الكريم بن محمد بـن منصـور التميمـي: أدب الإمـلاء والإستملاء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط١ ، ١٤٠١هـ.

٣٨. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: تدريب الراوي في شرح تقريـب النواوي ، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، المكتبة العلميـة، المدينـة المنـورة، ط١، ١٣٧٩هـ.

٣٩. ـــــــ،ـــــــــــــــــ: تاريخ الخلفاء تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ص: ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط٢ ،١٣٧٨هـ.

٤٠. الشهرستاني، أبي الفتح محمد عبد الكريم بن أبي بكر أحمد: الملل والنحل، دار الإتحاد العربي، ١٣٨٧هـ.

٤١. صفوت، أحمد زكي:جمهرة رسائل العرب في العصور العربية الزاهـرة ، مكتبـة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط١، ١٣٥٦هـ.

٤٢. الصنعاني، محمد بن اسماعيل الأمير اليمني: سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٤، ١٤٠٧هـ.

٤٣. الطبري ، أبي جعفر محمد بن جرير : تاريخ الملوك والأمم ، طبع على نفقة السـيد محمد الخطيب وشركاه ،ط١،ت:د.

٤٤. الغزالي ، أبي حامد : إحياء علوم الدين ، دار الفكر ،بيروت، ١٣٩٥هـ.

٤٥. الفيروزأبادي الشيرازي، جمال الدين أبو إسحاق إبراهيم بن علي:طبقات الفقهـاء ، المكتبة العربية ت:د.

٤٦. الفيروزابادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب : القاموس المحـيط ، مؤسسـة الحلـبي وشركاه للنشر والتوزيع ، القاهرة .

٤٧. القرطبي، أبي عمر يوسف ابن عبد البر النمري:جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله ، إدارة الطباعة المنيرية ،مصر، ط١،ت:د.

٤٨. القلقشندي، أبي العباس أحمد:صبح الأعشـى ، المطبعـة الأميريـة ، القـاهرة، ١٣٣١هـ.

٤٩. الكتاني، عبد الحي :نظام الحكومة النبوية –التراتيب الإدارية- ، الناشر حسن جعنا، بيروت، ت:د.

٥٠. المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميـد ، مطبعة السعادة ، ط٢ ، ١٣٦٧هـ.

٥١. مسلم : صحيح مسلم بشرح النووي ، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

٥٢. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: اية الأرق في فنون الأدب، مطـابع كستا توماس وشركاه، القاهرة،ت:د.

٥٣. الهمذاني، أبو الحسن عبد الجبار:فرق وطبقات المعتزلة، تحقيق: علي سامي النشـار وعصام الدين محمد علي ، دار المطبوعات الجامعية ، ١٩٧٢م.

٥٤. الواحدي: أبي الحسن علي بن أحمد: أسباب ال ول ، تحقيق: كمال زغلـول ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

ثانياً- المراجع:

١. الأبراشي ، محمد عطية :التربية الاسلامية وفلاسفتها ، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٨٩هـ ،ط٢.
٢. أبوحبيب، سعدي: مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموي، دار لسان العرب، لبنان، ١٣٩٢هـ.
٣. أبو زهرة، محمد :تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، ت:د.
٤. أبيض ، ملكة : التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٠م.
٥. أحمد، سعد مرسي، سعيد إسماعيل علي: تاريخ التربية والتعليم، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٤م.
٦. أحمد ، سعد مرسي: تطور الفكر التربوي ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط١٢، ١٤٢٥هـ .
٧. أقلانية، مكي: النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الثلاثة الأولى ، مطبعة طوب بريس، الرباط، ٢٠٠٢م.
٨. أمين، أحمد:فجر الإسلام ،المكتبة العصرية، صيدا، ط١، ٢٠٠٦م.
٩. البسام، عبد الله بن عبد الرحمن: توضيح الأحكام من بلوغ المرام ، مؤسسة حبيب درغام وأولاده ،لبنان ،ط٢، ١٤١٤هـ.
١٠. البغا، مصطفى ديب، ومحي الدين ديب: الواضح في علوم القرآن، دار الكلم الطيب، دمشق ،سوريا، ط١ ،١٤١٧هـ.
١١. البكار، عبد الكريم :حول التربية والتعليم ، ١٨٤/٥، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ.
١٢. التفتازاني، أبو الوفا الغنيمي: علم الكلام وبعض مشكلاته ، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٩هـ.

١٣. جان ، محمد صالح بن علي : المرشد النفيس إلى أسلمه طرق التدريس ، دار الطرفين ، الطائف ،١٤١٩هـ ،ط١.
١٤. الجزائري ، أبو بكر جابر :أيسر التفاسير لكلام العلـي الكـبير ،راسـم للدعايـة والإعلام، جدة ، ط٤ ، ١٤١٢.
١٥. جلي،أحمد محمد أحمد: دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (الخوارج والشـيعة) ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط٢، ١٤٠٨هـ.
١٦. حسن، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،ط٧ ، ١٩٦٤م.
١٧. حمزة، محمد: التآلف بين الفرق الإسلامية، دار قتيبة،دمشق، ط١ ، ١٤٠٥هـ.
١٨. الخربوطلي، علي حسنى: الحضارة العربية الإسلامية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة،ت:د.
١٩. الخضري، محمد بك : الدولة الأموية ، المكتبة العصرية، صيدا، ١٤٢٥هـ.
٢٠. الخطيب ، محمد شحاته، وآخرون: أصول التربية الإسلامية ، الخريجـي للنشـر ، الرياض ، ط٢ ،١٤٢١هـ.
٢١. خير الله، أمير أسعد:الطب العربي ، المطبعة الأميريكانية، بيروت، ١٩٤٦م.
٢٢. الدوري، عبد العزيز : التربية العربية الإسلامية (المؤسسات والممارسات)، مـدخل تاريخي ، مؤسسة آل البيت، عمان، ١٩٨٩م.
٢٣. الذهبي، محمد حسين: التفسير والمفسرون ، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٦، ١٤١٦هـ.
٢٤. الرفاعي، أنور: الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والأدبيـة والعلميـة والاجتماعية والاقتصادية والفنية ، دار الفكر، دمشق، ط٣ ، ١٩٩٧م.
٢٥. الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٢، ١٩٨٧م.
٢٦. الزرو، خليل داوود: الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني للـهجرة ، دار الآفاق الجديدة، لبنان.
٢٧. الزنتاني ، عبد الحميد الصيد: أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ،١٩٨٤م .

٢٨. الزياد، أحمد حسن: تاريخ الأدب العربي ، دار الثقافة ، بيروت، ط٢٦.

٢٩. سابق ،سيد : فقه السنة، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩١هـ ،ط١.

٣٠. السدلان، صالح بن غانم:المسجد ودوره في التربية والتوجيه وعلاقتـه بالمؤسسـات الدعوية في ا تمع ، دار بلنسية، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ.

٣١. السلمي،محمد صامل العلياني:داراسات منهجية – منهج كتابة التاريخ الإسـلامي ، دار طيبة للنشر، الرياض، ط١، ١٤٠٦هـ.

٣٢. الشريف، عبد الله بن حسين:الدولة الأموية في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ، دار القاهرة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م.

٣٣. شلبي، أبوزيد: تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي ، مكتبة وهبة، القـاهرة، ط٨، ١٤١٧هـ.

٣٤. الصالح، محمد بن أحمد بن صالح:المسجد جامع وجامعة، ط١، ١٤٢١هـ.

٣٥. الصلابي، علي محمد: الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الإ يار ،مؤسسـة اقرأ، القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ.

٣٦. ضيف، شوقي:التطور والتجديد في الشعر الأموي ، دار المعارف، القاهرة، ط٨.

٣٧. طقوش، محمد سهيل: تاريخ الدولة الأموية ، دار النفائس ، بيروت ، لبنـان، ط٢ ، ١٤١٨هـ.

٣٨. طهبوب، صلاح :العصر الأموي ،دار أسامة، عمان، الأردن ، ط١ ،٢٠٠٤م.

٣٩. عبد الجواد، توفيق أحمد: تاريخ العمارة والفنون الإسلامية، دار الكتب، ١٩٧٠م.

٤٠. عبد الدائم ، عبد الله :التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حـتى أوائـل القـرن العشرين ، دار العلم للملايين، بيروت، ط١ ، ١٩٧٣م.

٤١. عبد العال ، حسن :التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، الشركة المتحـدة ، القاهرة ، ١٩٧٨م.

٤٢. عبد العزيز، محمد الحسيني: الحياة العلمية في الدولة الإسلامية ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ١٩٧٣م.

٤٣. عبد اللطيف، عبد الشافي محمد: العالم الإسلامي في العصر الأموي دراسة سياسية ، دار الإتحاد التعاوني، القاهرة، ط٣، ١٤١٧هـ .

٤٤. عبد الله ، عبد الله بن أحمد :التقويم التربوي للمتعلمين لدى العلماء المسلمين ، مكتبة الرشد ، مكة المكرمة ،ط١، ١٤٢٤هـ .

٤٥. عبده ، عبد الله كامل موسى: الأمويون وأثارهم المعمارية في الشام والعراق والحجاز واليمن ومصر وأفريقيه ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ط١ ،١٤٢٣هـ .

٤٦. العش، يوسف: الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداء من فتنة عثمان ، دار الفكر، دمشق سوريا، ط٥ ،١٤١٩هـ .

٤٧. العقيلي، عمر سليمان: خلافة معاوية بن أبي سفيان، جامعة الملك سعود، الرياض،ط١.

٤٨. علي، أحمد اسماعيل: تاريخ بلاد الشام منذ ما قبل الميلاد حتى نهاية العصر الأموي دارسة سياسية. اجتماعية. اقتصادية. فكرية. عسكرية. ، دار دمشق ، دمشق، ط٣، ١٩٩٤م.

٤٩. علي ، سعيد اسماعيل وآخرون :التربية الإسلامية (المفهومات والتطبيقات) ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٤٢٦هـ ،ط٢.

٥٠. علي، محمد كرد: خطط الشام، المطبعة الحديثة، دمشق، ١٣٤٣هـ .

٥١. العمايرة، محمد حسن:الفكر التربوي الإسلامي، دار المسيرة ، عمان، ط١، ١٤٢١هـ .

٥٢. عناية، غازي:هدي الفرقان في علوم القرآن ، عالم الكتب ، بيروت،ط١ ،١٤١٦هـ .

٥٣. الفتلاوي : سهيلة محسن كاظم :المنهاج التعليمي والتدريس الفاعل ، دار الشروق للتشر والتوزيع ، عمان، ت:د .

٥٤. فروخ، عمر: تاريخ العلوم عند العرب، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩٠هـ .

٥٥. قحف ، منذر : السياسة المالية دورها وضوابطها في الإقتصاد الإسلامي ، دار الفكر ، دمشق ، ط١ ، ١٤١٩هـ .
٥٦. ـ ـ ـ،ـ ـ ـ :السياسة الاقتصادية في إطار النظام الإسلامي ، (الدور الاقتصادي للوقف في التصور الإسلامي) ، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب ، البنك الإسلامي للتنمية ، جدة ، ١٤١٨هـ .
٥٧. قطب، سيد: في ظلال القرآن ، دار الشروق، القاهرة، ط١٧، ١٤١٢هـ .
٥٨. قطب ، محمد :منهج التربية الإسلامية ، دار الشروق ، بيروت ، ط٧ ،١٤٠٣هـ .
٥٩. الكيلاني ، ماجد عرسان :تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية ، صدار ابن كثير ، دمشق ، ط٢ ،١٤٠٥هـ .
٦٠. محاسنة، محمد حسين: أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين ، دار الكتاب الجامعي، العين، ط١ ، ٢٠٠١م.
٦١. مدكور ، علي أحمد :منهج التربية الإسلامية أصوله وتطبيقاته ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ١٤٠٧هـ ، ط١.
٦٢. مرسي، محمد منير: تاريخ التربية في الشرق والغرب، عالم الكتب، القاهرة،ت:د.
٦٣. موسى، على حسن :علم الفلك في التراث العربي ، دار الفلك، دمشق، ط١،٢٠٠١م .
٦٤. النبراوي، فتحية: تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٧، ١٤١٤هـ .
٦٥. النجار،محمد الطيب:تاريخ العالم الإسلامي الدولة الإسلامية في الشرق ، مكتبة المعارف، الرياض،١٤٠٦هـ .
٦٦. النحلاوي ، عبد الرحمن :أصول التربية الإسلامية وأساليبها ، دار الفكر ، دمشق ،١٩٨٣م،ط٢.
٦٧. آل ياسين ، محمد حسين :المباديء الأساسية في طرق التدريس العامة ، دار القلم ، بيروت ، ت:د .

٦٨. ـــــــــ،ـــــــــ: <u>الموجز في الأدب العربي وتاريخ</u>، (وضع لجنة من الأسـاتذة بالأقطار العربية)، دار المعارف، لبنان،١٩٦٢م.

٦٩. ـــــــــ،ـــــــــ :<u>الموسوعة العربية العالمية</u> ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٦هـ .

ثالثاً- **الرسائل العلمية**:

١. الحدري ، خليل بن عبد الله :التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها ،رسالة ماجستير، كلية التربية الإسلامية والمقارنة، مطابع جامعة أم القرى ، مكة المكرمة، ١٤١٨هـ .

٢. الرفاعي ،سعد سعيد جابر :مصادر وأساليب تمويل التعليم في العصور الإسلامية الأولى ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة .

٣. السفياني، صالحة بنت حاي بن يحى:التعليم في المساجد في القرن الأول الهجري ، رسالة ماجستير ، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، جامعة أم القرى، ١٤٢٤هـ .

٤. العواجي ، حسين هادي محمد : النفقات المالية للدولة الإسلامية في العصر الأموي، رسالة ماجستير ، كلية الدعوة وأصول الدين ، الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة.

٥. المصنف، عبد الرحمن أحمد حفظ الدين: الحركة العلمية في العصر الأموي في المشرق الإسلامي ، رسالة لنيل درجة الماجستير ، ص:١٧٨ ، جامعة صنعاء ، كلية الآداب قسم التاريخ ، شعبة التاريخ الإسلامي ، ١٤٢١هـ .

٦. نمنقاني،سامي اساعيل:التربية والتعليم في بلاد التي تم فتحها في عهد عمر بن الخطاب، رسالة ماجستير، كلية التربية،جامعة أم القرى،مكة المكرمة.